هذه المسئلة وجوابها مفيدة جدا فرحم الله شيخ الاسلام وجزاه خيرا وكاتبه

مسئلة ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتاخرين ما الصواب منهما
وما تنتحلونه انتم من المذهبين وعن اهل الحديث هل هم اولى بالصواب من غيرهم وهل هم المراد با
لفرقة الناجية وهل حدث بعدهم علوم جهلوها وعلمها غيرهم وعما تقولون في المنطق وهل من
قال انه فرض كفاية مصيب ام مخطئ **الجواب** هذه المسائل بسطها يحتمل مجلدات لكن
نشير الى المهم منها والله الموفق قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقد شهد الله تعالى لاصحاب نبيه صلى
الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان بالايمان فعلم قطعا انهم المراد بالاية الكريمة فقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الى
اخر الاية فحيث تقرر ان من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم فمن سبيلهم في الاعتقا
د الايمان بصفات الله تعالى واسمائه التي وصف بها نفسه وسماها نفسه في كتابه وتنزيله او على لسان
رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تاويل لها بما يخا
لف ظاهرها ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل امروها كما جاءت وردوا علمها
الى قائلها ومعناها الى المتكلم بها وقال بعضهم ويروى عن الشافعي امنت بما جاء عن الله وبما جاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله وعلموا ان المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصد
قوه ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه واخذ ذلك الاخر عن الاول ووصى بعضهم بعضا
بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف اولهم وحذروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقتهم وبينوا
لنا سبيلهم ومذهبهم ونرجوا ان يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه وسلوك الطريق
الذي سلكوه والدليل على ان مذهبهم ما ذكرناه انهم نقلوا الينا القران العظيم واخبار رسول الله صلى
الله عليه وسلم نقل مصدق لها مومن بها قابل لها غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها
ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تاولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين اذ لو فعلوا شيا

من

بلغ

وسمى

قف على ما ينقل عن الشافعي

من ذلك لنقل عنهم ولم يجز ان يكتم بالكلية اذ لا يجوز التواطي على كتمان ما يحتاج الى نقله ومعرفته لجر
يان ذلك في القبح مجرى التواطي على نقل الكذب وفعل ما لا يحل بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا انهم
كانوا اذا راوا من يسال عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالاعراض
الدال على شدة الكراهة لمسالته ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان صبيغا يسال عن المتشابه اعد له عراجين
النخل فبينما عمر يخطب قام فساله عن الذاريات ذروا فالحاملات وقرا وما بعدها فنزل عمر فقال ما
اسمك قال انا عبد الله صبيغ قال عمر وانا عبد الله عمر اكشف راسك فكشفه فراى عليه شعرا فقال لو وجد
تك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف ثم امر به فضرب ضربا شديدا وبعث به الى البصرة وامرهم
الا يجالسوه فكان بها كالبعير الاجرب لا ياتي مجلسا الا قالوا عزمة امير المؤمنين فتفرقوا عنه حتى
تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه شيا فاذن عمر في مجالسته فلما خرجت الخوارج اتى فقيل
له هذا وقتك فقال لا نفعتني موعظة العبد الصالح ولما سيل مالك بن انس رضي الله عنه فقيل له يا
ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فاطرق مالك وعلاه الرحضا يعني العرق وانتظر
القوم ما يجي منه فيه فرفع راسه اليه وقال الاستوا غير مجهول والكيف غير معقول والايما
ن به واجب والسوال عنه بدعة واحسبك رجل سوء امر به فاخرج ومن اول الاستوا بالاستيلا
فقد اجاب بغير ما اجاب به مالك وسلك غير سبيله وهذا الجواب من مالك رضي الله عنه في الاستوا
شاف كاف في جميع الصفات مثل النزول والمجي واليد والوجه وغيرها فيقال في مثل النزول
النزول معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وهكذا يقال في ساير
الصفات اذ هي بمثابة الاستوا الوارد بها الكتاب والسنة وثبت عن محمد بن الحسن صاحب ابي
حنيفة انه قال اتفق الفقها كلهم من الشرق والغرب على الايمان بالقران والاحاديث التي جا بها
الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه
فمن فسر شيا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم
يفسروا ولكن امنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة انتهى فانظر
رحمك الله الى هذا الامام كيف حكى الاجماع في هذه المسالة ولا خير فيما خرج عن اجماعهم ولو لزم التجسيم
من السكوت عن تاويلها لفروا منه واولوا ذلك فانهم اعرف الامة بما يجوز على الله وما يمتنع عليه
وثبت عن اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني انه قال ان اصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة
يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله وشهد له بها رسوله على ما وردت به

قف على ان الصحابة رضي الله عنهم اذا راوا من يسال عن المتشابه بالغوا في كفه

قف على حكاية هذا الامام الاجماع

الاخبار الصحاح ونقلة العدول الثقات ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ولا تكييفا لها
تكييف المشبهة ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية وقد اعاذ الله اهل السنة من
التحريف والتكييف ومما علمهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه وتركوا
القول بالتعطيل والتشبيه واكتفوا بنفي المقايس بقوله عز من قايل ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير وبقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد وقال سعيد بن جبير ملم يعرفه البدريون فليس من الدين
وثبت عن الربيع بن سليمان قال سالت الشافعي رضي الله عنه عن صفات الله تعالى فقال احرام على
العقول ان تمثل الله تعالى وعلى الاوهام ان تحده وعلى الظنون ان تقطع وعلى النفوس ان تفكر وعلى
الضماير ان تحيط وعلى الخواطر ان تحيط وعلى العقول ان تعقل الا ما وصف نفسه وعلى لسان نبيه
عليه السلام وثبت عن الحسن البصري انه قال لقد تكلم بطرف على هذه الاعواد بكلام ما قبل قبله ولا
يقال بعده قالوا وما هو يا ابا سعيد قال الحمد لله الذي ما الايمان به الجهل بغيره ما وصف به نفسه فقال
سبحانه من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه وثبت عن الحميدي شيخ البخاري عبد الله بن
الزبير انه قال اصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم
وترك البدع وكل بدعة ضلالة وترك الهوى والتفرق وترك الخصومة في الدين والجدال في القرآن
والكلام في الله عز وجل والوقوف عما شجر بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن عنه وقف
وبه نقف وهذا الذي اختاره من مذاهب العلماء واصحاب الحديث وهو الذي وجدت عليه من ادركت
من اهل العلم ايام رايتهم واخذ العلم عنهم وكانوا ممن اجتمع على الاقتداء بهم والاهتداء بسبيلهم
ورغب بنفسه عن مخالفتهم واختار مفارقة كل ما يتلقى من سبيلهم
وتلقاه عنهم من يتبعهم احسانا ولقد وصف من امنهم ما يكفي وتكلم منهم بما يشفي فما دون
نبي مقصر ومن فوقهم غال لقد قصر دونهم اناس فجفوا وطمح آخرون فغلوا وانهم
فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم فصل واما كونهم اعلم ممن بعدهم واحكم واما مخالفة
من خالفهم بالجهل والحشو وبين ذلك بالقياس المعقول من غير احتجاج بنفسه الا
بما جاء به الرسول كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
فاخبر انه سيريهم الايات المرئية المشهودة حتى يتبين لهم بذلك ان القرآن حق قال اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد اي شاهد بذلك فنقول من المعلوم ان اهل الحديث شاركوا
كل طايفة فيما ينتحلونه به من صفات الكمال وينازعون عنهم بما ليس عندهم فان
المنازع لهم لابد ان يذكر فيما يخالفونه فيه طريقا اخر مثل المعقول والقياس والراي
والكلام والنظر والاستدلال والمحاجة والمجادلة والمكاشفة والمخاطبة والوجد
والذوق ونحو ذلك وكل هذه الطرق لاهل الحديث صفوها وخلاصتها فهم اكمل
الناس عقلا واعدلهم قياسا واصوبهم راياً واسدهم كلاما واصحهم نظرا واهداهم
استدلالا واوفرهم حدا لا واتمهم فراسة واصدقهم الهاما واحدهم بصرا ونفوذ
مكاشفة واصوبهم سمعا ومخاطبة واعظمهم وجودا وذوقا وهذا هو المحمود
بالنسبة الى سايرالامم ولاهل السنة والحديث بالنسبة الى سايرالملل كل من استقرا احوال
العالم وجد المسلمين احد واسد عقلا وانهم ينالون في المدة اليسيرة من حقايق العلوم
والاعمال اضعاف ما ينالهم غيرهم في قرون واجيال وكذلك اهل السنة والحديث تجدهم كذلك
ممتحنين وذلك لان اعتقاد الحق الثابت يقوي الادراك ويصححه قال تعالى والذين اهتدوا

هو من قول اللهم متعنا باسماعنا
وابصارنا ابدا ما احييتنا

ب

زادهم هدى وقالوا لو انه فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا
لاتينا هم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما وهذا بعبارة بواز والنزاع
بينهم وبين غيرهم فلا نجد مسالة خولفوا فيها الا وقد تبين ان المخالفين وقعوا
بقوا مخالفتهم ورجوعهم الى غيرهم او بشهادة على مخالفيهم بالضلال
والجهل وقد قال تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فالكتاب يقتضي
ان كل ما فيه خالفت فيه الاخرى وتشهد بالضلال على كل من خالفها اعظم مما تشهد به على
اما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الارض فهذا امر ظاهر معلوم بالحس والتواتر
لكل من سمع كلام المسلمين لا يجد في الامم احدا يعظم اعظم مما يعظمونه ولا يحقر
من يعظم الا بقدر ما وافقه فيه كما لا ينقص الا بقدر ما خالفهم حتى انك تجد المخالفين لهم كلهم
وقت تحقيقه يعترفون بذلك كما قال الامام احمد ما بيننا وبينهم يوم الجنائز فاذا رفعوه
بسببه اشتركوا الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته فاما وقت الموت فلا بد من
الاعتراف بالحق من جميع الخلق ولهذا لم يعرف في الاسلام مثل جنازة سهل المتوكل
موضع الصلاة عليه فوجد الف الف وستمائة الف سوى من صلى في البيوت واسلم يومئذ من اليهود والنصارى عشرون الفا وهو انما نبل عند الامة باتباع
اهل الحديث والسنة وكذلك الشافعي واحمد وغيرهما انما نبلوا في الاسلام لاتباع الائمة
اهل الحديث والسنة وكذلك البخاري ومثاله انما نبلوا بذلك وكذلك مالك والاوزاعي والثوري
وابو حنيفة وغيرهم انما نبلوا في عموم الامة وقبول قولهم لما وافقوا فيه الحديث و
السنة وما تكلم فيه من تكلم فيه منهم لاسباب وامور لم تنفق لمن تابعهم على الحديث
والسنة اما لعدم بلاغها اياه او لاعتقاده ضعف ما اعتقد انها سنة وليست كذلك في المسائل الاعتقادية الخبرية لم يقبل احد من الطوائف ورؤسهم عند الامة الا ما
وافق الاثبات والسنة فالمعتزلة اولا وهم فرسان الكلام انما يجدون في ويعظمون عند
اتباعهم وعند من يغضي عن مساويهم لاجل محاسنهم من المسلمين بما وافقوا فيه مذهب اهل
الاثبات والسنة والحديث ورد هم على الرافضة بعضا مما خرجوا فيه عن السنة والحديث مما
امامة الخلفاء وعدالة الصحابة وقبول الاخبار وتحريف الكلم عن مواضعه والغلو في
علي ونحو ذلك وكذلك الشيعة المتقدمون كانوا يحتجون على المعتزلة بما خالفوهم فيه
مما

من اثبات الصفات والقدر والشفاعة ونحو ذلك وكذلك كانوا يستجيدون ما يخالفون
فيه الخوارج من تكفير علي وعثمان وغيرهما وما كفروا به المسلمين من الذنوب و
يستجيدون ما خالفوا فيه المرجئة من ادخال الواجبات في الايمان ولهذا قالوا المنزلة
وان يهتدوا الى السنة المحضة وكذلك تكلم اهل الاثبات مثل الكلابية والكرامية والا
شعرية انما قبلوا واتبعوا واستجيدوا ما اجمع الامة مما اثبتوه من اصول الايمان من
اثبات الصانع وصفاته واثبات النبوة والرد على الكفار من المشركين واهل الكتاب
وبما ما تناقضوا فيه مجملا وكذلك استجيد وا ما ردوه على الجهمية والمعتزلة والرافضة و
القدرية من انواع المقالات التي يخالفون فيها اهل السنة والجماعة حسنا نوعا ما اما
موافقة اهل السنة والحديث واما الرد على من خالف السنة والحديث بينا ما تناقضوا
مجملا ولم يتبع احد مذهب الاشعري ونحوه الا لاحد هذين الوصفين او كلاهما و
كلما ما اصاب وانتصر له من المسلمين وعلمائهم فانما يحمد وينتصر له بذلك فالمصنف في
مناقبه الدافع للطعن واللعن عنه كما ينبغي والقاسم وابن عساكر الذي
مشى انما يحتج له بذلك بما يقوله من اقوال اهل السنة والحديث او يجازه مما اقوا المخالفين
لا يحتج له عند الامة وعلمائها وامرائها الا بهذين الوصفين ولولا انه كان من اقرب
بني حنيفة الى ذلك لحقوه بطبقة الذين لم يكونوا كذلك كشيخه الاول ابي علي ورفيقه ابي
هاشم لكن كان له من موافقة مذهب السنة والحديث في الصفات والقدر والامامة
والفضائل والشفاعة والحوض والصراط والميزان وتاويله من الرد والرد على المعتزلة ما
يرد به الرافضة والجهمية وبما ما تناقضوا فيه ما اوجب ان يعتاز بذلك عن اولئك ويعرف
لجعفر وقدره فقد جعل الله لكل شيء قدرا وبما وافقوا فيه السنة والحديث صار له من
القبول والاتباع ما صار لكن الموافقة التي فيها فقه الخالف واظهار فساد قوله هي من
جنس الجهاد المنتصر فالرد على اهل البدع مجاهد حتى كما يحيى بن يحيى يقول الذب
عن السنة افضل من الجهاد والمجاهد قد يكون له اجر سياسته وقد لا يكون ما وقد يكون
عليه وزر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبالقوم لا
خلاق لهم ولهذا منعت السنة بل منع كل امير بدعا ما فاجرا والجهاد مع كل صاحبه في
الظاهر لا يحاله وهو مع الكتبة المحضة مشكور باطنا وظاهرا ووجه شكره نصره
للسنة والدين فهكذا المنتصر للاسلام والسنة يشكر على ذلك وبهذا الوجه يحمد الرجال عند

الله ورسوله وعباده المؤمنين بحسب ما وافقوا فيه دين الله وسنة رسوله
من جميع الاصناف اذ الحمد انما يكون على الحسنات والحسنات هو ما وافق طا
عة الله ورسوله من التصديق بخبر الله والطاعة لامره وهذا هو السنة فلفظ
كلها باتفاق الائمة هو فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك ما يذم من يذم من الملحد
ين فانما هو على السنة والشريعة وطاعة الله ورسوله لانه مخالفة ذلك ومن تكلم فيه من العلما
والامراء وغيرهم انما تكلم فيه لاعتقاد انه مخالف للسنة والشريعة وبهذا ذم السلف
والائمة لاهل الكلام والمتكلمين الصفاتية كابن كرام وابن كلاب والاشعري وما
تكلم فيهم من تكلم من اهل العلم انما هو لاعتقاده ان ما هم فيه مخالف للسنة
واهل الحديث والصوفية الاعاينون لون انهم مخالفون السنة والحديث لخفاء ذلك عليهم
اولعراضهم عنه اولاقتضاء اصل قياسي معهود عندهم رد ذلك كما يقع نحو ذلك في المسائل العلمية
فان مخالفة المسلم الصحيح الايمان المتابع لما يعلم به اولاعتقاده صحة ما
عارضه لكن هو فيما ظهر من السنة وعظم امره يقع بتفريط من المخالف وعدوان فيصح
من الذم ما لا يستحقه في نفس الحق ولكن قد يقوم بهذا ما يوجب الرقة والاختلاف بعظم امر
المخالفة للسنة ولهذا لما اظهر كثير من الملوك والعلماء امر الاسلام وجهاد العدو احيانا حتى
صار يلعن ما لا يلعن الرافضة والجهمية وغيرهم على المنابر حتى لعنوا كل طائفة رأوا انها
بدعة فلعنوا الكلابية والاشعرية كما كان في مملكة الامير محمود بن سبكتكين وفي دولة
السلاجقة ابتدا وكذلك الخليفة القادر ربما اهم بذلك واستشار المعتزلة من الفقها
ورفعوا اليه امر القاضي ابي بكر ونحوه وهو ابو حنيفي كما يختفي وانما تسر بمذهب الا
مام احمد وموافقته ثم ولي النظام وسعوا في رفع اللعنة واشتفوا ما استفتوه
من فقها العراق كالدامغاني الحنفي وابي اسحق الشيرازي وفتوا احيانا بجوا
ز ما من الحنفية والشافعية وقد قيل ان ابا اسحق استفتي في ذلك فالزموه وافتوا
بانه لا يجوز لعنة ويعزر من يلعنهم وعلل الدامغاني بانه طائفة من المسلمين وعلل
ابو اسحق معه ذلك بان له ذنوبا وحسنات اهل البدع المكفرين للسنة فلما علم المفتون
بعلل رفع الذم الا بموافقة السنة والحديث وكذلك رأيت في فتاوى الفقيه ابي محمد
فتيا طويلة فيها اساءة سيرة على عساكر متعددة قال فيها ولا يجوز
شغل المساجد بالغناء والرقص ومخالطة المرد ويعزر فاعله تعزيرا بليغا زاد عزا واما

ليس

ليس الحلق والدمالج والسلاسل والاغلال والتخم بالحديد والنحاس فبدعة وشهرة
وشر الامور محدثاتها وهي لهم في الدنيا وهي لباسهم اهل النار وهي لهم في الاخرة ان ماتوا
على ذلك ولا يجوز السجود لغير الله من الاحياء والاموات ولا تقبيل القبور
ويعزر فاعله ومن لعن احدا من المسلمين عزر على ذلك تعزيرا بليغا والمؤمن
لا يكون لعانا وما اقربه من صور اللعنة عليه قال ولا يجعل الصلاة عند القبور
ولا المشي عليها مع الرجال والنساء ولا نعلم احدا جعل الصلاة عندها فانه اشد غضب
الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد قال واما لعن العلماء الائمة الاشعرية
فمن لعنهم عزر وعادت اللعنة عليه فمتى لعن من ليس اهلا للعنة وقعت اللعنة
عليه والعلماء انصار فروع الدين والاشعرية انصار اصول الدين قال واما خوفهم
النميري فمن لا يتمسك بالقرآن فانه فتنة لهم ومضلة لمن يراهم كما يفتتن الناس بما
يظهر على يدي الدجال فانه مما ظهر على يديه كفر قاطع فانه يوزن بميزان الشرع فان
كان على الاستقامة كان مما ظهر على يديه كرامة ومما لم يكن على الاستقامة كان
ذلك فتنة كما يظهر على يدي الدجال من احيا الميت وما يظهر من جنة ونار فان الله
يضل من الاخلاق لما يظهر على يديه هو لا واما من تمسك بالشرع الشريف فانه لو
رأى ما هو لا من يطير في الهوى او يمشي على الماء فانه يعلم ان ذلك فتنة للجهال وانهم
خالفته ابو محمد ايضا انما منع اللعن وامر بتعزير اللاعن لاجل ما نهى عنه من اصول
الدين وهو ما ذكرناه من موافقة القرآن والسنة والحديث والرد على من خالف
القرآن والسنة والحديث ولهذا كان الشيخ ابو اسحق يقول انما نفقت الاشعرية
عند الناس بانتسابه الى الحنابلة وهذا ظاهر عليه وعلى آية اصحابه في كتبه ومصنفا
تهم قبل وقوع الفتنة التي بينه وبين بغداد ولهذا قال ابو القاسم ابن عساكر في منا
قبه مازالت الحنابلة والاشاعرة في قديم الدهر متفقين غير مختلفين متحدين غير
حتى حدثت فتنة ابن القشيري بعد حدوث الفتنة وقبلها لا نجد من يمدح الا
شعري بمدحة الا اذا وافق السنة والحديث ولا يذمه من يذمه الا لمخالفة السنة والحد
يث وهذا اجماع من جميع هذه الطوائف على تعظيم السنة والحديث واتفاق
شهادة على ان المفتخر بذلك موافقته لاية السنة والحديث اعظم

احد يظهر على يديه خارق وزن بالشرع فان وافق فهو كرامة والا فهو فتنة كما يظهر على يدي الدجال

عند جميعهم مما هو دونه فالاشعري نفسه لما كان اقرب الى قول الامام احمد ومن قبله من
ائمة السنة كان عندهم اعظم من اتباعه والقاضي ابو بكر ابن الباقلاني لما كان اقرب
الى ذلك كان اعظم عندهم من غيره واما مثل الاستاذ ابي المعالي وابي حامد ونحوهما
مما خالفوا اصوله في مواضع فلا تجدهم يعظمون الا ما وافقوا فيه السنة والحديث
واكثر ذلك تقلدوه من مذهب الشافعي في الفقه الموافق للسنة والحديث وما
ذكروه في الاصول هما يوافق السنة والحديث وما رد وه مما يخالف السنة والحديث
وبهذا القدر ينتحلون السنة ويخلونها والا لم يصح ذلك وكانت الرافضة والقرا
مطة على اموالها واموالها قد استظهرت في اوايل الدولة السلجوقية حتى غلبت على
الشام والعراق واخرجت الخليفة القائم ببغداد الى تكريت وحبسوه وهاجت فتنة
البساسيري المشهورة بعد ذلك السلجوقية حتى هزموهم وقتلوا الشام والعرا
ق وقوي بخراسان وحج وهم بعض وكان في وقتهم من الوزراء مثل نظام الملك وما
علما مثل ابي المعالي فصاروا يجاهدون من السنة ويردونه عما يدعه هو لا ونحوهم
لهم من المكانة عند الامة بحسب ذلك وكذلك المتاخرون من اصحاب مالك الذين وا
فقوه كابي الوليد الباجي والقاضي ابي بكر ابن العربي ونحوهما لا يعظمون الا بحو الفقه
السنة والحديث واما الاكابر مثل ابن حبيب وابن مخلد ونحوهما فلو وا
وكذلك ابو محمد ابن حزم فيما صنفه من الملل والنحل انما يستحمد بموافقة السنة والحديث
مثل ما ذكره في مسايل القدر والارجاء ونحو ذلك بخلاف ما انفرد به مما قوله في التفضيل
بين الصحابة وكذلك ما ذكره في باب الصفات فانه يستحمد فيه بموافقة اهل السنة و
الحديث لكونه يثبت الاحاديث الصحيحة ويعظم السلف وايمة الحديث ويقول انه
موافق للامام احمد في مسالة القرآن وغيرها ولا ريب انه موافق له وفي بعضا
ذلك لكن الاشعري ونحوه اعظم موافقة للامام احمد ابن حنبل ومن قبله من الايمة في القرآ
ن والصفات وان كان ابو محمد في مسايل الايمان والقدر اقوم من هؤلاء وان كان العلما
بالحديث والكثر تعظيما له واهله فهم فيه دون كثير من اقوالهم الفلاسفية في
المعتزلة في مسايل الصفات ما صرفته عن موافقة اهل الحديث في معاني ما ذهبوا في
ذلك فوافق هو لاني اللفظ وهو لاء المعنى وعدل هذا صار يذمه من يذمه من النفاة
والمتكلمين وعلماء الحديث يلحقونه بالمتكلمين لظاهر الباطن كما في المعاني في الامر والنهي والاشتقاق
والتعليل والباء ومن وفي واللام وهل وبل ونحو ذلك وكما في الصفات الخبرية
كاليد والوجه والعين والنفس والاتيان والمجيء والنزول والضحك والفرح والرضا والغضب
والكره والحب والبغض والسخط والمقت والرحمة والفرح والاستبشار والكلام والنداء والقول
والصوت والسمع والبصر والعلم والحياء والستر والعفو والمغفرة والقدرة والقوة والعزة والعظمة
والكبرياء والجلال والجمال والملك والحمد والمجد والثناء والشكر والثواب والعقاب والعدل
والحكمة والرحمة والهدى والرشد والغي والاضلال والخذلان والتوفيق والعصمة والاذن والمنع
والقضاء والقدر والمشية والارادة والحكم والقسط والكيد والمكر والاستهزاء والسخرية والخداع
والاستدراج والمحبة والرضا والسخط والمقت والولاية والعداوة والبغضاء والقرب والبعد والمعية
والخلة والاستواء والعلو والفوقية والتحتية والكينونة والمكان والحد والجهة والحيز والتحيز
والجسم والجوهر والعرض والتركيب والتالف والصورة والهيئة والكيفية والكمية والمقدار والعدد
والوزن والطول والعرض والعمق والثخن والسطح والنهاية والغاية والانتهاء والابتداء والتناهي
والحركة والسكون والانتقال والتحول والتغير والاستحالة والتجزي والتبعيض والتفريق والتركيب
والتالف والاجتماع والافتراق والمماسة والمباينة والمحاذاة والمقابلة والمساواة والمفارقة والمجاورة
والمداخلة والمحايثة والمزايل

ذلك ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من اهل الضلال وتوثب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة وذلك بنوع رأي بحسب صاحبه عقلا وعدلا وانما هو جهل وظلم اذ السنة بين الملوسة والمنافقين والمسلمين والكافرين اعظم الظلم وطلب الهدى عند اهل الضلال اعظم الجهل فتولد من ذلك محنة الجهمية حتى امتحنت الامة بنفي الصفات وتكذيب بكلام الله ورؤيته وجرى من محنة الامام احمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه وكان في ايام المتوكل قد عز الاسلام حتى الزم اهل الذمة بالشروط الملزومة للصغار فعزت السنة والجماعة وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم وكذلك في ايام المعتضد والمهتدي والقادر وغيرهم من الخلفاء الذين كانوا احمد سيرة واحسن طريقة من غيرهم وكان الاسلام في زمنهم اعز كانت السنة بحسب ذلك وفي دولة بني بويه ونحوهم الامر بالعكس فانه كان فيهم اصناف المذاهب المذمومة فهم من زادقة ونحوهم قرامطة كثيرة ومتفلسفة ومعتزلة ورافضة وهذه الاشياء كثيرة فيهم غالبة عليهم تحصل في الاسلام والسنة في ايامهم من الوهن ما لا يعرفه حتى استولى النصارى على ثغور الاسلام وانتشرت القرامطة في ارض مصر والمغرب والمشرق وغيرهم ذلك وجرت حوادث كثيرة ولما كانت مملكة محمود بن سبكتكين من احسن الممالك بحسب جنسها كان الاسلام والسنة في مملكته اعز فانه غزا المشركين من اهل الهند ونشر من العدل ما لم ينشر مثله فكانت السنة في ايامه ظاهرة والبدع في ايامه مقموعة وكذلك السلطان نور الدين محمود الذي كان بالشام عز الاسلام والسنة في زمنه واذل الكفار واهل البدع مما كان بالشام ومصر وغيرهما من الرافضة والجهمية ونحوهم وكذلك ما كان في زمنه مما خالف بني العباس ووزارة ابن هبيرة لهم فانه كان من امثل وزراء الاسلام ولهذا كان لمن العناية بالاسلام والحديث ما ليس لغيره وما يوجد من شهادة ائمة الكلام والفلسفة بعضهم على بعض فاكثر من ان يحتمله هذا الموضع وكذلك ما يوجد من رجوع ائمتهم الى مذهب عموم اهل السنة ومجانبتهم كثير وائمة السنة والحديث لا يرجع منهم احد لان الايمان اذا خالط بشاشته القلوب لا يسخط احد وكذلك ما يوجد من شهادة اهل الحديث بالسلامة والخلاص من انواع الضلال وهو لا يشهد بالاهل البدع الا بالضلال واذا قابلت بين الطائفتين اهل الحديث واهل الكلام فالذي يعيبه بعض اهل الحديث واهل الجاهلية يحسبه القول انما يعيبهم بقلة المعرفة او بقلة الفهم اما الاول فان يحتج باحاديث ضعيفة وموضوعة

وآثار لا تصلح للاحتجاج واما الثاني فان لا يفهم معاني الاحاديث الصحيحة بل قد يعول على القولين المتناقضين ولا يهتدي للفرق بين ما ذكر الامر راجع الى شيئين اما زيادة اقوال النبي مفيدة تظن انها مفيدة كالاحاديث الموضوعة واما اقوال مفيدة لكنه لا يفهمها اذ كانت احاديث الحديث بحاجة الى الصحة الحديث وثانيا الى فهم معناه كالبلاغ القرآن فالخلل يدخل عليهم من تركهما احد المقدمتين ومن عابهم من الناس انما يعيبهم بهذا ولا ريب ان هذا موجود في بعضهم يحتج باحاديث موضوعة في مسايل الاصول والفروع وانا نفعله وحكايا شتى صحيحة ونذكر ونامن القرآن والحديث ما لا يفهمونه معناه ويرعانا ولو حملناه على تاويل ووضعوه على غير موضوعه نحن الى بهذا المنقول الضعيف والمعقول السخيف قد يكفرونا ويضللونا ويبدعون اقواما من اعيانا الامة ويجهلونا في بعضهم من التفريط في الحق والتعدي الى الخلق فقد يكون بعضه خطا مغفورا وقد يكون منكرا من القول وزورا وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبات فهذا لا ينكره الا جاهل او ظالم وقد رأيت من هذا الجانب كثيرا بالنسبة الى غيرهم في ذلك كالمسلمين بالنسبة الى بقية الملل ولا ريب انا في كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور ما لا يعلمه الا من احاط بكل شيء علما لكن كل شر تجده في بعض المسلمين فهو في غيرهم اكثر وكل خير يكون في غيرهم فهو فيهم اعلى واعظم وهكذا اهل الحديث بالنسبة الى غيرهم وبيان ذلك اما ذكر من فضول الكلام الذي لا يفيد مع اعتقاد انه طريق الى التصور والتصديق هو في اهل الكلام والمنطق اضعافا مضاعفة في اضعاف ما هو في اهل الحديث اضعافا مضاعفة فبازاء احتجاج اولئك بالحديث الضعيف احتجاج هؤلاء بالملحوظ والاقيسة الكثيرة العظيمة التي لا تفيد معرفة بل جهلا وضلالا وبازاء تكلم اولئك باحاديث لا يفهمون معناها تكلف هؤلاء في القول بغير علم ما هو اعظم من ذلك وكثيرا ما احسن قول الامام احمد ضعيف الحديث خير من رأي قوي فلا نعلم لاهل الحديث من المزية ان ما يقولونه من الكلام الذي لا يفهمه بعضهم هو كلام في نفسه حق وقد امنوا بذلك واما المتكلم فيتكلفون من القول ما لا يفهمونه ولا يعلمون انه حق واهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض اصل عظيم من اصول الشريعة بل اما ان يأتوا بما يؤيده واما ان يفرع على الفروع واولئك يحتجون بالحدود والمقاييس

مطلب

وهذا باب واسع كما قدمناه وجميع الطوائف المقابلة لاهل الحديث تشهد عليهم بالامر الذي يعيبون به اهل الحديث

الفاسد في بعض الاصول التي ثبتت اذا عرف هذا نقول قال الله تعالى عما اتبع الائمة
من اهل الملل المخالفين للرسل فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وقال
تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا و
مثل هذا في القرآن كثير واذا كانت سعادة الدنيا والاخرة هي باتباع المرسلين فمن
المعلوم الذي لا حيرة فيه ان الناس بعد نبيهم اعلم باتباع المرسلين واتبعهم لذلك فالعلم بما هو هو
افعالهم المتبوعة لعالم اهل السعادة في كل زمان ومكان وهو الطائفة الناجية من
اهل كل ملة وهم اهل السنة والحديث من هذه الامة فانهم يشاركون سائر الامة فيما عندهم
من امور الرسالة ويمتازون عنهم بما اختصوا به مما لعله الملوم وقع عن الرسول فيما يحله
ويوجبه او يكذب به والرسول صلوات الله عليهم وسلامه عليهم البلاغ المبين وقد بلغوا
البلاغ المبين وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم انزل الله كتابه مصدقا لما بين يديه من
الكتاب ومهيمنا عليه فهو الامين على جميع الكتب وقد بلغ ابين البلاغ وائمة واكمله و
كانوا افضل الخلق بعد الانبياء وكانوا بالمؤمنين رؤفا رحيما بلغ الرسالة وادى الامانة
وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى اتاه اليقين فاسعد الخلق واعظمهم نفعا و
علما وحكما وهم درجة اعظمهم اتباعا لما جاء به من العلم والكلام في قيمتهم
وعلومهم وهذا يدخل فيه كل من خالفهم شيئا من
السنة والحديث من المتكلمين والفلاسفة فالكلام في هذا المقام واسع لا ينضبط هنا
وتكذيب الحق فكما في مسائلهم ودلائلهم لا يكاد والله اعلم يخلو الهم مسئلة واحدة
عما ذكرته واذكر اني قلت مرة لبعضهم ما كان ينتصر لهم منا المشتغل فيها بهم وانا اذا كنا
صغيرة قرب العهد من الاحتلام كما يقوله هؤلاء ففيه باطلها في الدليل واما في المسائل
اما ان يقع لها مسئلة تكون حقا لكن يقيم ان عليها ادلة ضعيفة واما ان تكون المسائل
باطلا لا خير في ذكر بعضها هذا وذكر مسئلة التوحيد فقلت التوحيد حق الحق اذ كرما
شئت من ادلته التي قررتها حتى اذكر لك ما فيه فذكر بعضها بحروفه حتى فهم المغلط وذهب
الابنة وكان اعظم المتعصبين لهم فذكرت ذلك له قال فاختر بعض ذكر عليها فقلت انا لا اشكك
في التوحيد ولكن في هذا الدليل المعين وبه لك على ذكر انكم تجدهم اعظم الناس شكا وتضطربا
في الواجبات هم

واضعف

واضعف الناس عقلا ويقينا وهذا امر يجدونه في انفسهم ويشهد الناس منهم وسواء
ذلك اعظم من ان يذكر هنا واما فضيلة احدهم فاذا قدر على الاعتراض والجواب والدليل
ومن المعلوم ان الاعتراض والقدح ليس بعلم ولا فيه منفعة واحسن احوال صاحبه
ان يكون بمنزلة العامي واما العلم في جواب السؤال ولهذا تجد غالب محققيهم يتكلمون اذا
كل منهم يقبح في ادلة الاخر وقد قيل ان الاشعري مع انه من اقربهم الى السنة والحديث و
اعلمهم بذلك صنف في اخر عمره كتابا في الادلة يعني ادلة الكلام فان ذلك هو صناعته
التي يحسن الكلام فيها ومازال ائمتهم يخبرون بعدم الادلة والهدى في طريقهم كما ذكره ابن
ابي حامد وغيره حتى قال ابو حامد الغزالي اكثر الناس شكا عند الموت اهل الكلام وهذا
ابو عبد الله الرازي من اعظم الناس في هذا الباب باب الحيرة والشك والاضطراب الذي
هو معترف في هذا الباب بحيث لم يقم في التشكيك دون التحقيق بخلاف غيره فانه
يحقق شاء ويثبت على نوع من الحق لكن بعض الناس قد يثبت علما باطلا والشك في الباطل
خير من اثبات على اعتقاد ان يثبت احد على باطل محض بل لا بد ان يقع
من الحق وكان من افضلا المتاخرين واورعهم في الفلسفة والكلام واصل الحق كان
يقول استلقي على قفاي واضع الملحفة على نصف وجهي ثم اذكر الحقائق وجمع هو لا
وهو لا واعتراض هو لا وهو لا حتى يطلع لي ما يترجح عندي شيء ولهذا لما احتضر
جمع تهافت الرجاح تحاكمها حقا وكما كاسه مكسور فاذا كانت هذه
حال العجم فاي لغو وباطل وحشو يكون اعظم من هذا وكيف يليق بمثل هؤلاء ان
يسموا اهل الحديث والسنة الذين هم اعظم الناس علما ويقينا وطمانينة وسكينة
يعلمون ويعلمون انهم يعلمون وهم يأكلون يوقنون لا يشكون ولا يمترون فاما
ما اوتيه علماء اهل الحديث وحوذيه من اليقين والمعرفة والهدى فامر يجل عن
الوصف ولكن عند عوامهم من اليقين والمعرفة والعلم والنافع ما لم يحصل لاحد من
ائمة المتفلسفة المتكلمين وهذا ظاهر بين لكل احد غاية ما يبقى لاحدهم انهم
جزموا بغير علم دليل وصمموا بغير حجة وانما معهم التقليد وهذا القدر قد يكون في كثير
من العامة لكن جزم العالم غير جزم الهوى فالجازم بغير علم يجد من نفسه انه غير
عالم بما جزم به والجازم بعلم يجد من نفسه انه عالم اذ كون الانسان عالما وغير عالم
مثل كونه سامعا ومبصرا وغير سامع ومبصر فانه يعلم من نفسه ذلك مثل ما يعلم
من نفسه كونه محبا ومبغضا وريدا وكارها وسرورا ومحزونا ومتعاقدا

قف
على ان الاعتراض
والقدح ليس بعلم

حلا الجيش
الرازي

قف
على
ما خص به علماء
اهل الحديث

قف
على اسعد الخلق
واعظمهم نفعا
واعلاهم درجة

وغير ذلك ومن شكك في كونه يعلم مع كونه يعلم فهو بمنزلة من جزم بانه علم وهو لا يعلم وذلك نظير من شكك في كونه سمع ورأى او جزم بانه سمع ورأى ما لم يسمعه ولم يره والغلط او الكذب يعرض للانسان في كل واحد من طرفي النفي والاثبات لكن هذا الغلط او الكذب العارض لا يمنع ان يكون الانسان جازما او لا شاكا فيما من ذلك كما يجزم بما يجده من الطعوم والالوان وان كان قد يعرض له من الاخلاف ما يجد به الحلو مرا فالاسباب العارضة لغلط الحس الباطن او الظاهر والعقل غير لة المرض العارض لحركة البدن والنفس والاصل هو الصحة في الادراك وفي الحركة فان الله خلق عباده على الفطرة وهذه الامور يعلم الغلط فيها باسبابها الخاصة كالمرة الصفرا العارضة للطعم وكالحركة في العين ونحو ذلك والانسان حاسب نفسه على ما يجزم به وجمهور الناس الذين يجزمون بالامور بما هو النوع من الهوى كما قال تعالى وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ولهذا تجد اليهود يصممون باطلهم لما في نفوسهم من الكبر والحسد والقسوة وغير ذلك من الاهوية واما النصارى فما عظم ضلالهم وان كانوا في العادة والاخلاق اقل منهم شرا فليسوا جازمين بغالب ضلالهم بل عند الاعتبار تجد من ترك الهوى من الطائفتين ونظر نوع نظر تبين له ان الاسلام حقا والمقصود هنا ان معرفة الانسان بكونه يعلم او لا يعلم مرجعه الى وجود نفسه عالمة ولهذا لا يحتج على نفي العلم الا بوجود نفي سنا عالمة كما احتجى على منكري الاخبار المتواترة بانا نجد نفوسنا عالمة بذلك فجازمنا به كعلمنا وجزمنا بما احسسناه وجعل المحققون وجود العلم نفسه الاخباري وهو الضابط في حصول التواتر اذا لم يجدوا بعدد ولا صفة بل متى حصل العلم كان هو المعتبر والانسان يجد نفسه عالمة وهذا حق فانه لا يجوز ان يستدل الانسان على كونه عالما بدليل فان علمه بمقدمات ذلك الدليل يحتاج الى ان يجد نفسها عالمة بها فلو احتاج علمه بكونه

عالما الى دليل

عالما الى دليل افضى الى الدور او التسلسل وهذا لا يحس الانسان بوجود العلم عند وجود سببه ان كان بديهيا او ان كان نظريا اذا علم المقدمتين ولهذا استدل على منكري افادة النظر العلم وان كان في هذه المسئلة تفصيل ليس هذا موضعه فالغرض ان من نظر في دليل يفيد العلم وجد نفسه عالما عند علمه بذلك الدليل كما يجد نفسه سامعة رائيه عند الاستماع للصوت والنظر للالوان والعلم الضروري هو الذي لا يحتاج الى نظر وهو ما علم بمجرد تصور طرفيه كتصور الكل والجزء والنفي والاثبات والتالي للشمس والهلال او غير ذلك والعلم يحصل في النفس كما يحصل سائر الادراكات والحركات بما يجعله الله من الاسباب وعامة ذلك ملائكة الله تعالى وان الله سبحانه ينزل بها على قلوب عباده من العلم والفهم وغير ذلك ما شاء ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اللهم ايده بروح القدس وقال تعالى كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وقال صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه انزل الله عليه ملكا يسدده وقال عبد الله بن مسعود كنا نتحدث ان السكينة تنطق على لسان عمر وقال عبد الله بن مسعود ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وهذا الكلام الذي قاله ابن مسعود هو محفوظ عنه ورفعه بعضهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كلام جامع لاصول ما يكون من العبد من علم وعمل من شعور وارادة وذلك ان العبد له قوة الشعور والاحساس والادراك وقوة الارادة والحركة واحدها اصل الثانية يستلزمه لها والثانية تستلزمه للاولى وهو مكملها فهو بالاولى يصدق بالحق ويكذب بالباطل وبالثانية يحب النافع الملائم له ويبغض الضار المنافي له والله سبحانه

البديهي هو الذي يظهر بادي الرأي من غير تأمل والنظري هو الذي لا يعلم الا بالنظر وهو ظاهر النسبة والله سبحانه الموفق تعالى وتقدس

خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به ومعرفة الباطل و
التكذيب به ومعرفة النافع الملايم والمحبة له ومعرفة الضار المنافي والبغض
له والفطرة فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة وما كان حقا نافعا
فاحبته الفطرة احبته واطمانت اليه وذلك هو المعروف وما كان باطلا
معدوما كذبت به الفطرة فابغضته الفطرة فانكرته قال تعالى يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر والانسان كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم حيث
قال اصدق الاسماء حارث وهمام فهو دايما يهم ويعمل لكنه لا يعمل الا ما يرجو
جوا منفعته او دفع مضرة لكن قد يكون ذلك الرجا مبنيا على اعتقاد
باطل اما في نفس المقصود فلا يكون نافعا ولا ضارا واما في الوسيلة
فلا تكون طريقا اليه وهذا جهل وقد يعلم ان هذا الشيء لا ينفعه ويفعله و
يعلم انه ينفعه ويتركه لان ذلك العلم عارض ما في نفسه من طلب لذة
اخرى او دفع الم آخر فيكون جاهلا ظالما حيث قدم هذا على ذاك
ولهذا قال ابو العالية سالت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب
من قريب واذا كان الانسان لا يتحرك الا لرجا وان كان راهبا خائفا
لم يسع في النجاة ولم يهرب من الخوف والرجا لا يكون الا بما يلقى في نفسه
من الايعاد بالخير الذي هو طلب المحبوب وفوات المكروه فكل بني
ادم لما اعتقاد فيه تصديق بشيء وتكذيب بشيء وله قصد وارادة
لما يرجوه فما هو عنده محبوب ممكنا الوصول اليه او وجود المحبوب

عنده

عنده او دفع المكروه عنه والله خلق العبد وقصد الخير فيرجو
بعمله فاذا كذب بالحق فلم يصدق به ولم يرج الخير فيقصده و
يعمله كان خاسرا بتركه تصديق الحق وطلب الخير فكيف اذا كذب
بالحق وكره ارادة الخير فكيف اذا صدق بالباطل وارادة
الشر فذكر عبد الله بن مسعود ان لقلب بن ادم لمة من الملك
ولمة من الشيطان فلمة الملك تصديق بالحق وهو ما كان
من جنس الاعتقاد الفاسد وهو التكذيب بالحق وايعاد
بالشر وهو ما كان من جنس ارادة الشر وظن وجوده
امامع رجاء وان كان مع هوى النفس وامامع غير خوف
كان غير محبوب لها وكل من الرجا والخوف مستلزم للاخر فهذا
العلم الحق والارادة الصالحة من لمة الملك وهذا
الاعتقاد الباطل والارادة الفاسدة من لمة الشيطان
قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا وقال تعالى
انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه اي يخوفكم اولياءه وقال
تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم والشيطان وسواس خناس اذا ذكر العبد ربه
خنس فاذا غفل عن ذكره وسوس فلهذا كان ذكر الله سببا

وسبب الزول الاعتقاد الباطل والارادة الفاسدة في القلب
ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم
كما قال معاذ بن جبل ومذاكرته تسبيح وقد تنازع اهل
اهل الكلام في حصول العلم في القلب عقب النظر في الدليل
فقال بعضهم ذلك على سبيل التولد وقال المنكرون للتولد
بل ذلك بفعل الله تعالى والنظر اما متضمن للعلم واما موجب له
وهذا ينصره المنتسبون للسنة من المتكلمين ومن وا
فقهم من الفقهاء من اصحاب مالك والشافعي واحمد وغيرهم
وقالت المتفلسفة بل ذلك يحصل بطريق الفيض من العقل
الفعال عند استعداد النفس لقبول الفيض وقد يزعمون
ان العقل الفعال هو جبريل فاما قول القايلين ان ذلك
بفعل الله فهو صحيح بناء على ان الله هو معلم كل علم
وخالق كل شيء لكن هذا كلام مجمل ليس فيه بيان لنفس السبب

الخاص

الخاص لكن واما قول القايلين بالتولد فبعضه حق وبعضه
باطل فان كان دعواهم ان الفعل المتولد هو حاصل بمجرد قدرة
العبد باطل قطعا ولكن هو حاصل بامرين قدرة العبد
والسبب الاخر كالقوة التي في السهم والقبول الذي في المحل
ولا ريب ان النظر هو سبب ولكن الشان فيما به يتم حصول
العلم واما زعم اولئك ان العقل الفعال فمن الخرافات التي
لا دليل عليها والباطل من ذلك زعمهم ان ذلك هو جبريل وزعمهم
ان كل ما يحصل في عالم العناصر من الصور الجسمانية وكمالا
تها فهي من فيضه وسببه من الباطل الباطل ولكن اضافتهم ذلك الى
امور الروحانية صحيح في الجملة فان الله سبحانه وتعالى يدبر امر السموات
والارض بملائكته التي هي السفراء في امره ولفظ الملك يدل على ذلك
وبذلك اخبرت الانبياء وقد شهد الكتاب والسنة من ذلك بما لا يتسع
هذا الموضع لذكره كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في ملائكة الخلق وغيرهم
فاما تخصيص روح واحد متصل بتلك القمر يكون هو رب هذا العالم فهذا
باطل وليس هذا موضع استقصاء ذلك ولكن يعلم ان المبدأ في شعور النفس
وحركتها هم الملائكة والشياطين فالملك يلقي التصديق بالحق والامر بالخير

والشيطان يلقي التكذيب بالحق والامر بالشر والتصديق والتكذيب مقرون
بنظر الانسان كما ان الامر والنهي مقرون بارادته فاذا كان النظر في دليل هادي كا
لقران وسلم من معارضات الشيطان تضمن ذلك النظر للعلم والهدى ولهذا
امر العبد بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند القراءة واذا كان النظر
في دليل مضل والناظر يعتقد صحته بان يكون مقدمتاه او احداهما متضمنة
للباطل او تكون المقدمتان صحيحة لكن التاليف ليس بمستقيم فانه يصير في
القلب بذلك اعتقاد فاسد وهو غالب شبهات اهل الباطل المخالفين للكتاب
والسنة من المتفلسفة والمتكلمين ونحوهم فاذا كان الناظر لا بد له من منظور
فيه والنظر في نفس المتصور المطلوب حكمه لا يفيد علما بل ربما خطر له بسبب ذلك
النظر انواعا من الشبهات يحسبها ادلة لفرط تعطش القلب الى معرفة حكم
تلك المسئلة وتصديق ذلك التصور واما النظر المفيد للعلم هو ما كان في دليل
هادي والدليل الهادي على العموم والاطلاق هو كتاب الله وسنة
نبيه فان الذي جاءت به الشريعة من نوعي النظر هو ما يفيد وينفع
ويحصل الهدى وهو بذكر الله وما نزل من الحق فاذا اراد النظر والاعتبار في
الادلة المطلقة من غير تعيين مطلوب فذلك النظر في كتاب الله وتدبره كما قال قد
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه الاية وقال تعالى
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب الى اخر السورة

والمقصود

من هذا كله تقدم

[illegible]

واضعف الناس علما ويقينا وهذا امر يجدونه في انفسهم ويشهده الناس منهم وشواهد
ذلك اعظم من ان يذكر هنا ولهذا تجد غالب حججهم تتكافى اذ كل منهم يقدح في ادلة الاخر وقد
قيل ان الاشعري مع انه من اقربهم الى السنة والحديث واعلمهم بذلك صنف في اخر عمره كتابا
في تكافي الادلة يعني ادلة اهل الكلام فان ذلك هو صناعته التي يحسن الكلام فيه وما زال
ائمتهم يخبرون بعدم الادلة والهدى في طريقهم حتى قال ابو حامد الغزالي اكثر الناس شكا عند
الموت اهل الكلام وهذا ابو عبد الله الرازي من اعظم الناس في هذا الباب باب الحيرة والشك
والاضطراب لكن هو مسرف في هذا الباب بحيث له نهمة في التشكيك دون التحقيق بخلاف
غيره فانه يحقق شيئا ويثبت على نوع من الحق لكن بعض الناس قد يثبت على باطل وا
الشك في الباطل خير من الثبات على اعتقاده لكن قل ان يثبت احد على باطل محض بل لا بد
فيه من نوع من الحق وكان من فضلاء المتاخرين وابرعهم في الفلسفة والكلام ابن واصل الحموي
كان يقول استلقي على قفاي واضع الملحفة على نصف وجهي ثم اذكر المقالات وحجج هؤلاء و
هؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء ولهذا انشد الخطابي حجج تهافت كالزجاج
تخالها حقا وكل كاسر مكسور فاذا كانت هذه حال حججهم فاي حشو ولغو وباطل
يكون اعظم من هذا وكيف يليق بمثل هذا هؤلاء ان ينسبوا اهل الحديث والسنة الذين هم اعظم
الناس علما ويقينا وطمانينة وسكينة يعلمون ويعلمون وهم بالحق يوقنون لا يشكون ولا
يمترون فاما ما اوتيه علماء اهل الحديث وخواصهم من اليقين والمعرفة والهدى فامر
يجل عن الوصف ولكن عند عوامهم من اليقين والعلم النافع ما لم يحصل منه شيء لائمة
المتفلسفة المتكلمين وهذا ظاهر مشهود لكل احد غاية ما يقول احدهم انهم جزموا بغير علم
دليل وصمموا بغير حجة وانما معهم التقليد وهذا القدر قد يكون في كثير من العامة لكن جزم
العلم [illegible] الجازم بغير علم يجد من نفسه انه غير عالم بما جزم به والجازم بعلم
يعلم من نفسه انه عالم والمقصود ان ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم اهل السنة والجماعة من المعرفة
واليقين والطمانينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه امر لا ينازع فيه الا من سلبه
الله العقل والدين وهب ان المخالف لا يسلم ذلك فلا ريب انهم يخبرون عن انفسهم بذلك ويقولون
انهم يجدون ذلك وهو وطائفته يخبرون بضد ذلك ولا يجدون عندهم الا الريب وكلام المشايخ و
الائمة من اهل السنة والفقه والمعرفة في هذا الباب اعظم من ان نطيل به الخطاب وتجد اهل الكلام

كما ذكرناه عن ابي حامد وغيره

واعتراض هؤلاء وهؤلاء

انهم يعلمون

الوجه الثاني انه

فاي الطائفتين

اكثر الناس استعمالا من قولهم جزما بالقول في موضع وجزما بنقيضه وتكفيرهم الحكم في موضع
اخر وهذا دليل عدم اليقين فان الايمان كما قال فيه قيصر لما سئل اباسفيان عن من اسلم مع النبي صلى الله
عليه وسلم هل يرجع احد منهم عنه عن دينه وسخطه له بعد ان يدخل فيه قال لا قال وكذلك الايمان اذا
خالط بشاشة القلوب لا يسخطه احد ولهذا قال بعض السلف عمر بن عبد العزيز وغيره من جعل
دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل واما اهل السنة والحديث فما يعلم احد من علمائهم ولا صالح عامتهم
رجع قط عن قوله واعتقاده بل هم اعظم الناس صبرا على ذلك وان امتحنوا بانواع المحن وفتنوا
بانواع الفتن وهذه حال الانبياء واتباعهم من الانبياء المتقدمين كما هو الواقع ونحوهم
وكسلف هذه الامة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الائمة حتى كان مالك رحمه الله يقول لا
تقطع اصبعي لم اصب الناس اريد كوان يقولوا امنا وهم لا يتركوننا ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد صبر اهل الاهواء على ما لم نعلم احدا
فيه من الحق اذ لا بد في كل بدعة عليها ما يغلب كبيرة من الناس او يكون فيها من الحق الذي جاء
به الرسول ويوافق عليه اهل السنة والحديث ما هو جب قبولها اذ الباطل المحض لا
يقبل جملة فالثبات والاستقرار في اهل الحديث والسنة اضعاف اضعاف اضعافا
في ما هو عند اهل الكلام والفلسفة بل المتفلسف اعظم اضطرابا وحيرة في امره من
المتكلم لان عند المتكلم من الحق الذي تلقاه عن الانبياء ما ليس عند المتفلسف ولهذا تجد
مثل ابي الحسن البصري وامثاله اثبت من مثل ابن سينا وامثاله وايضا تجد اهل الفلسفة
والكلام اعظم الناس افتراقا واختلافا مع دعوى كل منهم ان الذي يقوله حق مقطوع
به تقام عليه البرهان واهل السنة والحديث اعظم الناس اتفاقا واقل ابتلافا وكل ما كان من
الطوائف اليهم اقرب كان الى الاتفاق والايتلاف اقرب فالمعتزلة اكثر اتفاقا وايتلافا
من المتفلسفة اذ للفلاسفة في الالهيات والمعاد والنبوات بلوى في الطبيعيات والى
يا ضيات وصفات الافلاك مع الامور التي لا يحصيها الا ذو الجلال وقد ذكرنا جمع مقالات
الاوايل مثل ابي الحسن الاشعري في كتاب المقالات ومثل القاضي ابي بكر في كتاب الدقائق

من مقالاتهم

من مقالاتهم بقدر ما ذكره الفارابي وابن سينا وامثالهما اضعافا مضاعفة واهل الاثبات
من المتكلمين مثل الكلابية والكرامية والاشعرية اكثر اتفاقا وايتلافا من المعتزلة فان
في المعتزلة من الاختلاف وتكفير بعضهم بعضا حتى يكفر التلميذ استاذه من جنس ما بين
الخوارج وقد ذكرنا من ذلك في فضائح المعتزلة ومن وصفه وليست تجد اتفاقا
وايتلافا الا بسبب اظهرت الانبياء من القرآن والحديث وما يتبع ذلك لا تجد افتراقا
واختلافا الا عند ما تترك ذلك وقدم غيره عليه والله تعالى لا يزال في امة محمد
ربكم رحمة لكم خلقهم فاخبر ان اهل الرحمة لا يختلفون واهل الرحمة اتباع الانبياء قولا وفعلا
وهم اهل القرآن والحديث من هذه الامة فما خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك والخطأ
لما كانت الفلاسفة اسوء حالا في البعد عن اتباع الانبياء كانوا اعظم اختلافا والخوارج والمعتزلة
والروافض لما كانوا ايضا ابعد عن السنة والحديث كانوا اعظم افتراقا فهذه الاسيما
الرافضة فانهم لم يتفقوا انهم اعظم الطوائف اختلافا وذلك لانهم ابعد الطوائف عن
السنة والجماعة بخلاف المعتزلة فانهم اقرب الى ذلك منهم وكذلك الخوارج اقرب الى ذلك
منهم وابو محمد ابن قتيبة في اول كتاب مختلف الحديث لما ذكر اهل الحديث والمتكلمين و
اهل الكلام والمتكلمين قال ذكرتم هؤلاء ووصف اخطائهم واعمالهم ووصف اثمهم هؤلاء
واخطائهم وافعالهم ما يبين لكل احد ان اهل الحديث هم اهل الحق والهدى وان
مذهبهم اولى بالفضل والجميل والحسن والباطل وايضا فالخوارج اهل الحديث هم مظهرو
فساد الاعمال اما من حيث عقيدة ونفاق واما من مرض في القلب وضعف ايمان فيفضي
بهم ترك الواجبات واعتداء الحدود والاستخفاف بالحقوق وقسوة القلب ما هو ظاهر
لكل احد وعامة شيعتهم يدعون بالعظائم وان كان فيهم من هو معروف بزهد وعبادة
ففي زهد بعض العامة من اهل السنة وعبادتهم ما هو ارجح مما هو فيهم ومن المعلوم ان العلم
اصل العمل وصحة الاصول توجب صحة الفروع والرجل لا يصدر عنه فساد العمل الا لشيئين اما
لجاهلية واما لجهل فاما العالم فيقبح الشيء عنه فلا يفعله الا من غلبه الهوى واما
له عليه المعاصي فقد اكون اخر وضده ثابتا في وايضا فانه لا يعرف من اهل الكلام احد الا وهو لا
سلام متأله يكفر فانهم عموما حتى الصالحين منهم ما يقضي على التعيين فاي فريق
احق بالحشو والضلال هؤلاء الذين يقتضي وجود الردة فيهم كما يوجد النفاق في بعض

فيهم كثيرا وهذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه فيها مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي
يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الامور الظاهرة التي يعلم العامة والخاصة
من المسلمين انها من دين المسلمين ثم تجد كثيرا من رؤسائهم وقعوا في عظائم هذه الامور
الشريفة فقد حكي عن الجهم ابن صفوان انه ترك الصلاة اربعين يوما لا يرى وجوبها وحكى
اهل المقالات بعضهم عن بعض من ذلك طرفا كما يذكره ابو عيسى الوراق والنوبختي وابو
الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر ابن الباقلاني وابو عبد الله الشهرستاني و
غيرهم ممن يذكر مقالات اهل الكلام وابلغ من ذلك ان منهم من يصنف في دين
المشركين والردة عن الاسلام كما صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب و
الاصنام واقام الادلة على حسن ذلك ومنفعته ورغب فيه وهذه ردة عن الا
سلام باتفاق المسلمين وان كان قد يكون عاد الى الاسلام ومن العجب ان اهل
الكلام يزعمون ان اهل الحديث والسنة اهل تقليد ليسوا اهل نظر واستدلال
وانهم ينكرون حجة العقل وربما حكوا انكار الضرر عن بعض ائمة السنة وهذا
مما ينكرونه عليهم فيقال لهم ليس هذا بحق فان اهل السنة والحديث لا ينكرون
ما جاء به القرآن هذا اصل متفق عليه بينهم والله قد امر بالنظر والاعتبار و
التفكر والتدبر في غير آية ولا يعرف عن احد من سلف الامة ولا ائمة السنة و
علمائها انه انكر ذلك بل كلهم متفقون على الامر بما جاءت به الشريعة من النظر والتفكر
والاعتبار والتدبر وغير ذلك ولكن وقع اشتراك في لفظ النظر والاستدلال ولفظ
الكلام فانهم انكروا ما ابتدعه المتكلمون من باطل نظرهم وكلامهم واستدلالهم فا
عتقدوا ان انكار هذا مستلزم لانكار جنس النظر والاستدلال وهذا كما ان كل طا
ئفة من اهل الكلام يسمي ما وضعه اصول الدين وهذا اسم عظيم والمسمى فيه من فساد
الدين ما الله به عليم فاذا انكر اهل الحق والسنة ذلك قال المبطل قد انكروا اصول
الدين وهم لم ينكروا ما يستحق ان يسمى اصول الدين وانما انكروا ما سماه هذا اصول
الدين وهي اسماء سموها هم واباؤهم باسماء ما انزل الله بها من سلطان فالدين ما
شرعه الله ورسوله وقد بين اصوله وفروعه ومن المحال ان يكون الرسول قد بين
فروع الدين دون اصوله كما قد بينا هذا في غير هذا الموضع فهكذا لفظ النظر والاعتبار

والا

كرؤس العشاير مثلا لاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونحوهم ممن ارتد عن الاسلام و
دخل فيه ففيهم من كان يتهم بالنفاق ومرض القلب وفيهم من لم يكن كذلك او يقال هم لما فيهم من
العلم يشبهون بعبد الله بن ابي سرح الذي كان كاتب الوحي فارتد ولحق بالمشركين فاهدر النبي
صلى الله عليه وسلم دمه عام الفتح ثم اتى به عثمان اليه فبايعه على الاسلام فمن صنف في مذهب المشركين
ونحوهم احسن احواله ان يكون مسلم فكثير من رؤس هؤلاء هكذا تجده تارة يرتد عن الاسلام
ردة صريحة وتارة يعود اليه مع مرض في قلبه ونفاق وقد يكون له حال ثالثة يغلب الايمان فيها
النفاق لكن قل ان يسلموا من نوع نفاق والحكايات عنهم بذلك مشهورة وقد ذكر ابن قتيبة
من ذلك طرفا في اول مختلف الحديث صح صح صح صح صح

بل اليهود والنصارى يعلمون ان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر مخالفها مثل امره بعبادة الله وحده
لا شريك له ونهيه عن عبادة احد سوى الله من الملائكة والنبيين والشمس والقمر والكواكب
والاصنام وغير ذلك فان هذا اظهر شعاير الاسلام ومثل امره بالصلاة الخمس وايجابه لها
وتعظيم شانها ومثل معاداته لليهود والنصارى والمشركين والصابئين والمجوس ومثل
تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك صح صح صح

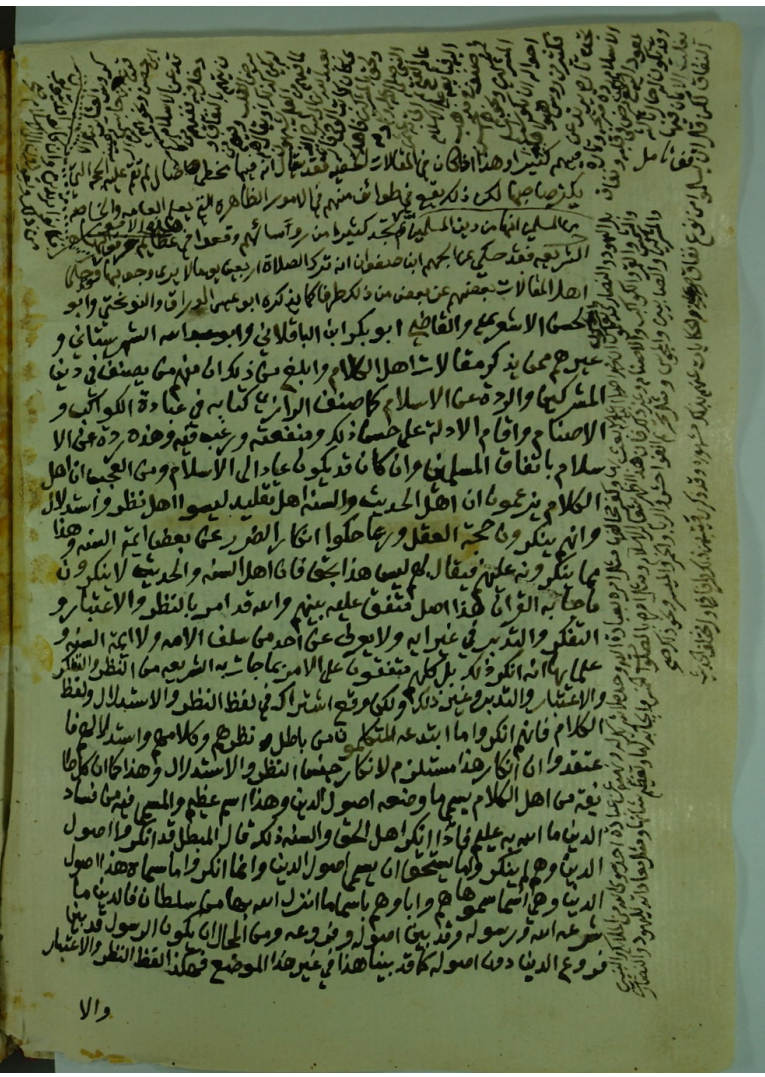

والاستدلال وعامة هذه الضلالات انما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما كان
الزهري يقول كان علماؤنا يقولون الاعتصام بالسنة هو النجاة وقال مالك السنة سفينة
نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وذلك ان السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط
المستقيم الذي يوصل العباد الى الله والرسول هو الهادي الخريت الدليل في هذا الصراط
كما قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا و
قال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
الا الى الله تصير الامور وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال عبد الله بن مسعود خط رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبل
منها شيطان يدعوا اليه ثم قرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله واذا تامل العاقل الذي يرجو لقاء الله هذا المثال وتامل ساير
الطوائف من الخوارج ثم المعتزلة ثم الجهمية والرافضة ومن اقرب منهم الى السنة من اهل
الكلام مثل الكرامية والكلابية والاشعرية وغيرهم وان كلا منهم له سبيل يخرج عما عليه
الصحابة واهل الحديث ويدعي ان سبيله هو الصواب وجدت انهم المراد بهذا المثال الذي
ضربه المعصوم الذي لا يتكلم عن الهوى ان هو الا وحي يوحى والعجب ان من هولاء من يصرح
بان عقله اذا عارضه الحديث لا سيما في اخبار الصفات حمل الحديث على عقله وصرح بتقديمه
على الحديث فليت شعري هل عقله هذا كان مصرحا بتقديمه في الشريعة المحمدية فيكون من
السبيل المامور باتباعه ام هو عقل مبتدع جاهل ضال جاير خارج عن السبيل فلا حول و
لا قوة الا بالله وهولاء الاتحادية وامثالهم انما اتوا من قلة العلم والايمان بصفات الله التي
يتميز بها عن المخلوقات وقلة اتباع السنة وطريقة السلف في ذلك بل قد يعتقدون من
التجهم ما ينافي السنة تلقيا لذلك عن متفلسف او متكلم فيكون ذلك الاعتقاد صادا لهم عن
سبيل الله كلما ارادت قلوبهم ان تتقرب الى ربها وتسلك الصراط المستقيم اليه وتعبده
كما فطروا عليه وكما بلغتهم الرسل من علوه وعظمته صرفتهم تلك العوايق المضلة عن ذلك
حتى تجد خلقا من مقلدة الجهمية يوافقهم بلسانه واما قلبه فعلى الفطرة والسنة واكثرهم
لا يفهمون النفي الذي يقولونه بالسنتهم بل يجعلونه تنزيها مطلقا مجملا ومنهم من لا

وجعله ميزانا للحديث صح

يفهم قول الجهمية بل يفهم من النفي معنى صحيحا ويعتقد ان المثبت يثبت نقيضه فاذا ذكر لهم
من بعض الناس اذا ذكر ذلك مثلا انه يفهم من قولهم ليس بجهة ولا في مكان ولا هو في السماء انه ليس في
جوف السموات وهذا معنى صحيح وانما نبه على ذلك وكما يظن ان الذين قالوا هذا النفي اقتصروا
على ذلك وليس كذلك بل مرادهم انه ما فوق العرش شيء اصلا ولا فوق السموات الا العدم محضا ليس
هناك الا يعبد ولا رب يدعى ويسأل ولا خالق خلقا الخلائق ولا عرج يا النبي الى ربه اصلا هذا
مقصودهم وهذا هو الذي اوقع الاتحادية في قولهم هو نفسه الوجودات اذ لم يجدوا في الوجود الا
وجودا واحدا للموجودات اذا لم يكن هناك فوق شيء اخر وهذا من المعارف الفطرية التي
الوجود به انه ليس الا هذا الوجود المخلوق او وجودا اخر مباينا له متميزا عنه لا يسمى اذا كان
اما الاعلا كمستديرة واما الاعلى هو المحيط فانه يعلم بالا انه ليس الا هذا الوجود المخلوق او
موجود فوقه فاذا اعتقد وامع ذلك انه ليس هناك وجود اخر ولا فوق العالم شيء لزم
اما ان يقولوا هو هذا الوجود المخلوق كما قالت الاتحادية وهذه بعينها حجة الاتحادية وهذا
بعينه مشرب قدماء الجهمية وحدثانهم كما يقولون هو في كل مكان ولا يسمى في مكان ولا يختص
بشيء يجعلونه اذا بايناه العالم فتعين ان يكون هو العالم او يكون ما فيه ثم يريدون اثبات موجود وليس
شيء فوق العالم فتعين ان يكون هو العالم او يكون ما فيه ثم يريدون اثبات شيء غير المخلوق
فيقولون ليس في العالم كما ليس خارجا عنه او يقولون هو وجود المخلوقات دون اعيانها او
يقولون هو الوجود المطلق فيثبتون ما فيها يثبتونه اذا كانت قلوبهم متشابهة في النفي و
التعطيل وهو انكار موجود حقيقي مباين للمخلوق فاستعار عليها وانما يفترقون فيما
يثبتونه ويكرهون ما نظرهم وعقولهم على قبول المحال المتناقض فيقولون هو العالم او
ليس هو فيه او هو العالم وليس اياه او يقلبون الاثبات فيقولون بل هو نفسها الوجود
او النفي فيقولون ليس في العالم ولا خارجا عنه او يدينون بالاثبات فيحال وبالنفي فيحال
اذا غلب على احدهم عقله غلب النفي وهو انه ليس في العالم واذا غلب عليه الوجد والعبادة
رجح الاثبات وهو انه في هذا الوجود او هو هو لاتحد جهميا الاعلى احد هذه الوجوه الا
ربعة واما تنوعوا فيما يثبتونه كما ذكرته لك في مشركي الصابئة في التعطيل وقد رأيت منهم وسمعت
كثيرا منهم وممن يخبر عنهم ما شاء الله وكلهم على هذه الاصول الثلاثة او ما معها وهو
المهم وخالقهم ثم رأيت كلام السلف والائمة كلهم يصفونهم بمثل ذلك مثنا الله عليها باتباع سبيل

الهامش

الومنين وامنا بالله وبرسوله وكل هو لا تجد نفسه مضطرة في هذا الاعتقاد لما تناقضه في
نفسه وانما يمسكها بعضا اضطرابه نوع تقليد لمعظم عنده او خوفه من مخالفة اصحابه او
زعمه ان هذا مما حكم الوهم والخيال دون العقل وهذا الثاني فنفاه اثبات هذا الموجود الذي
ليس بخارج عن العالم ولا هو العالم الذي باشره فطرهم وشهودهم وعقولهم غير ما في
الفطرة من الاقرار بفوق العالم فاما هذا اقرار الفطرة بالمعنى المعروف وذاك انكار
الفطرة بالباطل المنكوس وما هذا الباب مما ذكره محمد بن طاهر المقدسي في حكايته المعروفة ان
الشيخ ابا جعفر الهمداني حضر مرة والاستاذ ابو المعالي يذكر على المنبر كان الله ولا عرش
ونحن الآن على العرش على ما عرف من قوله وان كان الآن على خلاف ما كان فرجع عن هذه العقيدة
ومات على دين امه ومجاذبة نيسابور فقال الشيخ ابو جعفر يا استاذ عنا ما ذكرت العرش
اخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ما قال عارف قط يا الله الا وجد من قلبه
معنى يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة قصدا ابو المعالي ووضع يده على رأسه وقال
حيرني الهمداني اوكما قال ونزل فهذا الشيخ نكل بما سأل جميع بني آدم فاخبرنا ان العرش والعلم
باستواء الله عليه انما اخذ من جهة الشرع وخبر الكتاب والسنة فخلاف الاقرار بعلو الله على الخلق
من غير تعيين عرش ولا استواء مما قال هذا امر فطر عليه ضرورة يجده في قلبه بنا ضرورة وجميع
من يدعو الله تعالى فليتفكر في هذه الضرورة من قلبه بنكوس الجارية التي قال لها النبي صلى الله
عليه وسلم اين الله قالت في السماء قال اعتقها فانها مؤمنة جارية الجهمية ارأيت من فطرها او
اخبرها بما ذكرته وانما اخبرت عن الفطرة التي فطرها الله تعالى وافطرها صلى الله عليه
وسلم على ذلك وشهد لها بالايمان فليتأمل العاقل ذلك يجده هادية الى موفقة ربه والاقرار
به كما ينبغي لا ما احدثه المتعوفون والمتشدقون ما سول لهم الشيطان واملى لهم وما مثله
ذلك الذين لبسوا الكلام بالفلسفة من الجامدة المتكلمين تجد هم بعدون من الاسرار المصونة
والعلوم المخزونة ما اذا تدبره العاقل وجد فيه من الجهل والضلال ما لا يكاد
يظن انه يقع فيه هو لا حتى قد يكذب بصدور ذلك عنه مثل تفسير حديث المعراج الذي رواه ابو
عبد الله الرازي الذي احتوى على فيه حذيفة وابن سينا وعيسى القضاة الهمداني فانه روى حديث
المعراج بسياق طويل واسما مجيبه وترتيب لا يوجد في شيء من كتب المسلمين لا في الاحاديث
الصحيحة ولا الحسنة ولا الضعيفة المروية عند اهل العلم وانما وضعه بعض السؤال والطرقية
بعض شياطين الوعاظ او بعضا الزنادقة ثم انه مع الجهل بحديث المعراج الموجود في كتب

يعني لان ذلك انما
جاء في السمع حي

تكليف بوضع هذه
الضرورة في كل مكان

الحديث والتفسير والسيرة وعدوله عما يوجد في هذه الكتب الى ما لم يسمع من عالم ولا يوجد
اثاره من علم فسره بتفسير الصابية الضالة المنجمين وجعل مضمونه معراج الرسول ترقيه
بفكره الى الافلاك وان الانبيا الذين راهم هم الكواكب فادم هو القمر وادريس هو الشمس
والانهار الاربعة هي العناصر الاربعة وانه عرف الوجود الواجب المطلق ثم انه يعظم ذلك و
يجعله من الاسرار والمعارف التي يجب صونها وسرها عن افهام المومنين وعلمايهم حتى ان
طايفة ممن كانوا يعظمونه لما راوا ذلك تعجبوا منه غاية التعجب وجعل بعض المتعصبين
له يدفع ذلك حتى اروه النسخة بخط بعض المشايخ المعروفين الخبيرين بحاله وقد كتبها
في ضمن كتابه الذي سماه المطالب العالية وجمع فيه عامة ارا الفلاسفة والمتكلمين و
تجد ابا حامد الغزالي مع ان له من العلم بالفقه والتصوف والكلام والاصول وغير ذلك
مع الزهد والعبادة وحسن القصد وتبحره في العلوم الاسلامية اكثر من اوليك يذكر في
كتاب الاربعين ونحوه كتابه المضنون به على غير اهله فاذا طلبت ذلك الكتاب و
اعتقدت فيه اسرار الحقايق وغاية المطالب وجدته قول الصابية المتفلسفة بعينه قد
غيرت عباراته وترتيبه ومن لم يعلم حقايق مقالات العباد ومقالات اهل الملل يعتقد
ان ذاك هو السر الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وانه هو الذي يطلع عليه
المكاشفون الذين ادركوا الحقايق بنور الهي فان ابا حامد كثيرا ما يحيل في كتبه على
ذلك النور الالهي وعلى ما يعتقد انه يوجد للصوفية والعباد برياضتهم وديانتهم من
ادراك الحقايق وكشفها لهم حتى يزنوا بذلك ما ورد به الشرع وسبب ذلك انه كان قد
علم بذكايه وصدق طلبه ما في طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب واتاه الله
ايمانا مجملا كما اخبر به عن نفسه وصار يتشوف الى تفصيل الجملة فيجد في كلام المشايخ
والصوفية ما هو اقرب الى الحق واولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين والا
مر كما وجده لكن لم يبلغه من الميراث الذي عند خاصة الامة من العلوم والاحوال
وما وصل اليه السابقون الاولون من العلم والعبادة حتى نالوا من المكاشفات العلمية
والمعاملات العبادية ما لم ينله اوليك فصار يعتقد ان تفصيل تلك الجملة يحصل بمجرد
تلك الطريق حيث لم يكن عنده طريق غيرها لانسداد الطريقة الخاصة السنية النبوية
بما كان عنده من قلة العلم بها ومن الشبهات التي تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين
حتى حالوا بها بينه وبين تلك الطريقة ولهذا كان كثير الذم لهذه الحوايل ولطريقة

المو

العلم وانما ذاك لعلمه الذي سلكه والذي حجب به عن حقيقة المتابعة للرسالة وليس هو
بعلم وانما هو عقايد فلسفية وكلامية كما قال السلف العلم بالكلام هو الجهل وكما قال
ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق ولهذا صار طايفة ممن يرى فضيلته وديانته
يدفعون وجود هذه الكتب عنه حتى كان الفقيه ابو محمد بن عبد السلام فيما علقه
عنه انه ينكر ان يكون بداية الهداية من تصنيفه ويقول انما هو تقول عليه مع ان
هذه الكتب مقبولها اضعاف مردودها والمردود منها امور مجملة وليس فيها
عقايد ولا اصول الدين واما المضنون به على غير اهله فقد كان طايفة من العلما
يكذبون به عنه واما اهل الخبرة به وبحاله فيعلمون ان هذا كله كلامه لعلمهم بمواد كلا
مه ومشابهة بعضه بعضا ولكن كان هو وامثاله كما قدمت مضطربين لا يثبتون
على قول ثابت لان عندهم من الذكا والطلب ما يتشوفون به الى طريقة خاصة الخلق
ولم يقدر لهم سلوك طريقة خاصة هذه الامة الذين ورثوا عن الرسول العلم والايمان وهم
اهل حقايق الايمان والقران كما قدمناه واهل الفهم لكتاب الله والعلم والفهم لحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم واتباع هذا العلم بالاحوال والاعمال المناسبة لذلك كما جات به الر
سالة ولهذا كان الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح يقول فيما رايته بخطه ابو حامد كثير القول
فيه ومنه فاما هذه الكتب يعني المخالفة للحق فلا يلتفت اليها واما الرجل فيسكت
عنه ويفوض امره الى الله ومقصوده انه لا يذكر بسو لان عفو الله عن الناسي والمخطي
وتوبة الذنب تاتي على كل ذنب وذلك من اقرب الاشيا الى هذا وامثاله ولان مغفرة الله با
لحسنات منه ومن غيره وتكفيره الذنوب بالمصايب تاتي على محقق الذنوب فلا يقدم
الانسان على انتفا ذلك في حق معين الا ببصيرة لا سيما مع كثرة الاحسان والعلم
الصحيح والعمل الصالح والقصد الحسن وهو رحمه الله يميل الى الفلسفة لكنه اظهر
في قالب التصوف والعبارات الاسلامية ولهذا رد عليه علما المسلمين حتى اخص اصحابه به
ابو بكر ابن عربي قال شيخنا ابو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثم اراد ان يخرج منهم فما قدر وقد
حكي عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه ورد عليه ابو عبد الله
المازري في كتاب افرده ورد عليه ابو بكر الطرطوشي ورد عليه ابو الحسن المرغيناني رفيقه
رد عليه كلامه في مشكاة الانوار ونحوه ورد عليه الشيخ ابو البيان والشيخ ابو عمرو ابن الصلاح

وحذر من كلامه هو وابو زكريا النواوي وغيرهما ورد عليه ابن عقيل وابن الجوزي
وابو محمد المقدسي وغيرهم وهذا باب واسع فان الخارجين عن طريقة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان لهم في كلام الرسول ثلاث طرق
طريقة التخييل والتاويل والتجهيل فاهل التخييل هم الفلاسفة واباطنية الذين يقولون انه يخيل شيئا لا حقيقة لهما في الباطن وخاصية النبوة عندهم التخييل والتاويل
طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة واتباعهم يقولون اغاقاله لنا تاويلا تخالف
ما دل عليه وما يفهم منه وهو وان كان لم يبين مراده ولا بين الحق الذي يجب اعتقاده
فكان مقصوده ان هذا يكون سببا للبحث بالعقل حتى يعلم الناس الحق بعقولهم ويجتهدوا في تاويل الفاظه الى ما يوافق قوله ليثابوا على ذلك فلم يكن قصده بيان
والهداية والارشاد والتعليم بل قصد التعمية والتلبيس ولم يقع في الحق حتى يثابوا
بعلمه ويعرفوا حينئذ ان كلامه لم يقصد به البيان فيجعلوه حاكما في العلم بعد ما
خيل اليهم حاكما بوجوده واوليكم المتفقهة هو ما كان سببا وامثاله يقولون ما هو لا
يقولون الفاظه كثيرة صريحة لا تقبل التاويل لكن كان قصده التخييل وان يعتقد
الناس الامور على خلاف ما هو عليه واما الصنف الثالث الذين يقولون انهم اتبعوا
السلف فيقولون انا لم نكن نعرف معنى ما انزل عليه فهذه الايات ولا اصحابه يعلمون
معنى ذلك بل لازم قولهم انه هو نفسه لم يكن يعرف معنى ما تكلم به من احاديث الصفات
بل يتكلم بكلام لا يعرف معناه والذين يتاولون منهم مذهب السلف يقولون انهم لم يكونوا
يعرفون معاني النصوص بل يقولون مثل ذلك في الرسول وهذا القول من ابطل الاقوال
ومما يعتمد ويعلم مما ذكرناه من قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله ويقف الا
التاويل هو المعنى الذي يعلمه هو تاويله لا يعلمه الا الله ويريدون بالتاويل ما يخالف الظاهر وهذا
النصوص على ظاهرها وتاويلها لا يعلمه الا الله ويريدون بالتاويل ما يخالف الظاهر وهذا
ثنا فض عظم وطائفة يريدون بالظاهر الفاظ النصوص فقط والطائفتان غلطتا
في فهم الاية وذكرنا ان لفظ التاويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاث معان
احدها ان يراد بالتاويل حقيقة ما يؤول اليه الكلام وان وافق ظاهره وهذا هو المعنى
الذي يراد بلفظ التاويل في الكتاب والسنة كقوله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي

تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق وهذا قول عايشة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم
اغفر لي يتاول القرآن ويريد بلفظ التاويل التفسير وهو اصطلاح كثير من المفسرين
ولهذا قال مجاهد امام التفسير ان الراسخين في العلم يعلمون تاويله فانه اراد
بذلك تفسيره وبيان معانيه وهذا مما يعلم الراسخون ولو الثالث ان يراد بلفظ التاويل صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره الى ما يخالفه فذكر له دليل منفصل يوجب
ذلك وهذا التاويل لا يكون الا مخالفا لما يدل عليه اللفظ وبينه وتسمية هذا تاويلا لم
يكن في عرف السلف وانما سمي هذا وحده تاويلا طائفة من المتاخرين الذين يضيعون في الفقه
واصوله والكلام وظن هو لاء ان قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله يريد به هذا المعنى
ثم صاروا في هذا التاويل على طريقين فمنهم من يقول انه لا يعلمه الا الله وطائفة يقولون
ان الراسخين في العلم يعلمونه وكلا الطائفتين غلطتا في هذا التاويل في كثير مما تاولوا
صنع او اكثره وعامته من باب تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تاويلات القرامطة
والباطنية وهذا هو التاويل الذي اتفق سلف الامة وائمتها على ذمه وصاحوا بأهله من اقطار الارض وهو الذي اشتهر انه صنف الامام احمد كتابا لرد تاويل
هؤلاء وسماه الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتاويله على
غير تاويله فعاب احمد عليهما ان تفسر القرآن بغير ما هو معناه ولم يقل احد ولا احد
من الائمة ان الرسول لم يكن يعرف معاني ايات الصفات واحاديثها ولا قالوا ان الصحابة
والتابعين لهم باحسان لم يعرفوا تفسير القرآن ومعانيه كيف وقد امر الله بتدبر كتابه
فقال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته ولم يقل بعض اياته وقال افلا يتدبرون القرآن وقال افلم يدبروا القول وامثال ذلك مما نص فيه على ان الله بين ان الله يحب ان
يتدبر القرآن كله وانه جعله نورا وهدى للعباد ومحال ان يكون ذلك مما لا يفهم معناه
وقد قال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله
بن مسعود انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يجاوزها حتى يتعلم
ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا وهذه الامور مبسوطة
في غير هذا الموضع والمقصود هنا انه من يقول في الرسول وبيانه للناس ما هو من قول
الملاحدة فكيف يكون قوله في السلف حتى يدعي اتباعه وهو مخالف للرسول والسلف

عند نفسه وطابقته فانه اظهر من قول النفاة ما كان الرسول لا يريد اظهاره لما فيه من فساد
الناس واما عند اهل العلم والايمان فلا وقول النفاة باطل باطنا وظاهرا والرسول صلى الله
عليه وسلم ومتبعوه منزهون عنه بل مات صلى الله عليه وسلم وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها
لا يزيغ عنها الا هالك واخبرنا ان كل ما حدث بعده من محدثات الامور بدعة وكل بدعة ضلالة
له وكل ضلالة في النار وربما انشد بعضهم اهل الكلام بيت مجنون بني عامر وكل يدعي وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا فمن اين الشعر ما هو حكمة او تمثل ببيت من الشعر فيما بيناه ان
لكان حقا بيانا اما اثبات الدعوى بمجرد كلام منظوم من شعر او غيره فيقال لصاحبه بينا ان
ثبتنا ان السلف لا يقرون ما ينافي انتظام هذا الطريق هو وغيره مما يقولون ان عن
السلف ما لم يقولوه ولم ينقل عنهم احد لم يعرفه بحال ومعلوم فيما نقل فان الناقل لا بد ان يكون
عالما عدلا او فاسقا او احد نقل مذهب السلف كما يذكره فاما ان يكون قليل المعرفة بما
نقل السلف كابي المعالي وابي حامد وابي الخطيب وامثالهم فهؤلاء لم يكن لهم من المعرفة بالحديث
ما يعد به من عوام اهل الصنائع فضلا عن خواصها ولم يكن الواحد منهم لا يعرف البخاري
مسلما واحاديثهما الا بالسماع كما يذكره لكل العامة ولا يميزون ما من الحديث الصحيح الى المتواتر
تر عند اهل العلم بالحديث والحديث المفترى المكذوب وكتبهم اصدق شاهد بذلك فغيرها
عجايب وبحد عامة هو لاء الخارجين عن مناهج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك
اما عند الموت واما قبل الموت والحكايات في هذا كثيرة معروفة هذا ابو المعالي الاشعري
نشأ في الاعتزال اربعين عاما يناظر عليه ثم رجع عما ذكر وصرح بتضليل المعتزلة وبالغ
في الرد عليهم وهذا ابو حامد الغزالي قال لقد تاملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما
رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن وكان يتمثل
كثيرا نهاية اقدام العقول عقال واكثر سعي العالمين ضلال وارواحنا في وحشة
من جسومنا وحاصل دنيانا اذى ووبال ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى ان جمعنا قيل وقال وصنف لجام العوام عن علم الكلام وهذا امام الحرمين ذكر ما
كان يتخلله ويقرره واختار مذهب السلف وكان ينشد نعم ما لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم فلم ار الا واضعا كف حائر على ذقن او قارعا سن نادم
وابن الفارض صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك وما احسن ما سميتها بنظم السلوك
انه اعلم بها وبما اشتملت عليه ونفقت كثيرا وبالغ اهل العصر في تحسينها والاعتناء بما
فيها

بلغ ومقابلة على الاصل صح

الحمد لله البسيط الذي لا تتبين فيه حق ولا يزيد عين
هدى ولا كفر الكفر بستانه للبسيط وكل الكفر فلا يدخل
من جهل مركب فضرب بجهل المتكلمين بذلك سبب حال
الاعتقاد الفاسد وبين حال علم ويقينها الوجود هو
سبب حال المقتضي عليه والعذاب وحال الرضا الذي هو
الباطن هو حتى يحل به العذاب وحال الرضا الذي هو
بر مرضي الله عنه صح فسبحان الله العظيم ان ثبت ذلك

فيها مما الاتحاد بها حضرة الوفاة انشد ان كان منكم لي بالحبيب عندكم ما قد لقيت
لقد ضيعت ايامي امنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم اسبها اضغاث احلام
فسئال الله العظيم ان يثبتنا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والاخرة وان يعرفنا
عتصام بالكتاب والسنة وما مثله ما يعسبه كثير من اتباع المشايخ والصوفية الى المشايخ
الصادقين من الكذب والمحال او يكون من كلام المتشابه الذي انا ونوله على غير تاويله او
يكون من غلطات بعض الشيوخ وزلاتهم او من ذنوب بعضهم وخطاياهم مثل كثير من
البدع والفجور الذي يفعله بعضهم بتاويل سايغ او بوجه غير سايغ فيعفى عنه او يتوب
او يكون له منه ومن غير حسنات يقوله بها او مصايب يكفر عنه بها او يكون من كلام
المشبهين باولياء الله معاذ ويا الزهادات والعبادات والمقالات وليس هو من اولياء
لها الله المتقين بل من الجاهلين الظالمين المعتدين او المنافقين او الكافرين وهذا
كثير ملا العالم تجد كل قوم يدعون من الاختصاص بالاسرار والحقايق ما لا يدعيه غيرهم
واذا ذلك عند خواصهم واذا ذلك لا يقابل الا بالتسليم ويحتج لذلك باحاديث موضوعة
تفصوات باطله مثل قولهم عن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحدث هو وابو بكر بحديث
وكنت كالزنجي بينهما فيجعلوا عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه كالزنجي وهو حاظر
يسمع الكلام ثم يدعي احدهم انه علم ذلك بما قذف في قلبه ويدعي كل منهم اذا ذلك هو ما يقوله
من الزور والباطل ولو ذكرت ما في هذا الباب من الاصناف لطال فمنهم من يجعل
للشيخ قصايد يسميها جنيب القرآن ويكون اوجده بها وفرحه بعضو منها الخواص
القرآن ويكون فيها من الكذب والضلال امور وضع من يجعل له قصايد في الاتحاد وانه
هو خالق جميع الخلق ووضع من يصف الرب في قصايده بما نقل في الموضوعات من اصناف
التمثيل والتكييف والتجسيم التي هي كذب مفترى وكفر صريح مثل مواكلته ومشاربته وما
شاكله ومعانقته ونزوله الى الارض وقعوده على بعض ارباض الارض ونحو ذلك ويجعل
كل منهذ ذلك من الاسرار الخزونة والعلوم المصونة التي تكون لخواص اولياء الله المتقين ومن امثلة
ذلك انك تجد عند الرافضة والمتشيعة ومن اخذ عنهم من دعوى علوم الاسرار والحقايق التي
يدعون اخذها عن اهل البيت اما من العلوم الدينية واما من علم الحوادث الكايدة مما
هو عندهم من اجل الامور التي يجب التواصي بكتمانها والايمان بما لا يعلم حقيقته من ذلك

من هامش

خلق السموات والارض
وانه يسجد له من في

مثلا كل ما يطبع كتبه ... اصطبانا بت وضع ... في اسواق ... اصطبانا كل
حتى ... ان ... ويضرب ... اسم الارض ... الله ... ليعلم ... ويتكرون ...
خبيث ... يضيف ... احتث ... من ... فوق ... الارض ... ما ... لها ... من ... قرار ... ابطيت
اسم الذين ... اسموا ... الله ... وان ... الكتاب ... ويضل ... الله
الظالمين ... ويفعل ... الله ... ما ... يشاء ... والكلمة ... اصل ... المعنوية ... فان ... الاعتقاد
هو الكلمة ... التي ... اعتقدها ... الرب ... والطيب ... الكلام ... الحق ... يكون ... طيبا ... الرب
واعتقاد ... الانسان ... ما ... يجب ... الكلم ... والعقايد ... كلها ... الرب ... هو
الاتخاذ ... الها ... مع ... الله ... فان ... ذكر ... باطلا ... لا ... حقيقة ... له ... ولهذا ... قال ... الخالق
ما ... لها ... من ... قرار ... وكلمة ... الكل ... يحب ... الباحث ... وعلى ... العالم ... بها ... هذه
الكلمات ... والحق ... يدل ... الكتب ... الرب ... الاضلال ... وعداء ... الحق ... وهو
على ... ابطالا ... بها ... فان ... الله ... تعالى ... والذين ... كفروا ... اعمالهم ... كسراب ... بقيعة
يحسبه ... الظمان ... ماء ... حتى ... اذا ... جاءه ... لم ... يجده ... شيئا ... ووجد ... الله ... عنده
فوفاه ... حسابه ... والله ... سريع ... الحساب ... او ... كظلمات ... في ... بحر ... لجي ... يغشاه
موج ... من ... فوقه ... موج ... من ... فوقه ... سحاب ... ظلمات ... بعضها ... فوق
بعض ... اذا ... اخرج ... يده ... لم ... يكد ... يراها ... ومن ... لم ... يجعل ... الله ... له ... نورا ... فما
له ... من ... نور ... فذلك ... كسراب ... نسلب ... احدها ... مثل ... الكلب ... والجهل
الرجل ... نور ... والكسر ... كسراب ... يحسبه ... صاحبه ... موجودا ... ويكون ... خيالا ... لا ... وجود
الكلب ... الذي ... يحسبه ... صاحبه ... موجودا ... ويكون ... خيالا ... لا ... وجود ... له ... مثل
وكسراب ... الذي ... يحسبه ... الظمان ... ماء ... وليس ... كذلك ... الجهال ... الذين ... يحسبون
انهم ... اذا ... ظلم ... ظالم ... ما ... وجده ... سريعا ... ووجد ... الله ... عنده
فوفاه ... حسابه ... والله ... سريع ... الحساب ... وهذا ... كثير ... هو ... الواقع
الحاصل ... في ... الامم ... والجماعة ... والمثل ... الثاني ... مثل ... الكلب

وجميعها كذب مختلق وافك مفتعل وفي هذه الطايفه من اكثر الطوايف كذبا واوسعها للكذب
ولهذا انتسبت اليهم الباطنيه والقرامطه وهو لاخرج اولهم في زمن امير المومنين علي بن ابي طا
لب رضي الله عنه وصار يدعو انه خصه باسرار من العلوم والوصيه حتى كان يسال عن
ذلك خواصه اصحابه فيخبرهم بانتفاء ذلك ولما بلغه ان ذلك قد قيل كان يخطب الناس وينفي ذلك
وقد خرج اصحاب الصحيح كلاما على هذا من عشرين وجه مثل ما في الصحيح عن ابي جحيفه قال سالت عليا
هل عندكم شي ليس في القران فقال لا والذي فلق الحبه وبرا النسمه ما عندنا الا ما في القران الا فهما
يعطيه الله الرجل في كتابه وما في هذه الصحيفه قلت وما في الصحيفه قال العقل وفكاك الاسير
والا يقتل مسلم بكافر ولفظ البخاري هل عندكم شي من الوحي الا ما في كتاب الله قال لا والذي
فلق الحبه وبرا النسمه ما اعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا في القران وفي الصحيفه قلت وما في الصحيفه قال
العقل عن ابيه وهذا من اصح اسناد على وجه الارض فاما عندنا على الاكتاب الله وهذه
الصحيفه عن النبي صلى الله عليه وسلم المدينه حرم ما بين عير الى ثور وفي روايه لمسلم خطبنا
علي بن ابي طالب فقال من زعم انا عندنا كتابا نقروه الا كتاب الله والا وما في هذه الصحيفه
قال وصحيفه معلقه في قراب سيفه فقد كذب فيها اسنان الابل واشياء من الجراحات وفيها
قال النبي صلى الله عليه وسلم المدينه حرم ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثا او اوى محدثا
فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ذمة المسلمين واحده
يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل
وفيها ايضا المدينه حرم ما بين عير الى كذا فمن احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنه الله
والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وذمة المسلمين واحده يسعى بها ادناهم
فمن اخفر مسلما فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وفي روايه
لمسلم عن علي ما عندنا كتاب نقرا الا كتاب الله وما في هذه الصحيفه قال المدينه حرم ما بين
عير الى كذا فمن احدث حدثا او اوى محدثا فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه
صرف ولا عدل ذمة المسلمين يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنه الله والملايكه والناس
اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وفي روايه لمسلم ايضا عن علي ما عندنا كتاب نقرا الا كتاب
الله وما في هذه الصحيفه قال المدينه حرم ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثا او اوى محدثا
فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وفي روايه لمسلم خطبنا
علي بن ابي طالب فقال من زعم انا عندنا كتابا نقروه الا كتاب الله والا وما في هذه الصحيفه
قال وصحيفه معلقه في قراب سيفه فقد كذب فيها اسنان الابل واشياء من الجراحات وفيها
قال النبي صلى الله عليه وسلم المدينه حرم ما بين عير الى كذا فمن احدث فيها حدثا او اوى محدثا
فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وذمة المسلمين واحده
يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل
وفيها ايضا المدينه حرم ما بين عير الى كذا فمن احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنه الله
والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ذمة المسلمين واحده يسعى بها ادناهم
فمن اخفر مسلما فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وفي روايه
لمسلم عن علي ما عندنا كتاب نقرا الا كتاب الله وما في هذه الصحيفه قال المدينه حرم ما بين
عير الى كذا فمن احدث حدثا او اوى محدثا فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه
صرف ولا عدل ذمة المسلمين يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنه الله والملايكه والناس
اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وفي روايه لمسلم ايضا عن علي ما عندنا كتاب نقرا الا كتاب
الله وما في هذه الصحيفه قال المدينه حرم ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثا او اوى محدثا
فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وفي روايه لمسلم خطبنا
علي بن ابي طالب فقال من زعم انا عندنا كتابا نقروه الا كتاب الله والا وما في هذه الصحيفه
قال وصحيفه معلقه في قراب سيفه فقد كذب فيها اسنان الابل واشياء من الجراحات وفيها
قال النبي صلى الله عليه وسلم المدينه حرم ما بين عير الى كذا فمن احدث فيها حدثا او اوى محدثا
فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل

في دينه فساد يدخل في الاكاذيب الكونيه مثل اهل الاتحاد فانا ابينه في كتاب عقائد مذهب وغيره اخيرا بستة فصول ثلاثة كثيرة عامتها كذب وكذلك ابنا سبعين وكذلك الذين اسلموا جوا مدة بقاء هذه الامة من حساب الجمل من حروف المعجم الذي هو رتبة من اليهود ومعارفها ت الكواكب الذي هو رتبة من الصابئه كما فعل ابو نصر الكندي وغيره من الفلاسفه و كما فعل بعضهم من تكلم في تفسير القرآن من اصحاب الرازي ومن تكلم في تاويل وقايع النساء من المائيلغا الى التشيع وقد رايت من اتباع هو لاء طوائف يدعون ان هذه الامور من الاسرار المخزونه والعلوم المصونه وخاطبتني في ذلك طوائف منهم وكنت احلف لهم ان هذا كذب مفترى وانه لا يخبر به من هذه الامور شيء وطلبت مباهلة بعضهم لان ذلك كان متعلقا باصول الدين وكانوا من الاتحاديه الذين يطول وصفهم وهم في الشيخ الذي هو عارف وقته وزاهد عندهم كانوا يزعمون انه هو المسيح الذي ينزل وان معنى ذلك نزول روحانيته على علي عليه السلام وان امه اسمها مريم وانه يقوم بجمع الملل الثلا ث وانه يظهر مظهر الكل من مظهر محمد وغيره من المرسلين ولهم مقالات من جنس المنكرات يطول ذكرها ووصفها ثم ان من عجيب الامر انا هو لا المتكلمين المدعين لحقايق الامور العليه والدينيه الحالفين للصفة والجماعه يحتج كل منهم بما يقع له من احاديث موضوعة او محمل لا يفهم معناه وكلما وجدا احدنا فيه اجمال انزله على رايه فيحتج بعضهم بالمكذوب مثل قول احمد كنت كالزنجي ومثل ما يروونه من اسم المعراج وما يروونه من ان اهل الصفة سمعوا المناجات من حيث لا يشعر الرسول فلما نزل الرسول اخبروه فقال اما اني سمعته فقالوا كما نسمع الحفاظ ب حتى انه لما بينت لطايفة تشيخوا وصاروا قدوة للناس انا هذا كذب ما خلقه الله قط قلت ونبين لك ذلك ان المعراج كما انه ثبت بنص القرآن وباجماع المسلمين والصفة انما كانت بالمدينه فما انا كما انه لم يكن اهل صفه وكذلك احتجاجهم بان اهل الصفة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مع المشركين لما انتصروا وزعموا انهم مع الله ليحتجوا بانه لكل امة اجل قد سبق اوكما قالوا طاعة سراو معصية ويجعلوا احد دينه هو ما كان كما قال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا امنا من هذه المواضيعات كثيره ولما الجملات فمثل احتجاج بعضهم بقول الصحابه عاد كذب بعضها في العلم كقول علي عليه السلام حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون واتحبون ان يكذب الله ورسوله وقول عبد الله بن مسعود ما من رجل يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم وقول عبد الله بن عباس في تفسير بعض

الايات

الايات ما يوشك اني لو اخبرتك بتفسيرها كفرت وكفرك بها تكذيبك بها وهذه الاثار صحي لكن ينبغي لكل فقيه ذاكر الذي لم يحدث به علما يدعيه هو من الاسرار والحقايق التي اذا كشفت وجدت من الباطل او الكفر والنفاق حتى ان اباحامد في مناهج القاصدين وغيره هو وامثاله تمثل بما يروى عن علي بن الحسين انه قال يا باجوهر علم لو بحت به لقيل لي انت ممن يعبد الوثن ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون انهم بذلك متقربون فاذا كانت هذه طرق هؤلاء الذين يدعون من التحقيق وعلوم الاسرار ما ظهر هو به عن السنه والجماعه ويزعمون ان تلك العلوم الدينيه او الكونيه مختصه بهم فامنوا الجهل ومتشابهها وانه منهم من حقايق العبادات وخالصها الديانات ما لم يمنح الصدر الاول حقائقها الاسلام وبدور الملة ولم يخرج الى عليها بدء وتكذيب مع ظهور الباطل فيها ناره وحقايه اخرى فمن المعلوم ان العقل والدين يقتضيان ان جانب النبوة والرساله احق بكل تحقيق وعلم ومعرفه واحاطة باسرار الامور وبواطنها هذا لا ينازع فيه مومن وتحقيق الامر في مخاطبة من فيه ايمان ولذا كان الامر كذلك فاعلم ايها الناس بذلك لخصه بالرسول واعلم باقواله وافعاله وحركاته وسكناته ومدخله ومخرجه وباطنه وظاهره واعلم باصحابه وسيرته وايامه واعظمهم بحثا عن ذلك وسعيا في تفهمه اتدينا به واتبلغا له واقتفاء به وهولاء اهل السنه والحديث حفظا له ومعرفه بصحيحه وسقيمه وفقهائه وفحواه فيه وتدينا به الله اياه في ما يه وايمانا وتصديقا وطاعه وانقيادا واقتداء واتباعا مع ما يقتضيانه بذلك من قوة علمه وقياسه وتبيينه وعظيم مكاشفاته ومخاطباته فانه اشد الناس نظرا وقياسا واياه و اصدق الناس سرا وباوكشفا فلا يعلم من له ادنى عقل ودين ان هو لا احق بالصدق فيما والعلم والايمان والتحقيق مما يخالفهم وان عندهم من العلوم ما ينكرها الجاهل والمبتدع والذي عندهم هو الحق المبين وان الجاهل بامرهم والمخالف لهم هو الذي معه من الحشو ما معه من الضلال وهذا باب يطول وصفه شرحه فان النفوس لها من الاقوال والافعال بالاعضاء الاذواق والجلال والاقوال اخبارات وانشاآت كالامر والنهي فاحسن الحديث واصدقه كتاب الله خبرا صدق النبي وبيانه اوضح البيان وامره احكم الامر فبايحديث بعد الله وايات يومنون وكل ما اتبع كلاما وحديثا مما يقال انه يلهم صاحبه ويوحى اليه او انه ينشبه ويحدثه بهما يعارض به القرآن فهو من اعظم الظالمين كلهم ولهذا لما ذكر الله سبحانه قول الذين ما قدروا الله حق قدره

حيث انكروا الاسناد الى البشر ذكر المشبهة بازاء المدعين لهذه المسألة من الاقسام الثلاثة فاما الذين قالوا انه يقول اذا اراد او يقول اوحى الى والقى الى وقيل لى ولا يسمى القائل ويضيف ذلك الى نفسه ويذكر انه هو المتكلم له ووجه الحصر انه اما ان يحذف الفاعل او يذكره واذا ذكره فاما ان يجعله من قول الله او من قول نفسه فانه اذا جعله من كلام الشياطين لم يقبل منه وما جعله من كلام الملائكة فهو داخل فيما يضيفه الى الله وفيما حذف فاعله فقال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سانزل مثل ما انزل الله وقد بين كيف جعل الاولين في حيز الذم جعله وحيا من الله ولم يسم الموحى فانهما من جنس واحد في ادعاء جنس الانبياء وجعل الاخر في حيز وهو الذي ادعى اكوانى بمثله ولهذا قال ممن افترى على الله كذبا ثم قال او من قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ مما جملة الاسم الاول وقد فرق به الاسم الاخر فهو الثلاثة المدعوا لشبه النبوة وقد تقدم قبل هذا الكذب للنبوة فقد جمع جميع اصول الكفر التي هي تكذيب للرسل او محضاتها بمنزلة الكذب واشباهه وهذه هي اصول البدع التي نذمها نحن في هذا المقام لا اني المخالف للسنة يرد بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويعارض قول الرسول بما يجعله نظيره المعارض او كشف او نحو ذلك فقد تبين ان الذي يسمى هولاء وايمتهم حشوية هو احق بكل وصف يذمون يذكرونه وايمة هولاء احق بكل علم نافع وتحقيق وكشف حقائق واختصاص بعلوم الدين فيما علماء هو لاء الجهال المنكرون عليهم المكذبون لرسوله فاما الحشوية اي كما لا انهم يردون الاحاديث بلا تمييز فانهم لفوا لهم اعظم الناس قولا للحشو الا راء والكلام الذي لا يعرف صحته بل يعلم بطلانه وان كان لا يفهم عامة الا من يرون فهم من فرقة من تلك الفرقة الا واتباعها من اجهل الخلق واكفرهم وعوامهم هو لاء المساجد بالصلوات واهل الذكر والدعوات وحجاج البيت والعتيق والمجاهدون في سبيل الله واهل الصدق والامانة وكل خير في العالم فقد تبين لك انه احق بوجود الذم وان هو لاء ابعد عنها وان الواجب على الخلق اذا رجعوا اليه فيما اختصه الله به من الوراثة النبوية التي لا توجد الا عندهم وايضا يتبع النظر في الموسوم بهذا الاسم وفي الواسمين له به ايهما احق وقد علم ان هذا الاسم انما اشتهر عما انتفاه عنهم مظنة الفرقة كما ذكروا العلم كان رجاج وغيره ان علامة الزنادقة تسميتهم لاهل الحديث حشوية وحتى تتكلم بالاسماء التي لا نزاع فيها مثل لفظ الاثبات والنفي فنقول المعلوم ان هذا

من لقب بعض الناس لاهل الحديث الذي يعرفونه على ظاهره فكل من كان عنده بعد كان اعظم ذما بذلك كالقرامطة ثم الفلاسفة ثم المعتزلة وهم يذمون بذلك المتكلمة الصفاتية من الكلابية والكرامية والاشعرية والفقهاء والصوفية وغيرهم فكل من اتبع النصوص صار اقرب اليهم بهذا الذم ومن قال بالصفات العقلية مثل العلم والقدرة دون الخبرية ونحو ذلك يسمى مثبتة الصفات الخبرية حشوية كما يفعل ابو المعالي وابو حامد ونحوهما وطريقة ابي المعالي كما هو ابو محمد يتبع في فقهه وكلامه لكن ابو محمد كان اتبع لعلم الحديث واتبع له من ابي المعالي وبعد اهب الفقهاء واصحابا الكلام وهما في العربية متقاربان وهو لا يعيبون منازعهم اما لجمعهم حشو الحديث مع غير تمييز بين صحيحه وضعيفه او لكونهم اتباع الحديث في مسايل الاصول من مذهب الحشو لانها مسايل علمية والحديث لا يفيد ذلك او لان اتباع النصوص مطلقا في المباحث الاصولية الكلامية حشو لان النصوص لا تتم بذلك فالامر راجع الى احد امرين اما ريب في الاسناد او في المتن اما لانه يضيفون الى الرسول ما لم يعلم انه قاله كاخبار الاحاد ويجعلون مقتضاها العلم واما لانهم يجعلون ما فهموه من اللفظ معلوما وليس هو بمعلوم مما في الادلة اللفظية من الاحتمال ولا ريب ان هذا عمدة كل زنديق ومنافق يبطل العلم بما بعث الله به رسله تارة يقول لا نعلم انهم قالوا ذلك وتارة يقول لا نعلم ما اراد وابعد هذا القول ومتى انتفى العلم بقولهم او بمعناه لم يستفد من جهتهم علم فيبقى كل من بعد فكل ان يقول ما يقول من المقالات وقد مر على نفسه اما بعدا ضلالا عن الانبياء لانه قد وكل نفوذها بذلك الداعي الدافعين لجنود الرسل عنه الطاعنين لمن اصحح بها وهذا القدر يعينه عين الطعن في نفس النبوة بل يرتع بتعظيمهم وكلهم اقرار من لا يتلقى ما جهته علم فيكون بالرسول عنده بمنزلة خليفة يعطى السكة والخطبة رسما ولفظا كتابة وقولا من غير ان يكون له امر اونهي مطاع فله صورة الامامة بما جعل له من السكة والخطبة وليس له حقيقتها وهذا القدر واما استيجاز كثير من الملوك لعجز بعض الخلفا عن القيام بواجبات الامارة من الجهاد والسياسة كما يفعل ذلك كثير من نواب الولاة لضعف مستنيبه وعجزه فيتكب من تقدم ذو المنصب والبيت وقوة نايبه صلاح الامر او فعل ذلك لهوى ورغبة في الرياسة له وطايفته دون ما هو احق بذلك منه وسلك مسلك المتغلبين بالعدوان فمن المعلوم

مطلب يغيب في اليوم اهل الاهواء الذين الباطلة التي يعتقدها

ان المومن بالله ورسوله لا يستجيز ان يقول في الرسالة انها عاجزة عن تحقيق العلم وبيانه
حتى يكون الاقرار بها مع تحقيق العلم الالهي من غيرها موجبا لصلاح الدين ولا يستجيز
ان يعتدي عليها بالتقدم بين يدي الله ورسوله ويقدم علمه وقوله على علم الرسول وقوله و
لا يستجيز ان يسلط عليها التاويلات العقلية ويدعي ان ذلك من كمال الدين وان الدين
لا يكون كاملا الا بذلك واحسن احواله ان يدعي ان الرسول عالما بان ما اخبر به ان له تا
ويلات وتبيانا غير ما يدل عليه ظاهر قوله ومفهومه وانه ما ترك ذلك الا ما كان يمكنه
بين تلك الاعراب ونحوهم وانه وكل ذلك الى عقول المتاخرين وهذا هو الواقع فان
المتفلسفة تقول ان الرسل لم يتمكنوا من بيان الحقايق لان اظهارها يفسد الناس ولا
تحتمل ذلك عقولهم ثم قد يقولون انهم عرفوها وقد يقول بعضهم لم يعرفوها او انا اعرف
بها منهم ثم يبينونها هم بالطرق القياسية الموجودة عندهم ولم يعقلوا انه ان كان العلم
بها ممكنا فهو ممكن لهم كما يدعون انه ممكن لهم والا فلا سبيل لكم الى معرفتها باقرارهم وكذلك
التعبير وبيان العلم بالخطاب والكتاب ان لم يكن ممكنا فلا يمكنكم ذلك وانتم تتكلمون و
تكتبون علمكم في الكتب وان كان ذلك ممكنا فلا يصح قولكم لم يمكن الرسل ذلك وان قلتم
يمكن الخطاب بها مع خاصة الناس دون عامتهم وهذا قولهم فمن المعلوم ان علم الرسل
يكون عند خاصتهم كما يكون علمكم عند خاصتكم ومن المعلوم ان كل من كان بكلام المتبوع
واحواله وبواطن اموره وظواهرها اعلم وهو بذلك اقوم كان احق بالاختصاص به
ولا ريب ان اهل الحديث اعلم الامة واخصها بعلم الرسول وعلم خاصته مثل الخلفا الراشد
ين وساير العشرة ومثل ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله
بن سلام وسلمان الفارسي وابي الدردا وعبادة بن الصامت وابي ذر الغفاري وعمار
بن ياسر وحذيفة بن اليمان ومثل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة
وعباد بن بشر وسالم مولى ابي حذيفة وغير هولا ممن كان اخص الناس بالرسول و
اعلمهم بباطن اموره واتبعهم لذلك فعلما الحديث اعلم الناس بهولا وببواطن امو
رهم واتبعهم لذلك فيكون عندهم العلم علم خاصة الرسول وبطانته كما ان خواص الفلا
سفة يعلمون علم ايمتهم وخواص المتكلمين يعلمون علم ايمتهم وخواص القرامطة والباطنية
يعلمون علم ايمتهم وكذلك ايمة الاسلام مثل ايمة العلما فان خاصة كل امام اعلم بباطن اموره

وانما يفعل من في قلبه مرض ونفاق

بلغ

مثل

مثل مالك بن انس فان ابن القاسم لما كان اخص الناس به واعلمهم بباطن امره اعتمد اتباعه على
روايته حتى انه عنه يوخذ مسايل السر التي رواها ابن ابي العمر وان طعن بعض الناس فيها
وكذلك ابو حنيفة ابو يوسف ومحمد وزفر اعلم الناس به وكذلك غيرهما وقد يكتب العالم كتابا
او يقول قولا فيكون بعض من لم يشافهه به اعلم بمقصوده من بعض من شافهه به كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم فرب مبلغ اوعى من سامع لكن بكل حال لا بد ان يكون المبلغ من الخاصة
العالمين بحال المبلغ عنه كما يكون في اتباع الايمة من هو افهم لنصوصهم من بعض اصحابهم ومن
المستقر في اذهان المسلمين ان ورثة الرسل وخلفا الانبيا هم الذين قاموا بالدين علما وعملا و
دعوة الى الله والرسول فهولا اتباع الرسول حقا وهم بمنزلة الطايفة الطيبة من الارض
التي زكت فقبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير فزكت في نفسها وزكى الناس بها
وهولا هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الا
نبيا الذين قال الله فيهم واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار فا
لايدي القوة في امر الله والابصار البصاير في دين الله فبالبصاير يدرك الحق ويعرف وبالقوة
يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة اليه فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه
في الدين والبصر بالتاويل ففجرت من النصوص انهار العلوم واستنبطت منها كنوزها و
رزقت فيها فهما خاصا كما قال امير المومنين علي بن ابي طالب وقد سيل هل خصكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشي دون الناس فقال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة الا فهما يوتيه الله عبدا في
كتابه فهذا الفهم هو بمنزلة الكلا والعشب الذي انبتته الارض وهو الذي تميزت به
هذه الطبقة عن الطبقة الثانية وهي التي حفظت النصوص فكان همها حفظها وضبطها فو
ردها الناس وتلقوها بالقبول واستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها
في ارض قابلة للزرع والنبات ورووها كل بحسبه قد علم كل اناس مشربهم وهولا هم الذين
قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها واداها كما سمعها فرب حامل
فقه وليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
حبر الامة وترجمان القران مقدار ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ نحو العشرين حد
يثا الذي يقول فيه سمعت ورايت وسمع الكثير من الصحابة وبورك له في فهمه والاستنباط
منه حتى ملا الدنيا علما وفقها قال ابو محمد بن حزم وجمعت فتاواه في سبعة اسفار كبار وهي بحسب

ما بلغ جامعها والا فعلم ابن عباس كالبحر وفقهه واستنباطه وفهمه في القران بالموضع الذي فاق به
الناس وقد سمعوا كما سمع وحفظوا القران كما حفظه ولكن ارضه كانت من اطيب الاراضي
واقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فانبتت من كل زوج كريم وذلك فضل الله يؤتيه من
يشا والله ذو الفضل العظيم واين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى
ابي هريرة وتفسيره وابو هريرة احفظ منه بل هو حافظ الامة على الاطلاق يؤدي الحديث كما
سمعه ويدرسه بالليل درسا فكانت همته مصروفة الى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه وهمة
ابن عباس مصروفة الى التفقه والاستنباط وتفجير النصوص وشق الانهار منها واستخراج
كنوزها وهكذا ورثتهم من بعدهم اعتمدوا في دينهم على استنباط النصوص لا على خيال فلسفي ولا
راي قياسي ولا غير ذلك من الارا المبتدعات لا جرم كانت الدايرة والثنا الصدق والجزا
العاجل والاجل لورثة الانبيا التابعون لهم في الدنيا والاخرة فان المرء على دين خليله قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وبكل حال فهم اعلم الامة بحديث الرسول وسيرته ومقاصده
واحواله ونحن لا نعني باهل الحديث المقتصرون على سماعه او كتابته او روايته بل نعني بهم كل
من كان احق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرا وباطنا واتباعه باطنا وظاهرا وكذلك اهل القران
وادنى خصلة في هولا محبة القران والحديث والبحث عنهما وعن معانيهما والعمل بما علموه من
موجبهما ففقها الحديث اخبر بالرسول من فقها غيره وصوفيتهم اتبع للرسول من صوفية
غيرهم وامراوهم احق بالسياسة النبوية من غيرهم وعامتهم احق بموالات الرسول من غيرهم
ومن المعلوم ان المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونهما ابعد عن معرفة الحد
يث واتباعه من هولا هذا امر محسوس بل اذا كشفت احوالهم وجدتهم من اجهل الناس
باقواله واحواله وبواطن اموره وظاهرها حتى تجد كثيرا من العامة اعلم بذلك منهم ولا يميزون
بين ما قاله وما لم يقله بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث مكذوب موضوع عليه
وانما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم سوا كان موضوعا او غير موضوع
فيعدلون الى احاديث يعلم خاصة الرسول بالضرورة اليقينية انها مكذوبة عليه عن
احاديث يعلم خاصته بالضرورة اليقينية انها قوله ويعلمون مراده بل غالب هولا لا
يعلمون معاني القران فضلا عن الحديث بل كثير منهم لا يحفظون القران اصلا فمن لا
يحفظ القران ولا يعرف معانيه ولا يعرف الحديث ومعانيه من اين يكون عارفا بالحقايق

الماخوذة

الماخوذة عن الرسول واذا تدبر العاقل وجد الطوايف كلما كانت الطايفة الى الله ور
سوله اقرب كانت بالقران والحديث اعظم عناية واذا كانت عن الله وعن رسوله ابعد
كانت عنهما انا ما حتى تجد في ايمة علما هولا من لا يميز بين القران وغيره بل ربما ذكرت عنده
اية فقال لا نسلم صحة الحديث وربما قال لقوله عليه السلام كذا وتكون اية من كتاب الله وقد
بلغنا من ذلك عجايب وما لم يبلغنا اكثر وحدثني ثقة انه تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض
ايمة المتكلمين يسمى شمس الدين الاصبهاني شيخ الايكي فاعطوه جزا من الربعة فقرا بسم
الله الرحمن الرحيم المص حتى قيل له هي الف لام ميم ص فتامل هذه الحكومة العادلة ليتبين
لك ان الذين يعيبون اهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم زنادقة منافقون بلا ريب و
لهذا لما بلغ الامام احمد عن ابن ابي فتيلة انه ذكر عنده اهل الحديث بمكة فقال قوم سو
فقام الامام احمد وهو ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق ودخل بيته فانه
عرف مغزاه وعيب المنافقين للعلما بما جا به الرسول قديم من زمن المنافقين الذين
كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم واما اهل العلم فكانهم يقولون هم الابدال لانهم ابدال الانبيا
قايمون مقامهم حقيقة ليسوا من المعدومين الذين لا يعرف لهم حقيقة كل منهم يقوم مقام
الانبيا في القدر الذي ناب عنهم فيه هذا في العلم والمقال وهذا في العبادة والحال وهذا
في الامرين جميعا وكانوا يقولون هم الطايفة المنصورة الى قيام الساعة الظاهرين على
الحق لان الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم وهو الذي وعد الله بظهوره على
الدين كله وكفى بالله شهيدا **فصل** وتلخيص النكتة ان الرسل اما انهم علموا الحقايق
الخبرية والطلبية او لم يعلموها واذا علموها فاما انه كان يمكنهم بيانها بالكلام والكتاب
او لا يمكنهم ذلك واذا امكنهم ذلك فاما ان يمكن للعامة او للخاصة فان قال انهم لم يعلموها و
ان الفلاسفة والمتكلمين اعلم بها منهم واحسن بيانا لها منهم فلا ريب ان هذا قول الزنادقة
المنافقين وسنتكلم معهم بعد هذا اذ الخطاب هنا لبيان ان هذا قول الزنادقة وانه لا
يقوله الا منافق او جاهل وان قال ان الرسل مقصودهم صلاح عموم الخلق وعموم الخلق
لا يمكنهم فهم هذه الحقايق الباطنة فخاطبوهم بضرب الامثال لينتفعوا بذلك واظهروا
الحقايق العقلية في القوالب الحسية فتضمن خطابهم عن الله وعن اليوم الاخر من التخييل
والتمثيل للمعقول بصورة المحسوس ما ينتفع به عموم الناس في امر الايمان بالله

فانهم كانوا يدعون القرا فقال بعض المنافقين وهو

ما رايت مثل قراينا هولا

وبالمعاد وذكر بقرائن النفوس ما عظم الله وعظم اليوم الاخر ما يحفظ النفوس على عبادة
الله وعلى الرجاء والخوف فينتفعون بذكر ويثابون على العبادة بحسب امكانهم واستعدادهم اذ هذا الذي فعلته الرسل غاية الامكان فكشف الحقايق لعموم النوع البشري وافاضة
مصلحة معاشه ومعاده لعلوم اما هذا قول حذاق وافضل من المتكلمين في القدر الذي يخالفه فيه اهل الحديث
وغيرهما وهو قول لكل حاذق وفاضل من المتكلمين في القدر الذي يخالفه فيه اهل الحديث
فالفارابي يقول ان خاصة النبوة وجودة تخييل الامور المعقولة في الصور المحسوسة
او نحو هذه العبارة وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع ويقول ما كان يمكن موسى بن
عمران مع اولي العبرانيين ولا يمكن محمدا مع اولي العرب الجفاة ان يبلغهم الحقايق
علما وما هو عليه فانه كان يعجز عن ذلك وان قصد على ما هو عليه اخلت عن اتباعه
اتباعه لانه لا يبرز من العلم ما يقتضي العمل وهذا المعنى يوجد في كلام ابي حامد وامثاله
ومن بعده طائفة منه في الاحياء وغيره لاكن في خاصة اصحاب الرسل ما يمكنهم فوق ذلك جعلوا السابقين الاولين
منهم فان احدهما انه لم يكن في خاصة اصحاب الرسل ما يمكنهم فوق ذلك لخاصة من الرسل دون غيرهم
والثاني ان في خاصة اصحاب الرسل من يمكنه فوق ذلك لكن لم يكن الرسول يأمر كل احد بما يمكنه
من الاخر فرقا بين العلم والايمان وهذا من مقالات الزنادقة لانه ان جعل بعض الامور
الالهية والمعادية من الامور التي يعلمها خاصة الناس دون عامتهم كما يقوله طوائف من اليونان والهند ونحوهم اكمل علما وتحقيقا للامور الالهية والمعادية مما هذه
الامة فهذا من مقالات المنافقين الزنادقة اذ المعلوم المتفق عليه بين هذه الامة خيار
الامم واكملها وان اكمل هذه الامة عرفانا بها سابقوها واذا اسلم ذلك فاعلم الناس بالسابقين
واتبعهم لهم هم اهل الحديث واهل السنة ولهذا قال الامام احمد في رسالته عبد وس بن مالك
اصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك
البدع وكل بدعة فهلالة والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسر القرآن
وهي دلايل القرآن ايد دلالات على معناه ولهذا ذكر العلماء ان الرفض اساس الزندقة و
ان اول من ابتدع الرفض انما كان منافقا زنديقا وهو ابن سبيكا فانه اذا قدح في السابقين
الاولين فقد قدح في نقل الرسالة او في فهمها او في ابلاغها فكل هذه تقدح في علمه بها
وتارة في ابلاغه لها ويحيل ذلك على اهل البيت والمعصوم الذي بالرسالة وجود فالوجود
والزنادقة من الفلاسفة والنصيرية ونحوهم يقدحون تارة في النقل وهو قولهم
لهم وتارة يقدحون في فهم الرسالة وهو قول حذاقهم كما يذهب اليه كابر الفلاسفة وامثاله
كابويه ونحوهم حتى كان الشيطان مرة من بينا قد دخل عليه تخفى ومعه بعض طلبة الحديث
فاخذ يتكلم على قاعدته في الفكر انه حجاب وان الامر مجرد عن الكشف وغيره كشف الوجود المطلق فقال ذلك الطالب فما معنى قول ابي الدرداء التفكر فيه

هذا

هذا القول ونحو ذكرنا الامر على وجه التفهيم العقلي الحاظر للايخرج عنه قسم لتبين ان
المخالف لعلم الحديث علما وعملا اما جاهل واما منافق والمنافق جاهل وزيادة فقلنا
ان من زعم انه وكبار طايفته لم يعلموا الرسل بالحقايق واحسن بيانا لها فهذا زنديق منافق
اذا اظهر الايمان بهم باتفاق المسلمين المؤمنين بهم وصحيح الكلام معه وان قال ان الرسل كانوا
اعظم علما وبيانا لكن هذه الحقايق لا يمكن علمها او لا يمكن بيانها مطلقا او يمكن الامر بها لخاصة
منهم فلنا فحينئذ لا يمكنكم انتم ما عجزت عنه الرسل من العلم والبيان ان قلتم لا يمكن علما قلنا
فانتم واكابركم لا يمكنكم علمها بطريقة الاولى وان قلتم لا يمكنهم بيانها قلنا ما انتم اولى ان
يمكنكم بيانها وان قلتم يمكنهم ذلك لكن لخاصة فلنا فيمكن ذلك لخاصة من الرسل دون عامتهم
وان قالوا ادعوا انه لم يكن في خاصة اصحاب الرسل من يمكنه فوق ذلك جعلوا السابقين الاولين
لهم قالوا ادعوا المتاخرين في العلم والايمان وهذا من مقالات الزنادقة لانه ان جعل بعض الامم
الاوايل من اليونان والهند ونحوهم اكمل علما وتحقيقا للامور الالهية والمعادية مما هذه
الامة فهذا من مقالات المنافقين الزنادقة اذ المعلوم المتفق عليه بين هذه الامة خيار
الامم واكملها وان اكمل هذه الامة عرفانا بها سابقوها واذا اسلم ذلك فاعلم الناس بالسابقين
واتبعهم لهم هم اهل الحديث واهل السنة ولهذا قال الامام احمد في رسالته عبد وس بن مالك
اصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك
البدع وكل بدعة فهلالة والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسر القرآن
وهي دلايل القرآن ايد دلالات على معناه ولهذا ذكر العلماء ان الرفض اساس الزندقة و
ان اول من ابتدع الرفض انما كان منافقا زنديقا وهو ابن سبيكا فانه اذا قدح في السابقين
الاولين فقد قدح في نقل الرسالة او في فهمها او في ابلاغها فكل هذه تقدح في علمه بها
وتارة في ابلاغه لها ويحيل ذلك على اهل البيت والمعصوم الذي بالرسالة وجود فالوجود
والزنادقة من الفلاسفة والنصيرية ونحوهم يقدحون تارة في النقل وهو قولهم
لهم وتارة يقدحون في فهم الرسالة وهو قول حذاقهم كما يذهب اليه كابر الفلاسفة وامثاله
كابويه ونحوهم حتى كان الشيطان مرة من بينا قد دخل عليه تخفى ومعه بعض طلبة الحديث
فاخذ يتكلم على قاعدته في الفكر انه حجاب وان الامر مجرد عن الكشف وغيره كشف الوجود المطلق فقال ذلك الطالب فما معنى قول ابي الدرداء التفكر فيه

وبالمعاد وذلك يثمر في النفوس من عظمة الله وعظمة اليوم الآخر ما يحفظ النفوس على عبادة
الله وعلى الرجاء والخوف فينتفعون بذلك وينالون السعادة بحسب امكانه واستعداده
وهم اذا هذا الذي فعلته الرسل غاية الامكان في كشف الحقايق لعموم النوع البشري واقامة
مصلحة معاشه ومعاده لمعلوم انا هذا قول حذاق الفلاسفه مثل الفارابي وابن سينا
وغيرهما وهو قول كل حاذق وفاضل من المتكلمين في القدر الذي يخالف فيه اهل الحديث
فان الفارابي يقول ان خاصة النبوة وجودة تخييل الامور المعقولة في الصور المحسوسة
او نحو هذه العباره وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع ويقول ما كان يمكن موسى بن
عمران مع اولي العبرانيين ولا يمكن محمدا مع اولي العرب الجفاة ان يبلغ الحقايق
على ما هي عليه فانه كان يخاطبهم بما يتخيلونه ويتعاطونه على ما هي عليه اخلاقهم ثم انه يحثهم
اتباعه لانه لا يريد منهم العلم ما يقتضي العمل وهذا المعنى يوجد في كلام ابي حامد وامثاله
ومن بعده طائفة منه في الاحياء وغيره الا حيا وكذلك في كلام الرازي واما الاتحادية ونحوهم
من المتكلمين فعليه مدارهم وبنيانهم كلام الباطنية والقرامطة عليه لكن هو لا يكون في ظواهر
الامور العلمية والعلمية جميعا واما غيرهم فلا يذكرون في العلميات الظاهرة المتواترة
ركلام فيه على ان الرساله متضمنة لمصلحة العموم علما وعملا واما الخاصة فلا على هذا يدو
ركلام الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وسايل اخوانهم الصفا وسايل فضلا المتفلسفة ثم منهم من يوجب اتباع
الامور العلمية من الامور الشرعية وهو الكثير ومنهم من يثقفهم ويتصوفهم ويعقلهم فلا
سفيهم والى هنا كان ينتهي علم ابن سينا اذا تاب والتزم القيام بالواجبات الناموسية
فان قدماء الفلاسفة كانوا يوجبون اتباع النواميس التي وضعها اكابر حكماء البلاد
فلا كانوا يوجبون اتباع نواميس الرسل اولي فانهم كما قال ابن سينا اتفق فلاسفة العالم
على انه لم يقع العالم بناموس افضل من هذا الناموس المحمدي وكل عقلا الفلاسفه
متفقون على انه اكمل النوع وافضل النوع البشري وان جنس الرسل افضل من جنس
الفلاسفه المشاهير وقد يزعمون ان الرسل والانبياء حكماء كبار واما الفلاسفة الحكماء
انبياء صغار وقد يجعلونه صفة مدح وليس هذا موضع شرح ذلك فقد تكلمنا على ذلك في غير
هذا الموضع وانما الغرض ان هؤلاء الاساطين من الفلاسفه والمتكلمين غاية ما يقولون

هذا

هذا القول ونحن ذكرنا الامر على وجه التفهيم العقلي الحاظي ليلا يخرج عنه فتح ليتبين ان
المخالف لعلما الحديث علما وعملا اما جاهل واما منافق والمنافق جاهل وزيادة فقلنا
ان من زعم انه وكبار طايفته لهم من الرسل بالحقايق واحسن بيانا لها فهذا زنديق منافق
اذا اظهر الايمان بهم بانفاق المسلمين المؤمنين بهم ويسمي الكلام معه وان قال ان الرسل كانوا
اعظم علما وبيانا لكن هذه الحقايق لا يمكن علمها او لا يمكن بيانها مطلقا او يمكن الامر بها لخاصة
منهم قلنا فحينيذ لا يمكنكم انتم ما عجزت عنه الرسل من العلم والبيان ان قلتم لا يمكن علما قلنا
فانتم واكابركم لا يمكنكم علمها بطريقتكم الاولى وان قلتم لا يمكنهم بيانها قلنا ما تتم وانتم لا
يمكنكم بيانها وان قلتم يمكن ذلك لخاصة دون العامة قلنا فيمكن ذلك لخاصة من الرسل دون من
بعدهم فان ادعوا انه لم يكن في خاصة اصحاب الرسل من يمكنه فعل ذلك جعلوا السابقين الاولين
دون المتاخرين في العلم والايمان وهذا من مقالات الزنادقة لانه ان جعل بعض الامم
الاوايل من اليونان والهند ونحوهم اكمل علما وتحقيقا للامور الالهيه والمعادية من هذه
الامه فهذا من مقالات المنافقين الزنادقه اذ المسلمون متفقون على ان هذه الامه خير
الامم واكملها وان اكمل هذه الامه وافضلها سابقوها واذا سلم ذلك فاعلم الناس بالسابقين
واتبعهم لهم هم اهل الحديث واهل السنه ولهذا قال الامام احمد في رساله عبد وس بن مالك
اصول السنه عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك
البدع وكل بدعه فعلا لرد والسنه عندنا اثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنه تفسر القرآن
وهي دلايل القرآن اي دلالاته على معناه ولهذا ذكر العلما ان الرفض اساس الزندقه
ان اول من ابتدع الرفض انما كان منافقا زنديقا وهو ابن سبا فانه اذا قدح في السابقين
الاولين فقد قدح في نقل الرساله او في فهمها او في ابلاغها فكلا هذين قدح في ان يعلم بها
وثاره في ابطالهم لها ويحيل ذلك على اهل البيت والمعصوم الذي لا يسأل وجودة في الوجود
والزنادقة من الفلاسفه والنصيريه ونحوهم يقدحون تارة في النقل وهو قولهم
ويقدحون تارة في فهم الرساله وهو قول حذاقهم كما يذهب اليه اكابر الفلاسفه وامامهم
كابن سينا ونحوه حتى كان الشيطان مرة مر بي فدخل عليه شخص ومعه بعض طلبة الحديث
فاخذ يتكلم على قاعدته في الفلك انه حجاب وان الامر مداره على الكشف وغايته كشف الوجود
المطلق فقال ذلك الطالب فما معنى قول ام الدرداء كان افضل عمل ابي الدرداء التفكر فتبسم

بد خول مثل هذا عليه وقال للذي جاء به كيف يدخل علي مثل هذا فقال الله ربي بانهما مثل
ابي الدرداء امثاله مثل اقوام سمعوا كلاما وحفظوه لناخذ نكون نحن الذين نفهمه و
نعرف مراد صاحبه ومثله بريد حمل كتابا من السلطان الى نائبه او نحو ذلك فقد طال عهد
بالمكاتبة حدثني بها الذي دخل عليه وكما قاله في هذه الفنون جولا كثيرة وكذلك ابن سينا
وغيره يذكرون ما سمى التشفعا بها به ما وراء ما بعد الطبيعة وشبعته القرامطة حتى يجدها اذا ذكروا
في اخر الفلسفة حاجة النوع الى الامامة ويقولون الرافضة الضلال لكن اوليك يصرحون بما
السبب باكثر مما يصرح به هو لاولهذا تجد بين الرافضة والقرامطة والاتحادية اقوى نسبا وشبها
بجمع امور منها الطعن في خيار هذه الامة وفيما عليه اهل السنة والجماعة وفيها استشعر من
اصول الملة وقواعد الدين ويدعون باطنا امتاز وابه واختصوا به دوني سواهم فهم مع
ذلك متلاعنون متباغضون مختلفون كما رايت وسمعت من ذلك ما لا يحصى كما قال الله
عن النصارى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وقال عن اليهود والقيناهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وكذلك المتكلمون المختلطون الذين يكونون نوعا
مع المعتزلة واما كانوا مبتدعين وتارة مع الفلاسفة الصابئين وتارة مع الكفار المشركين
وتارة يقابلون بين الطوائف وينظرون وكما تكون الدايرة وتارة يتحيرون وبين الطوائف
يقف وهذه الصفة كثيرة في كثير مما انتسب الى الاسلام من العلماء والامراء وغيرهم لما
ظهر المشركون على الذين كرهوا ارجاء الاسلام بالمشرق فجاء اثنا المائة السابعة وكان كثير مما
ينتسب الى الاسلام فيه من الكفار والردة ما اوجب تسليط المشركين واهل الكتاب فتجد
ابا عبد الله الرازي يطعن في دلالة الادلة اللفظية على اليقين وفي افادتها الاخبار للعلم
وهذا ما قد مثلنا الى نذكره كما قد مناه ثم يعتمد فيما اقر به من امور الاسلام عليها بالا
ضطرار مما دين الاسلام مثل العبادات والمحرمات الظاهرة وكذلك الاقرار بمعاد الاجسا
د بعد الاطلاع على القياسين والاحاديث يجعل العلم بذلك مستفادا من امور كثيرة فلا
يعطل تعطيل الفلاسفة الصابئين ولا يقر اقرار الحنفا العلما المومنين وكذلك الصابئة
وانما كان يقول بعد الله فيما نقلوه ويعلم في الجملة لكن يزيد هم في مواضع انهم يعلمون اشياء
الفلاسفة وما خاضوا فيه اذ هم بعد ما شاركوهم في التكلم بلغة الفلاسفة ويجعل هذا فيه له

لاتجدها الا في اجهل المتكلمين في العلم واظلمهم وما هو لا للمتكلمة والمتفلسفة والمتشيعة و
الاتحادية فيما اليها به مثل قول كثير من العلما والمتاخرين انا اشبع منهم وانهم يقاتلوا مثل
العدو الذي ما قاتلناه ولا باشرنا الحروب معه ونحن نا ولا ساسوا سياستنا وهذا لا تجده الا في
اجهل الملوك واظلمهم فانه اذا اراد ان نفسها الفاظهم وما يتوصلوا به الى بيان مرادهم من المعاني
لم يعلموه فهذا لا يضرهم اذ العلم بلغات الامم ليس مما يجب على الرسل واتباعهم بل يجب عليهم
تبليغ البليغ الابين فالمتوسطون منهم من الترجمة يعلمون ما لفظ كل منها ومعناه فاذا كان المعنى
واحدا كان تسميتها والقسم والاعلى اما بينا المعنيين من الاجتماع والافتراق وبينوا الكل منهما
مراد صاحبه كما تصور المعاني وتبينا ما بينها المعنيين من التماثل والتشابه والتقارب فالصها
به كما نوا يعلمونا ملجا به الرسول وفيما جا به بيان الحق على بطلان الكفر كل كافر وبيان ما ذكر مقياسا
صحيحا حقا واحسن بيانا من مقاييسهم او ليكذ الكفار كما قال تعالى ولا ياتونك بمثل الا جينا لك با
لحق واحسن تفسيرا اخبر سبحانه ان الكفار لا ياتونه بقياس عقلي الا طلبنا له الاجابة بالحق
وجا من البيان والدليل وضرب المثل بما هو احسن تفصيلا وكشفا وبيانا فيما يسالهم
وجميع ما تقوله الصابئة والمتفلسفة وغيرهم من الكفار من حكم او دليل يمكن ان يجا به العلما
به وهذه الاية ذكرها الله تعالى بعد قوله وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران
مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا فبين ان ما هجر القران
فهو من اعداء الرسل وان هذا امر لابد منه الا ترى الى قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه
يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اظلني عن
الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا والله تعالى قد ارسل نبيه محمدا الى جميع
العالمين وضرب الامثال فيما ارسله به لجميعهم كما قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من
كل مثل تعلم بتذكروا فاخبر انه ضرب لجميع الناس في هذا القران من كل مثل ولا ريب ان
الالفاظ المطابقات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في الحاربات فاذا كان احد المسلمين
هو في تحصين وتسلح على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم كان جهاده بحسب
ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحريم ما هو به لجميع وللعباد نفع وهو الاصلح في الدنيا
والاخرة وقد يكون المخبر بحرم احد من اهل عصر هم مما ليس كذلك لافضل قوته وشجاعته و
لكن لما نسته لهم كما يكون الاعجمي المتشبه بالعرب وهو خيار العجم اعلم بمخاطبة قومه الاعاجم من العربي

عن الرسل المتقدمين مثل الذي يروى عن موسى انه قال استكوا بالبيت
ما دامت السموات والارض امكنتهما ان نقول لهم في اى كتاب هذا
احضروه وقد علمنا ان هذا ليس في كتبهم وانما هو مفترى مكذوب وعندهم
النبوآت التي هي سبعون وعشرون وكتاب المثنوى الذي معناه المثناة
وهو جعلها عبد الله بن عمرو فينا من اشراط الساعة فقال لا تقوم الساعة
حتى تقرأ فيكم المثناة او تدرون ما المثناة ما كتب من الكتب غير كتاب الله
ما المثناة

موضع وهكذا مناظرة الصابئة الفلاسفة والمشركين ونحوهم فان الصابي الفيلسوف اذا ذكر ما عند قدماء الصابئة الفلاسفة من الكلام الذي يرغب وترجح بالعربية وذكره اما صرفا واما على الوجه الذي تقدم فيه مناقضوهم بزيادة ونقصان وسط واختصار وربما بعضه وانيانا بمعان اخر ليست فيه ونحو ذلك كما يذكر ما لا يتعلق بالدين مثل الطب والحساب المحض التي يذكرونها فيها لكن وكتب من اخذ عنهم مثل محمد بن زكريا الرازي وابن سينا ونحوهم من الزيادة في الاطباء غاية انتفاع بآثار الكفار والمنافقين في امور الدنيا فهذا جائز كما يجوز الكسب في دار الحرب وبسلاحهم وسلاحهم وكما يجوز معاملتهم على الاموال كما عامل النبي صلى الله عليه وسلم يهود خيبر وكما اشترى النبي صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر طعاما من مكة فتحا جرثيا جلا ماهرا الدليل هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية وائتمناه على انفسهما وورقهما واعداه غار ثور صبح ثالثة وكانت خريتة بعينها تضحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خرجهم وكان يقبل نصحه وكل هذا في الصحيحين وكان ابو طالب ينصر النبي صلى الله عليه وسلم ويذب عنه مع كفره وهذا كثير في المشركين واهل الكتاب فهم المؤتمنون كما قال تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ولهذا جاز ايتمان احدهم على المال وجاز ان يستطب الكافر اذا كان حاذقا نصا على ذكر الآية كما هو غير واحد ذكروا فيجوز ان يعلو انه من امور الدنيا وانما المنهي عنه ذكر وهو جائز اذا لم يكن فيه مفسدة راجحة مثل ولايته على المسلمين وعلوه عليهم ونحو ذلك مما خذ على الطب من الكتب مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه بل هذا احسن لان كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة وليس فيها حاجة الى احد منهم بالجملة بل هم محوج انتفاع بآثارهم كالملاحين والمساكين والمزارع والسلاح ونحو ذلك وان ذكر ما يتعلق بالدين فانما نقلوه عن الانبياء كما تواتر عند اهل الكتاب واسوأ حالا وان احالوا مع فتة على القياس العقلي فان وافق ما في القرآن فهو حق وان خالفه فهو القرآن بيان بطلانه بالامثال المضروبة كما قال تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا والحاصل ان هؤلاء الفلاسفة الصابئة المبتدعة يريدون ما جاءت به الرسل في امور الملائكة في صفتهم واقدارهم وذلك ان هؤلاء القوم انما سلكوا الاستدلال بالحركات الفلكية والقياس على نفوسهم مع ما عهدوه وجعلوه من خلق الله وابداعه وسبب ذكر ما ذكره طائفة ممن جمع اخبارهم ان اساطينهم الاوائل كانوا غورسا وشرط وافلاطن كانوا بحاجرون في الارض فاتوا الانبياء بالشام ويتلقون عن المنزلين

مطلب في جواز الانتفاع بالكفار في امور الدنيا

الحكيم

في القرآن

في القرآن الحق والقياس البين الذي يبين بطلان ما جاءوا به من القياس وان كانوا يذكرونه مجملا فيه الحق وهو الغالب على الصابئة المبدلين مثل ارسطو واتباعه وعلى من اتبعهم من الآخرين قبل الحق ورد الباطل فالحق من ذلك لا يكون بيان صفة الحق فيه كبيان صفة الحق في القرآن فالامر في هذا موقوف على معرفة القرآن ومعانيه وتفسيره وترجمته والترجمة والتفسير ثلاث طبقات احدها ترجمة مجرد اللفظ مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف ففي هذه الترجمة يكفي ان يعرف ان الذي يعني بهذا اللفظ عند هؤلاء هو يعني به الذي يعني باللفظ عند هؤلاء وهذا علم ناقع اذ كثير من الناس يقيد المعنى باللفظ فالمجرد عن اللفظين جميعا والثاني ترجمة المعنى وبيانه بان يصور المعنى للمخاطب فتصوير المعنى له وتفهيمه اياه قد يزيد على الترجمة اللفظ كما يشرح للعربي لغتنا باعرابها قد يسمع الفاظه العربية كلها ولم يتصور معانيه ولا فهمها وتصوير المعنى يكون بذكر عينه او نظيره او تركيب صفات من مفردات يفهمها المخاطب يكون ذلك المركب صورة ذلك المعنى اما تحديدا واما تقريبا الدرجة الثالثة بيان صحة ذلك المعنى وتحقيقه بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى اما بدليل مجرد واما بدليل يبين علة وجوده وهنا قد يحتاج الى ضرب امثلة وتقاييس يقيد التفرق بذلك للمعنى كما يحتاج في الدرجة الثانية الى امثلة التصور ذلك المعنى وقد يكون تصور مفردا للعلم بحده تاما واذا كفى تصوره عنا في التصديق به لم يحتج الى قياس ومثل ودليل آخر فاذا عرف القرآن هذه المعرفة فالكلام الذي يخالفه من كلام اهل الكتاب والصابئين والمشركين لا بد فيه من الترجمة للفظ والمعنى ايضا وحينئذ فالقرآن فيه تفصيل كل شيء كما قال تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة وقال ونزلنا عليك الكتاب

تبيانا لكل شي ومعلوم ان الامة مامورة بتبليغ القران لفظه ومعناه كما
امر بذلك الرسول ولا يكون تبليغ رسالة الله الا كذلك وان تبليغه الى العجم
قد يحتاج الى ترجمة لهم فيترجم لهم بحسب الامكان والترجمة قد تحتاج
الى ضرب امثال لتصوير المعاني فيكون ذلك من تمام الترجمة واذا كان من المعلوم
ان اكثر المسلمين بل اكثر المنتسبين منهم الى العلم لا يقومون بترجمة القران
وتفسيره وبيانه فغيرهم ان يعجز عن ترجمة ما عنده وبيانه اولى بذلك
لان عقل المسلمين اكمل وكتابهم اقوم نقلا واحسن حديثا ولغتهم اوسع
لا سيما اذا كانت تلك المعاني غير محققة بل فيها باطل كثير فان ترجمة المعاني
الباطلة وتصويرها صعب لانه ليس لها نظير من الحق من كل وجه فاذا
سئلنا عن كلام يقولونه هل هو حق او باطل ومن اين يتبين الحق فيه والباطل
من القران بالحجة والدليل كما كان المشركون واهل الكتاب يسالون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن مسايل او يناظرونه وكما كانت الامم تجادل رسلها اذ
كثير من الناس يدعي موافقة الشريعة للفلسفة مثال ذلك اذا ذكروا
العقول العشرة والنفوس التسعة وقالوا ان العقل الاول هو الصادر الاول
عن الواجب بذاته وانه من لوازم ذاته ومعلول له وكذلك الثاني عن
الاول وان لكل فلك عقلا ونفسا قيل قولكم عقل ونفس لغة لكم فلا بد من تر
جمتها وان كان اللفظ عربيا فلا بد من ترجمة المعنى فيقولون العقل هو
الروح المجردة عن المادة وهي الجسد وعلائقها سموه عقلا ويسمونه
مفارقا ويسمون تلك المفارقات للمواد لانها مفارقة للاجساد كما
ان روح ~~الاجساد~~ الانسان اذا فارقت جسده كانت مفارقة للمادة
التي هي الجسد والنفس هي الروح المدبرة للجسم مثل نفس الانسان اذا كانت

في جسمه

اذا كانت في جسمه فمتى اذا كانت في الجسم كانت في الحركة محركة له فاذا فارقته صارت
عقلا محضا اي يعقل العلوم من غير تحريك لشي من الاجسام فهذه العقول و
النفوس وهذا الذي ذكرناه من احسن الترجمة عن معنى العقل والنفس واكثرهم لا يحصلون
ذلك قالوا واثبتنا للكل فلك نفسا لان الحركة اختيارية فلا تكون الا لنفس ولكل
نفس عقلا لان العقل كامل لا يحتاج الى حركة والمتحرك يطلب الكمال فلا بد ان يكون
فوقه ما يشبه به وما يكون علة له ولهذا كانت حركة انفسنا للتشبه بما فوقنا من العقول
وكل ذلك يشبه بواجب الوجود بحسب الامكان والاول لا يصدر عنه الا عقل لان
النفس تقتضي جسما والجسم فيه كثرة والصادر عنه لا يكون الا واحدا ولهم في الصدور
اختلاف كثير ليس هذا موضعه قيل لهم اما اثباتكم ان في السماء ارواحا فهذا يشبه
ما في القران من كتب الله ولكن ليست هي الملايكة كما يقول الذي يزعمون منكم انهم امنوا
بما انزل على الرسول وما انزل من قبله ويقولون ما اردنا الا الاحسان والتوفيق من
الشريعة والفلسفة فانهم قالوا العقول والنفوس عند الفلاسفة هي الملايكة عند الانبيا
وليس كذلك لكن يشبهها من بعض الوجوه فان اسم الملايكة والملك يتضمن انهم ر
سل الله كما قال تعالى وجاعل الملايكة رسلا وكما قال والمرسلات عرفا فالملايكة رسل الله في
تنفيذ امره الكوني الذي يدين به السموات والارض كما قال حتى اذا جاء احدهم الموت توفته
رسلنا وهم لا يفرطون وكما قال بلى ورسلنا لديهم يكتبون وامره الديني الذي ينزل به الملايكة
فانه ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
انه علي حكيم وقال الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وملايكة الله لا يحصي
عددهم الا الله كما قال تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا

عقلا م

واحدا م

وغيره

عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله
بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل لهم الذي
في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم امر لا يحصر حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا ملك قائم او قاعد او راكع او ساجد وقال الله تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم فمن جعلهم عشرة او
اثنا عشر او نحو ذلك لم يأت بشيء يعتد به وقوله عشر الذين على اسقر هم العقول والنفوس فهذا جهل بما جاء
عن الله ورسوله وضلال في ذلك بين اذ لم يتفق الانسان في صفة المسح ولا في قدره كما يكون
الالفاظ المراد فهوا غا اتفق المسحيان في كون كل منهما روحا متعلقا بالجسم وهذا
من بعض صفات ملائكة السموات فالذي اثبتوه بعض الصفات لبعض الملائكة وهو با
لنسبة الى الملائكة وصفاتهم واقدارهم واعدادهم في غاية القلة اذ مما يوسى به المسلمون من الا
نبيا بالنسبة الى الانبياء الذين يؤمنون بعد موسى ويوشع بني كيف وهم لم يثبتوا من
الملائكة للملائكة من الصفة الا مجرد ما علموه من نفوسهم مجرد العلم للعقول والحركة الارادية للنفوس
ومع المعلوم ان الملائكة لهم من العلوم والاحوال والارادات والاعمال ما لا يحصيه الا الذي احاط
ووصفهم في القرآن بالتسبيح والعبادة لله اكثر من ان يذكر هنا كما ذكر في خطابه للملائكة وامرهم
لهم بالسجود لادم وقوله فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا
يسئمون وقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقوله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون

معلمين

بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقوله الله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا الاية وقوله والملائكة يسجدون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن في الارض وقوله كلا من ياسر وملائكته
وكتبه ورسله وقوله اذ يقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من
الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة مسومين وقوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا
وقوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها
وقال يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم
ريحا وجنودا لم تروها وقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون
وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق وقوله الذين تتوفاهم الملائكة
يقولون سلام عليكم وقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقوله حتى اذا جاء احدكم
الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون وقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
وقوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقوله وان عليكم لحا
فظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله ام يحسبون ان لا نسمع سرهم ونجواهم
بلى ورسلنا لديهم يكتبون وقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا وقوله فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون الى قوله وانا لنحن
المسبحون وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملائكة
عند ربها قال يسوون الاول فيتراصون في الصف وفي الصحيحين عن
قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة في حديث المعراج عن النبي صلى
الله عليه وسلم لما ذكر صعوده الى السماء السابعة قال فرفع الي البيت المعمور فقلت
جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا
خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم وقال البخاري وقال هشام عن قتادة عن
الحسن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في البيت المعمور فهذا اخبر لا
يحصيه الا الله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا امن القارئ
فامنوا فانه من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي الرواية
الاخرى في الصحيحين اذا قال امين فان الملائكة في السماء تقول امين وفي الصحيح
ايضا عن ابي صالح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الامام
سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر
له ما تقدم من ذنبه وفي الصحيح عن عروة عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب

فتذكر

فتذكر الامر قضي في السماء فتستوق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان
فيكذبون معها مائة كذبة من عند انفسهم في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا
فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء
الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء فيسالهم الله وهو اعلم من اين جئتم فيقولون
جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك
ويحمدونك ويسالونك قال وماذا يسالونني قالوا يسالونك جنتك قال وهل
راوا جنتي قالوا لا اي رب قال فكيف لو راوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال
ومم يستجيرني قالوا
نار ك قال وهل راوا ناري قالوا لا قال
فكيف لو راوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم واعطيتهم
ما سالوا واجرتهم مما استجاروا قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء انما مر
فجلس معهم قال فيقول ولك قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وفي
الصحيحين عن عروة عن عايشة حدثتها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل
اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني
الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب
فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال
ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره
بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت ان
شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال صلى الله عليه وسلم بل
ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا وامثال هذه
الاحاديث الصحاح مافيها من ذكر الملائكة الذين في السموات وملائكة الهوا والجبال

وغير ذلك كثير وكذلك الملائكة المتصرفون في امور بني ادم مثل قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث المتفق عليه حديث الصادق المصدوق انه يقول ثم يبعث اليه الملك
فيؤمر باربع كلمات فيقال اكتب رزقه واجله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح
وفي الصحيح حديث ابن عباس عن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمام
اوها جم وجمر يل معكم وفي الصحيح ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عشى اليهم ايدك بروح القدس وفي الصحيح عن انس قال كاني انظر الى الغبار ساطع
في سكة بني غنم موكب جبريل وفي الصحيحين عن عايشة ان الحرث بن هشام
قال يا رسول الله كيف يا تيك الوحي قال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده
علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول
وانيان جبريل النبي صلى الله عليه وسلم يا تيه في صورة اعرابي وتارة في صورة دحية
الكلبي ومخاطبته واقراؤه اياه كثيرا اعظم من ان نذكرهنا وفي الصحيحين عن
ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملايكة بالليل وملايكة بالنهار
ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم ربهم وهو اعلم
بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون و
في الصحيحين عن عايشة قالت حشوت للنبي صلى الله عليه وسلم وسادة فيها تماثيل
كانها نمرقة فجاء فقام بين الناس وجعل يتغير وجهه فقلت ما لنا يا رسول الله قال
ما بال هذه الوسادة قالت وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها قال اما علمت ان الملايكة
لا يدخل بيتا فيه صورة ان من صنع الصور يعذب يوم القيمة فيقال احيوا ما
خلقتم وفي الصحيحين عن ابن عباس قال سمعت ابا طلحة يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب ولا صورة تماثيل وكذلك في الصحيحين
عن عبد الله بن عمر وقال وعد النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب
ولا صورة وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الملايكة تصلي على

احكم

احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وامثال هذه النصوص
التي تذكر فيها انواع اصناف الملايكة واوصافهم وافعالهم مما يمتنع ان يكون ما يذكرونه من
العقول والنفوس او ان يكون جبريل هو العقل الفعال ويكون ملايكة الاديان هي العقول الصاعدة
والشياطين هي العقول الفاسدة كما يزعم هؤلاء ويضاف عنهم ان العقول والنفوس التي جعلوها
الملايكة مصنوعة عن الله صادرة عنه فاما صدور المعلول عن علته هو قولها عن الله
وان الله والد الملايكة وهذا ما رده الله ورده نفسه وكذب قايله وبين كذبه بقوله لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد وقال تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون الى قوله ان كنتم
تعقلون وبقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه عما يصفون
وقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون الى
قوله وما يشفعون وقال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم
عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا فاخبر انهم عبيد وانهم اذلاء مدينون مصرفون مدبرون مقهورون
ليسوا كما يقوله المشركون المعلول المتولد لازما لا يتصور ان يتغير عن ذلك فاخبر انهم عباد الله لا يتصور
كما يتصور المعلول بالعلة والولد بالوالد كما يزعمه هؤلاء الصابئون وقال تعالى بديع السموات والارض
اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم فاخبر ان التولد
لا يكون الا عن اصلين كما تكون التحية عن حديدين وكذلك سايرا المعلولات المعلومة للحدث
المعلول الا باقتران اسم حاتم بالعلة فاما الشيء الواحد وحده فلا يكون علة ولا والدا فقط
لا يكون شيء في هذا العالم الا عن اصلين ولوازم الفاعل والقابل كالنار والحطب والشمس والارض
فاما الواحد وحده فلا يصدر عنه شيء والمتولد عن اثنين اقرب الى ان يحفظ طرق القياس في العلة
والتوليد ولهذا يذكر سبحانه حيث جعلوا العالم يصدر عنه بالتقدير والتوليد وكذلك قال في طي السماء
زوجين لعلكم تذكرون خلاف قولهم ان العالم صدر عن واحد وهذا وما بابا ذكر الله تعالى من قوله لا
يا تونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا اذا قد تقدم ذكر في حق كل ما حرج عن اتباع الرسل
سواء فقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فقوله الرسالة

وخلق كل شيء ٢

اله ولد ١٢

وتعالى ٥

وتشقق الارض ٣

الى قوله ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم
اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا
فظلم من خرج عن اتباع الرسول فهو ظالم بحسب ذلك والمبتدع ظالم بقدر ما خالف
من سنته وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن
تفسيرا وهؤلاء الصابية قد قالوا بمثل وهو قولهم الواحد لا يصدر عنه ويتولد عنه الا واحد
والرب واحد فلا يصدر عنه الا واحد يتولد عنه فاق الله بالخلق ما احسن تفسيرا وبين ان
الواحد لا يصدر عنه شيء ولا يتولد عنه شيء اصلا وانه لم يتولد عنه شيء ولم يصدر عنه شيء
ولكن خلق كل شيء خلقا وانه خلق من كل زوجين اثنين ولهذا قال مجاهد وذكر
البخاري في صحيحه في النفع والوتر ان النفع هو الخلق فكل مخلوق فله نظير والوتر هو
الله الذي لا شبيه له فقال اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وذكر ان الآثار الصادرة عن
العلل والمتولدات في الموجودات لا بد فيها من شيئين احدهما يكون كالاب والآخر
يكون كالام القابلة وقد يسمونه ذكرا الفاعل والقابل كالشمس مع الارض والنار مع الحطب
فما صدر عن شيء واحد عن شيء واحد فهذا لا وجود له في الوجود اصلا واما تشبيههم
لذلك بالشعاع مع الشمس وبالصوت كالطنين مع الحركة والنقر فهو ايضا حجة لله
ورسوله والمؤمنين عليهم وذلك ان الشعاع ان اريد به نفس ما يقوم بالشمس فذلك صفة
من صفاتها وصفات الخالق ليست مخلوقة ولا هي من العالم الذي فيه الكلام وان اريد
بالشعاع ما ينعكس على الارض فذلك لا بد فيه من شيئين وهو الشمس التي تجري مجرى الاب
الفاعل والارض التي تجري مجرى الام القابلة وهي الصاحبة للشمس وكذلك الصوت لا
يتولد الا عن جسمين يقرع احدهما الآخر ويقرع عنه فيتولد الصوت الموجود في اجسام العالم
عن اصلين يقرع احدهما الآخر او يقلع عنه فهذا حقيقة ما يعرفه الناس فالله سبحانه هو
الحق واحسن تفسيرا احسن بيانا وايضا فالحق وكشفه والايضاح لها علة تامة ملحوظة
ومعلولة له وهو جعله حتى يجعلوها دينا ويجعلوها لنا كالآباء والامهات وربما جعلوا العقل

كالاب

كالاب والنفس هي الام وربما يعظمهم الوالدان العقل والطبيعة كما قال صاحب
الفصوص في قوله نوح اغفر لي ولوالدي اي من ثبت نتيجة عنهما وهما العقل والطبيعة وحتى
يسمونها الارباب والالهة الصغرى ويعبدونها كما ذكر مخالف لما جاءت به الرسل وبعد ان صنف
بعض السلف الصابية بانهم يعبدون الملائكة وكذلك ذكر في الكتب المعربة عن قدمائهم انهم كانوا
يسمونها الالهة والارباب الصغرى كانوا يعبدون الكواكب ايضا والقرآن ينفي ان يكون ارباب
او يكون للعباد وكيل غير الله والرسول والذي لا يفعل الا بعد امر رسله ولا يشفع الا بعد ان يؤذن
له في الشفاعة وقد بين الله ذلك على ما زعمه العرب والروم وغيرهم من الامم فقال تعالى ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا الآية وقال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقد تقدم بعض الاحاديث في صعق الملائكة اذا قضى الله بالامر الكوني
او بالوحي الديني وقال تعالى وكم من ملك في السموات الآية وقال تعالى بل عباد مكرمون الآية
وقال تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا الآية وقال تعالى قل
ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون عنكم كشف الضر عنكم ولا تحويلا الآية نزلت
في الذين يدعون الملائكة والنبيين واستقصا القول في ذلك ليس هذا موضعه فان الله
سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم فالكلام التي في القرآن جامعة محيطة كلية عامة
لما كان متفرقا منتشرا في كلام غيره ثم انه يبين كل شيء تارة على صفة المناسبة للحكم المذكور
المبين وما يبين وجه دلالته فان تنزيهه نفسه عن الولد ما لولادة واتخاذ الولد انعم
والقوم من تغير بلفظ العلة فان العلة اصلها هو التغير كالمرض الذي يحيل البدن عن صحته و
العليل ضد الصحيح وقد قيل انه لا يقال معلول الا في الشرب يقال شربت الماء علا بعد نهل وخللته
اذا سقيته مرة ثانية واما استعمال الاسم العلة في الموجب للشيء والمقتضي له فهو من اعراف اهل
الكلام وهي وان كان بينها وبين العلة اللغوية مناسبة من جهة التغير فالمناسبة
في لفظ التولد اظهر ولهذا كان في الخطاب الشهير يقول الناس هذا الامر يتولد عنه كذا
وهذا يولد كذا وقد تولد عن ذلك الامر كيت وكيت لكل سبب اقتضى مسببا من
الاقوال والاعمال حتى اهل الطبايع يقولون الاركان والمولدات يريدون ما يتولد
لدعن الاصول الاربعة التراب والماء والهواء والنار من معدن ونبات وحيوان
فنفيه سبحانه عن نفسه ان يكون شيئا اقتضى الا يتولد عنه شيء ونفيه
ان يتخذ ولدا يقتضي انه لم يفعل ذلك لشيء من خلقه على سبيل التكريم وان

العباد لا يصلح ان يتخذ شيئا منهم بمنزلة الولد وهذا يبطل من يدعي مثل ذلك
في المسيح وغيره ومن يقول نحن ابناء الله ومن يقول الفلسفة هي التشبه
بالاله فان الولد يكون من جنس والده ويكون نظيرا له وان كان فرعا له ولهذا كان
هؤلاء القائلون بهذه المعاني من اعظم الخلق قولا بالتشبيه والتمثيل وجعل
الانداد له والعدل والتسوية ولهذا كانت الفلاسفة الذين يقولون
بصدور العقول والنفوس عنه على وجه التولد والتعليل يجعلونها له انداد او
يتخذونها الهة واربابا بل قد لا يعبدون الا اياها ولا يدعون سواها ويجعلونها
هي المبدعة لما سواها تحتها فالحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا

فان هؤلاء جعلوا لله شركا الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم والجن قد
قيل انه يعم الملائكة كما قيل في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وان كان قد قيل من سبب
ذلك زعم بعض مشركي العرب ان الله صاهر الى الجن فولدت الملائكة فقد كانوا يعبدون
الملائكة ايضا كما عبدتها الصابئة الفلاسفة كما قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا الاية وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة الاية يعني ان الملائكة
لم تامرهم بذلك وانما امرتهم بذلك الجن ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم كما يكون
للاصنام شياطين وكما تنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها حتى
تنزل عليه صورة فتخاطبه وهو شيطان من الشياطين ولهذا قال تعالى الم اعهد اليكم يا
بني ادم الاية وقال افتتخذونه وذريته الاية فهم وان لم يقصدوا عبادة الشيطان وموالاته
فهم في الحقيقة يعبدونه ويوالونه فقد تبين ان هؤلاء الفلاسفة الصابئة المبتدعة مؤ
منون بقليل مما جاءت به الرسل في امر الملائكة في صفتهم واقدارهم وذلك ان هؤلاء القوم لما سلكوا
الاستدلال بالحركات الفلكية والقياس على نفوسهم مع ما جحدوه وجهلوه من خلق الله وابدا
عه وسبب ذلك ما ذكره طائفة ممن جمع اخبارهم ان اساطينهم الاوائل كفيثاغورس وسقراط وافلاطون كانوا يهاجرون
الى ارض الانبياء بالشام ويتلقون عن لقمان

الحكيم

الحكيم ومن بعده من اصحاب داود وسليمان وان ارسطو لم يسافر الى ارض الانبياء ولم
يكن عنده من العلم باثارة الانبياء ما عند سلفه وكان عنده قدر يسير من الصابئة الصحيحة
فابتدع لهم هذه التعاليم القياسية وصارت قانونا مشى عليه اتباعه واتفق انه قد
يتكلم في طبائع الاجسام او في صورة المنطق احيانا بكلام صحيح واما الاولون فلم يوجد لهم
مذهب تام مبتدع بمنزلة مبتدعة المتكلمين في المسلمين مثل ابي الهذيل وهشام
بن الحكم ونحوهما ممن وضع مذهبا في ابواب اصول الدين فاتبعه على ذلك طائفة اذ كان
ائمة المسلمين مثل مالك وحماد بن زيد والثوري ونحوهم انما تكلموا بما جاءت به الرسالة وفيه
الهدى والشفاء فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين يعتاض بما عند هؤلاء وهذا سبب ظهور البدع
في كل امة وهو خفاء سنن المرسلين فيهم وبذلك يقع الهلاك ولهذا كانوا يقولون الاعتصام
بالسنة نجاة وقالوا السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وهذا حق
فان سفينة نوح انما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم وان من لم يركبها فقد كذب المر
سلين واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح
السفينة باطنا وظاهرا والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه
السلام وركوب السفينة معه وهكذا اذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة
وغيرهم من الامم التي فيها ضلال وكفر وجد القرآن والسنة كاشفا لاحوالهم مبينا لحقهم مميزا
بين حق ذلك وباطله والصحابة كانوا اعلم الخلق بذلك كما كانوا اقوم الخلق بجهاد الكفار
والمنافقين كما قال فيهم عبد الله بن مسعود من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان
الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد كانوا ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها
تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فا
نهم كانوا على الهدى المستقيم فاخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال عمق العلم وهذا قليل في المتا
خرين كما يقال من العجائب فقيه صوفي وعالم زاهد ونحو ذلك فان اهل بر القلوب وحسن
الارادة وصلاح المقاصد يحمدون على سلامة قلوبهم من الارادات المذمومة ويقرن بهم
كثيرا عدم المعرفة وادراك حقائق احوال الخلق التي توجب الذم للشر والنهي عنه
والجهاد في سبيل الله واهل التعمق في العلوم قد يدركون من معرفة الشرور والشبهات
ما يوقعهم في انواع الغي والضلالات واصحاب محمد كانوا ابر الخلق قلوبا واعمقهم علما ثم

ثم اكثر المتعمقين في العلم من المتاخرين يقتنون بتعمق التكلف المذموم من المتكلمين والمتعمقين وهو القول والعمل بالعلم وطلب ما لا يدرك والكلام بحيث محمد كانوا مع انهم اكمل الناس علما وافضلهم وحالا صاحبا افضل الناس تكلفا بقيد شيء من هذه الامة وتجد غيرهم يحشون الاوراق من التكلفات والسطحات ما هو من اعظم الفضول المبتدعة والاثار المخترعة لم يكن لهم في ذكر سلف الامة ونفوسها الملتقات ممن ساء قصده في الدين وبرودا انه سبحانه وتعالى كلم موسى انه ساخلق امة افضل منها على كل امة وليس احد اعلم ولا احكم فكيف بالمسيح ابن مريم كيف تفضل على جميع الامم وليس احد اعلم ولا احكم فالاعلم من علي وعلم وهذا من محو امنا متابعة الرسول فانه كان لا يتبع كما قال وكذلك كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ليلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وكذلك في الصحيح عن ابي موسى وعبد الله بن عمر مثلنا ومثل الامم قبلنا كالذي استاجر اجراء فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا قال فهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من شئت فاخذ الكتاب والسنة على ان الله يوتي اتباع هذا الرسول من فضله ما ابو تيه لاهل الكتابين قبلهم فكيف بمن هو دونهم من الصابئة ونحوهم من المبتدعة الصابئة من المتفلسفة ونحوهم ومن المعلوم ان اهل الحديث والسنة اخص بالرسول واتباعه فلهم من فضل الله وتخصيصه اياهم بالعلم والحكم وتضعيف الاجر ما ليس لغيرهم كما قال بعض السلف اهل السنة في الاسلام كاهل الاسلام في الملل فهذا الكلام تنبيه على ما يظنه اهل الجهالة وسطحة الضلالة من نقص الصحابة في العلم والبيان او اليد والسنان والمقصود التنبيه على ان كل من زعم بلسان حاله او مقاله ان طائفة غير اهل الحديث ادركوا من حقائق الامور الباطنة الغيبية في امر الخلق والبعث والمبدا والمعاد وامر الايمان بالله واليوم الاخر وتوحيد واجب الوجود والنفس الناطقة والعلوم والاخلاق التي تزكو بها النفوس وتصلح وتكمل دون اهل الحديث فهو احمق كما مر ما لو منعنا بالرسل فهو هل فيه شعبة

قوية

قوية من شعب النفاق والا فهو منافق خالص من الذين اذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وقد يكون ما هم فيه الذين يحاجون في الدين بعد ما استجيب له اراد

اسر بغير سلطان اتاهم وقد بينا في غير هذا الموضع ان القياس العقلي الصحيح الذي لا ريب فيه وان كان كذلك ظاهرا الفطرة فكل ما يظنه الفطرة فانه قد يكون كما ان الرسول اكمل الخلق علما والعلم بالحقايق واقومهم قولا وحالا لا ينبغي ان يكون احد من الناس به اعلم الخلق بذلك وان يكون اعظم موافقة له واقتداء به افضل الخلق ولا شك ان هذه الفطرة بعض ما علمه به فتدخل في المنسوبين الى السنة والحديث ما توسط وقد وان خالفنا في ذلك في غير هم الكثير والواجب في مقابلة الجملة بالجملة فالمحمود والمذموم هذه هي المقابلة العادلة وانما غير الفطرة قلة المعرفة بالحديث والسنة واتباع ذلك مع ما يوجد في المخالفين لها من نوع تحقيق لبعض العلم واحسان لبعض العمل فيكون ذلك شبهة في قبول غيره وترجيح صاحبه ولهذا نبهنا على ذلك الاشخاص وقد ذكر ابو محمد بن قتيبة في اول كتاب مختلف الحديث وغيره من العلماء اهل الباب ما لا يحصى من الامور المبينة لما ذكرناه وانما المقصود ذكر نفس الطريقة العلمية والعملية التي نوعا بحثنا الامور المنبوه النظر فيها ونوصل الى حقايق الامور الارادية العلمية فمتى كان ما غير الرسول قادرا على بيانه منه وكذلك اصحابه من بعده واتباعهم وهذه صفات الكمال او الارادة والاحسان والقدرة عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستخارة اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب فعلمنا صلى الله عليه وسلم ما نستخير الله بعلمه فيعلمنا من علمه ما نعلم به الخير ونستقدره بقدرته فيحصل لنا قادرية اذا الاستفعال طلب الفعل كما قال في الحديث الصحيح يقول الله تعالى يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم فاستهدى الله طلب ان يهديه واستطعامه طلب ان يطعمه هذا قوت القلوب وهذا قوت الاجسام وكذلك استخارته بعلمه واستقداره بقدرته يتضمن قال واسالك من فضلك العظيم فهذا السوال من جوده ومنه وعطايه واحسانه الذي يكون بمشيئته ورحمته وحنانه ولهذا قال فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم ولم يقل اني لا اعلم

والعلم ٤

ومن الذين يحاجون في الدين بعد ما استجيب له الاية

بلغ

وبسطة هذا الكلام ٤

نفسي لانه في مقام الاستخبار عن يريد الحق نفسه ويطلب ذلك لكنه لا يعلم ولا يقدر عليه الا ان يعلمه
الله اياه ويقدره عليه فاذا كان الرسول اعلم الخلق بالحقايق الخبرية والطلبية واحب الخلق
للتعليم والهداية والافادة واقدر الخلق على البيان والعبارة امتنع ان يكون فيما هو دونه افاد
خواصهم معرفة الحقايق اعظم مما افادها الرسول لخواصه فامتنع ان يكون لاحد من الطوا
يف من معرفة الحقايق علما ليس عند ما الحديث واذا لم يكن في الطوايف من هو اعلم بالحقايق و
ايضا لو كان عنده وجب ان يكون قد بلغه وبينه ما جهل بعضه هو فيه طايفة المخالف لكل الذاهبين
فيكون ما ذهبوا اليه جاهلا ما فيه شعبة نفاق اذ كان هو منافيا وهذا هو المقصود ثم ان هذا
الذي بيناه مشهود بالقلب اعلم ذكر ثم كل احد منا عارف مفصلا وهذه جملة يمكن تفصيلها
من وجوه كثيرة لكن ليس هذا موضعه **فصل** واما قول من قال ان الحشو على اقسام
بينا احدها لا يتحاشى من المشبه والتشبيه والتجسيم والاخر يستحي عن مذهب السلف وهذا
السلف انما هو التوحيد النفي دون التشبيه والتجسيم وكذا جميع المبتدعة يزعمون انهم
كما قال القايل ٥ وكل يدعو وصال ليلى ٥ وليلى لا تقر لهم بذاكا ٥ فهذا الكلام فيه حق و
باطل فمن الحق الذي فيه ذم من يمثل الله بخلوقاته ويجعل صفاته مماثلة لصفات وقد
قال الله تعالى ليس كمثله شيء وقال تعالى ولم يكن له كفوا احد وقال اهل العلم له سميا وقد بسطنا
القول في ذلك وذكرنا الدلالات العقلية التي دل عليها كتاب الله في نفي ذلك وبينا منه ما لم تذ
كره النفاة الذين يتسمون بالتنزيه ولا يوجد في كتبهم ولا يسمع من ائمتهم بل عامة جهمهم الذي يذ
كرونها جهم ضعيفه لانه يقصد واثبات حقا وباطلا فلا يتوهم عن فكر حجة مطوية مطلقة
عن الفساد بخلاف من اقتصد في قوله وتحرى القول السديد فان الله يصلح عليهم عمله كما قال
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم و
فيه من الحق الاشارة الى الرد على من انتحل مذهب السلف مع الجهل بمعانيهم او المخالفة لهم
بزيادة او نقصان فتمثيل الله بخلقه والكذب على السلف من الامور المنكرة سواء سمي ذلك تشبيها
او لم يسم وهذا بينا وله كثير من غالية المثبتة الذين يروون احاديث موضوعة في الصفا
ت مثل حديث عرق الخيل ونزوله عشية عرفة على الجمل الاورق فاحتى يصافح المشاة ويعانق
الركبان وتجليه لنبيه في الارض او رويته له على كرسي بين السماء والارض او رويته ايا ه في

الطواف

من هنا مقابل

الطواف او في بعض مسالك المدينة الى غير ذلك من الاحاديث الموضوعة فقد رايت من ذكر
امورا من اعظم المنكرات والكفران واحضر لي غير واحد من الناس من الاجزاء والكتب
ما فيه من ذكر ما هو من الافتراء على الله وعلى رسوله وقد وضع لتلك الاحاديث اسانيد حتى
ان منها ما وجدت في كتاب صنفه الشيخ ابو الفرج المقدسي فيما يختص به السني من البدعي فجعل ذ
لك الكتاب مما اوحاه الله الى نبيه ليلة المعراج وامره ان يخص به الناس فمن اقر به فهو سني
ومن لم يقر به فهو بدعي وزاد واقيه على الشيخ ابي الفرج اشياء لم يقلها هو ولا عاقل والناس
المشهور وقد يقول احدهم من المسايل والدلايل ما هو حق او فيه شبهة حق فاذا اخذ
الجهال ذلك فغيروه صار فيه من الضلال ما هو من اعظم الافك والمحال والمقصود ان كلامه
فيه حق وفيه من الباطل امور احدها قوله لا يتحاشى من الحشو والتجسيم ذم للناس باسما
ما انزل الله بها من سلطان والذي يمدحه زينه وذمه شينا هو الله والاسماء التي يتعلق بها
المدح والذم من الدين لا تكون الا ما سمى الله بها انزل الله بها سلطانه ودل عليها الكتاب والسنة
او الاجماع كالموحد والكافر والعالم والجاهل والمقتصد والملحد فاما هذه الالفاظ المبتدعة
فليست في كتاب الله ولا في حديث صحيح عن رسول الله ولا تطلق بها احد من سلف الامة وائمتها لا
نفيا ولا اثباتا واول من ابتدع الذم بها المعتزلة الذين فارقوا جماعة المسلمين فمن تبع سبيل
المعتزلة دون سبيل سلف الامة تركت القول السديد الواجب في الدين واتباع سبيل
المبتدعة الضالين وليس فيها ما يوجد عن بعض السلف ذمه الا لفظ التشبيه فلو اقتصر
عليه كما قاله قدوة من السلف الصالح ولو لا ذكر الاسماء التي نفاها الله في القرآن مثل لفظ الكفو
والند والسمي وغاير بينهم من لا يتحاشى من التمثيل ونحوه لكان قد ذم بقول نفاه الله وكذا به
ورد القرآن على ذم قايله ثم ينظر هل قايله هو موصوف بما وصفه به من الذم املا فاما الاسماء التي
لم يرد الشرع على ذمها ذم اهلها ولا مدحهم فيحتاج فيها الى مقامين احدهما بيان المراد بها والثا
ني بيان ان الموسوم موصوف بالشر يعة والمعنى صحيح عليه لان يمنعه المقام الاول فنقول لا نسلم
ان الذين عابتهم احدثوا في هذه الاسماء التي ذمتها ولم يقم دليل شرعي على ذمها وان دخلوا
فيها فلا نسلم ان كل ما دخل في هذه الاسماء فهو مذموم في الشرع الثاني ان هذا الضرب الذي
قلت انه لا يتحاشى من الحشو والتشبيه والتجسيم اما ان تدخل فيه مثبتة الصفات الخبرية
التي دل عليها الكتاب والسنة او لا تدخلهم فان ادخلتهم كنت ذاما لكل من اثبت الصفات الخبرية

ومعلوم ان هذا مذهب عامة السلف ومذهب ائمة الدين بل ائمة المتكلمين يثبتون الصفات
الخبرية ثم الجملة وان كان لهم فيها طرق كما ابي سعيد بن كلاب وابي الحسن الاشعري وائمة اصحابه
كابي عبد الله بن مجاهد وابي المعالي الباهلي والقاضي ابي بكر بن الباقلاني وابي اسحق الاسفرا
يني وابي بكر بن فورك وابي محمد بن اللبان وابي علي بن شاذان وابي القاسم القشيري وابي بكر
البيهقي وغيرهم ولا يجاوز ما ذكروا الا ما يثبت من الصفات الخبرية ما شاء الله تعالى وعامة ما
هم عليه اثبات كل صفة في القرآن واما الصفات التي في الحديث فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها
فاذا كنت تذم جميع اهل الاثبات من سلفك وغيرهم لم يبق معك الا الجهمية من المعتزلة ومن
وافقهم على نفي الصفات الخبرية من متاخري الاشعرية ونحوهم ولم تذكر حجة تعتمد فاي ذم لقوم
في انهم لا يحتجون بما عليه سلف الامة وائمتها وائمة الدين لهم وانما تدخل في اسم الحشوية من
يثبت الصفات الخبرية لم ينفعك هذا الكلام بل قد ذكرت انك في غير هذا الموضع هذا القول
واذا كان الكلام لا يخرج به الانسان عن ان يذم نفسه او يذم سلفه الذي هو باتباعه وانهم
افضل ممن اتبعهم كان هو المذموم بهذا الذم على التقديرين وكان له نصيب من الخوارج الذين
قال فيهم صلى الله عليه وسلم لو ادركتهم لقتلتهم قتل عاد ثم قد ثبت في الصحيح انه لما قال ذو
الخويصرة يا رسول الله وانت تزعم اني اظلم فانت خايب خاسر وهكذا امثاله ذم من يقول بانهم خيار الامة وافضلها
وان طايفة انما تلقت العلم والايمان منهم هو خايب خاسر بهذا الذم وهذه حال الرافضة في
ذم الصحابة الوجه الثالث قوله والاخر يستشهد بمذهب السلف ان اراد بالتشهد الاستحفاظ
هب السلف فيقال ليس مذهب السلف ما يشتهر به الا في بلاد اهل البدع مثل بلاد الرافضة
والخوارج فان المومن المستضعف هناك قد يكتم ايمانه واستدلاله كما كتم مومن ال فرعون
ايمانه وكما كان كثير من المومنين يكتم ايمانه هنا كما كانوا في دار الحرب فان كان هو لا في بلد انت
تكفيه سلطانا وقد تشتهر واما مذهب السلف فقد ذممت نفسك حيث كنت من طايفة يشتهر
مذهب السلف عنهم وان كنت من المستضعفين المستترين بمذهب السلف فلا يعني لنم
نفسك وانما تكلمنا مع من يظهر مذهب السلف ويدعو اليه ويناظر عليه ويعادي عليه ويوالي عليه
الذي اراده والله اعلم فيقال له لا يعيب على من اظهر مذهب السلف وانتسب اليه ودعا
اليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فان مذهب السلف لا يكون الا حقا فان كانوا موافقا له

باطنا

باطنا وظاهرا فهو بمنزلة المومن الذي هو على الحق باطنا وظاهرا وان كان موافقا له في
الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق فيقبل منه علانيته ونوكل سريرته الى الله
فانا لم نومر ان ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم وانما قوله مذهب السلف انما هو
التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه فيقال له لفظ التوحيد والتنزيه والتشبيه
والتجسيم الفاظ قد دخلها الاشتراك بسبب اختلاف الاصطلاحات المتكلمين وغيرهم
وكل طايفة تعني بهذه الاسماء ما لا يعنيه غيرهم فالجهمية من المعتزلة وغيرهم يريدون بالتو
حيد والتنزيه نفي جميع الصفات وبالتجسيم والتشبيه اثبات شيء منها حتى انهم قالوا ان
الله يرى في الاخرة ليس على وجه مشبه بجسم وكثير من المتكلمة الصفاتية يريدون بالتوحيد و
التنزيه نفي الصفات الخبرية او بعضها وبالتجسيم والتشبيه اثباتها او بعضها والفلاسفة
تعني بالتوحيد ما تعنيه المعتزلة ونزيادة حتى يقولوا ليس له الا صفة سلبية او اضافية
او مركبة منهما والاتحادية تعني بالتوحيد انه هو الوجود المطلق وغيرهم لا تعني اصطلا
حات اخر واما التوحيد الذي بعث الله به رسله وانزل به الكتب فليس هو متضمنا
شيا من هذه الاصطلاحات بل امر الله عباده ان يعبدوه لا يشركوا به شيا فكلا يكون العبد
نصيبه فيما يختصابه من العبادة وتوابعها هذا في العمل وفي القول هو ما وصف الله به
نفسه ووصفه به رسوله فاذا كنت تعني ان مذهب السلف هو التوحيد بالمعنى الذي
جا به الكتاب والسنة فهذا حق واهل الصفات الخبرية لا يخالفون هذا واذا عنيت
ان مذهب السلف هو التوحيد والتنزيه الذي تعنيه بعض الطوايف فهذا يعلم
بطلانه كل من تامل اقوال السلف الثابتة عنهم الموجودة في كتب اثارهم فليس في كلام
احد من السلف كلمة تواطئ ما تختصابه هذه الطوايف ولا كلمة تنفي الصفات الخبرية
ومن المعلوم ان مذهب السلف اذا كان يعرف بالنقل عنهم فليس جميع ذلك الا الاثار
المنقولة عنهم وان كانوا انما يعرفون بالاستدلال المحض بان يكون ما تكلم به اثرا حتى لا عنده
هو الصواب فقال هذا قول السلف لانا السلف لا يقولون الا الصواب وهذا هو
الصواب فهذا هو الذي يطوي المبتدعة الى ان يزعم كل منهم انه على مذهب السلف فما
بل هذا القول قد عاب نفسه بنفسه حيث انتحل مذهب السلف بلا نقل عنهم بل بدعواه

ان قوله هو الحق واما اهل الحديث فانما تذكر مذهب السلف بالنقول المتواترة تارة يذكرون
من نقل مذهبهم من علماء الاسلام وتارة يروون نفس قولهم في هذا الباب كما سلكناه في جوا
ب الاستفتاء فانا لما اردنا ان نبين مذهب السلف ذكرنا طريقين احدهما انا ذكرنا ما تيسر
من ذكر الفاظهم ومن روى ذلك من اهل العلم بالاسانيد المعتبرة والثاني ذكرنا من نقل مذهب
السلف من جميع طوايف المسلمين من طوايف الفقهاء الاربعة ومن اهل الحديث والتصوف
واهل الكلام كالاشعري وغيره فصار مذهب السلف منقولا باجماع الطوايف وبالتواتر
لم نثبته بمجرد دعوى الاصابة لنا والخطا لمخالفنا كما يفعل اهل البدع ثم لفظ التجسيم لا
يوجد في كلام احد من السلف لا نفيا ولا اثباتا فكيف يحل ان يقال مذهب السلف نفي التجسيم
او اثباته بلا ذكر لذلك اللفظ ولا لمعناه عنهم وكذلك لفظ التوحيد بمعنى نفي شيء من الصفات
لا يوجد في كلام احد من السلف نعم لفظ التشبيه موجود في كلام بعضهم وتفسير معه
كما قد كتبناه عنهم وانهم ارادوا بالتشبيه تمثيل الله بخلقه دون نفي الصفات التي في القرآن
والحديث وايضا فهذا الكلام لو كان حقا في نفسه لم يكن مذكورا بحجة تتبع وانما هو مجرد دعوى
على وجه الخصومة التي لا يعجز عنها من يستجيز ويستحسن ان يتكلم بلا علم ولا عدل ثم انه يدل على
قلة الخبرة بمقالات الناس من اهل السنة والبدعة فانه قال وكذا جميع المبتدعة يزعمون
انهم على مذهب السلف فليس الامر كذلك بل الطوايف المشهورة بالبدعة كالخوارج والروا
فض لا يدعون انهم على مذهب السلف بل هؤلاء يكفرون جمهور السلف فالرافضة تطعن في ابي
بكر وعمر وعامة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان و
ساير ايمة الاسلام فكيف يزعمون انهم على مذهب السلف ولكن ينتحلون مذهب اهل البيت
كذبا وافترا وكذلك الخوارج قد كفروا عثمان وعليا وجمهور المسلمين من الصحابة والتابعين
فكيف يزعمون انهم على مذهب السلف الوجه الثاني ان هذا الاسم ليس له ذكر في كتاب الله
ولا سنة رسوله ولا كلام احد من الصحابة والتابعين ولا من ايمة المسلمين ولا شيخ او عالم
مقبول عند عموم الامة فاذا لم يكن ذلك لم يكن في الذم به لا نص ولا اجماع ولا ما يصلح تقليده
للعامة فاذا كان الذم بلا مستند للمجتهد ولا للمقلدين عموما كان في غاية الفساد والظلم اذ
لو ذم به بعض من يصلح لبعض العامة تقليده لم يكن له ان يحتج به اذ المقلد الاخر لمن يصلح له

تقليده

وكذلك لفظ التنزيه بمعنى نفي شيء من الصفات الخبرية لا يوجد في كلام احد من السلف صح

تقليده لا يذم به ثم مثل ابي محمد وامثاله لم يكن يستحل ان يتكلم في كثير من فروع الفقه بالتقليد
فكيف يجوز له التكلم في اصول الدين بالتقليد والنكتة ان الذام به اما مجتهد واما مقلد
اما المجتهد فلا بد له من نص او اجماع او دليل يستنبط من ذلك فان الذم والحمد من الاحكام الشر
عية وقد قدمنا بيان ذلك وذكرنا ان الحمد والذم والحب والبغض والوعد والوعيد والموا
لات والمعادات ونحو ذلك من احكام الدين لا يصلح الا بالاسماء التي انزل الله بها سلطانه
فاما تعليق ذلك باسماء مبتدعة فلا يجوز ذلك من باب شرع دين لم ياذن به الله وانه لا بد من
معرفة حدود ما انزل الله على رسوله والمعتزلة ايضا تفسق من الصحابة والتابعين طوا
يف وتطعن في كثير منهم وفيما رووه من الاحاديث التي تخالف اراءهم واهواءهم بل تكفر ايضا
من يخالف اصولهم التي انتحلوها من السلف والخلف فلهم من الطعن في علماء السلف و
في علمهم ما ليس لاهل السنة والجماعة وليس انتحال السلف من شعايرهم وان كانوا يقررو
ن خلافة الخلفاء الاربعة ويعظمون من ايمة الاسلام وجمهورهم ما لا يعظمه اولئك فلهم
من القدح في كثير منهم ما ليس هذا موضعه وللنظام من القدح في الصحابة ما ليس هذا مو
ضعه وان كان من اسباب انتقاص هؤلاء المبتدعة للسلف هو ما حصل في المنتسبين
اليهم من نوع تقصير وعدوان وما كان من بعضهم من امور اجتهادية الصواب في خلا
فها فان ما حصل من ذلك صار فتنة للمخالف لهم ضل به ضلالا كثيرا فالمقصود هنا ان
المشهورين من الطوايف بين اهل السنة والجماعة العامة بالبدعة ليسوا منتحلين للسلف
بل اشهر الطوايف بالبدعة الرافضة حتى ان العامة لا تعرف من شعاير البدع الا الرفض
والسني في اصطلاحهم من لا يكون رافضيا وذلك انهم اكثر مخالفة للاحاديث النبوية و
لمعاني القرآن واكثر قدحا في سلف الامة وايمتها وطعنا في جمهور الامة من جميع الطوايف
فلما كانوا ابعد عن متابعة السلف كانوا اشهر بالبدعة فعلم ان شعار اهل البدع ترك
انتحال اتباع السلف ولهذا قال الامام احمد في رسالة عبدوس بن مالك اصول السنة عندنا
التمسك بما كان عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واما متكلمة اهل الاثبات من الكلابية والكرا
مية والاشعرية مع الفقهاء والصوفية واهل الحديث فهؤلاء في الجملة لا يطعنون في السلف
بل قد يوافقونهم في اكثر جمل مقالاتهم لكن كل من كان بالحديث من هؤلاء اعلم كان بمذهب

السلف اعلم وله اتبع وانما يوجد تعظيم السلف عند كل طايفة بقدر استنانها وقلة ابتداعها اما
ان يكون انتحال السلف من شعاير اهل البدع فهذا باطل قطعا فان ذلك غير ممكن الا حيث يكثر الجهل
ويقل العلم يوضح ذلك ان كثيرا من اصحاب ابي محمد من اتباع ابي الحسن الاشعري يصرحون بمخالفة
السلف في مثل مسالة الايمان ومسالة تاويل الايات والاحاديث يقولون مذهب السلف ان
الايمان قول وعمل يزيد وينقص واما المتكلمون من اصحابنا فمذهبهم كيت وكيت وكذلك يقولون
مذهب السلف ان هذه الايات والاحاديث الواردة في الصفات لا تتاول والمتكلمون يرون
تاويلها اما وجوبا واما جوازا ويذكرون الخلاف بين السلف وبين اصحابهم المتكلمين هذا
منطوق السنتهم ومسطور كتبهم افلا عاقل يعتبر ومغرور يزدجر ان السلف ثبت عنهم ذلك حتى
بتصريح المخالف ثم يحدث مقالة تخرج عنهم اليس هذا صريحا ان السلف كانوا ضالين عن التو
حيد والتنزيه وذلك المتاخرون وهذا فاسد بضرورة العقل الصحيح والدين المتين وايضا
قد ينصر المتكلمون اقوال السلف تارة واقوال المتكلمين تارة كما يفعله غير واحد مثل ابي
المعالي وابي حامد والرازي وغيرهم ولازم المذهب الذي ينصرونه تارة انه هو المعتمد
فلا يثبتون على دين واحد وتغلب عليهم الشكوك وهذا عادة الله فيمن اعرض عن الكتاب
والسنة وتارة يجعلون اخوانهم المتاخرين احذق واعلم من السلف ويقولون طريقة السلف
اسلم وطريقة هولا اعلم واحكم فيصفون اخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان والتحقيق والعرفا
ن والسلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه او الخطا والجهل وغايتهم عندهم ان يقيموا اعذا
رهم في التقصير والتفريط ولا ريب ان هذا شعبة من الرفض فانه وان لم يكن تكفيرا للسلف
كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج ولا تفسيقا لهم كما يقوله من يقوله من المعتزلة
والزيدية وغيرهم كان تجهيلا لهم وتخطية وتضليلا او نسبة لهم الى الذنوب والمعاصي
وان لم يكن فسقا وزعما ان اهل القرون المفضولة في الشريعة اعلم وافضل من اهل القرون الفا
ضلة ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه اهل السنة والجماعة
من جميع الطوايف ان خير قرون هذه الامة في الاعمال والاقوال والاعتقاد وغيرها من
كل فضيلة ان خيرها القرن الاول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله
عليه وسلم من غير وجه وانهم اولى بالبيان لكل مشكل هذا لا يدفعه الا من كابر المعلوم بالضرورة

من

وانهم افضل من الخلف في كل فضيلة من علم وعمل وايمان وعقل ودين وبيان وسيادة

من دين الاسلام واضله الله على علم كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كان منكم مستنا
فليستن بمن قد مات فان الحي لا تومن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد ابر هذه الامة قلوبا
واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا
بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم وقال غيره عليكم باثار من سلف فانهم جاوا بما يكفي وما
يشفي ولم يحدث بعدهم خير كما من لم يعلموه هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا ياتي زمان الا و
الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم فكيف يحدث لنا زمان فيه الخير في اعظم المعلومات وهو
معرفة الله تعالى هذا لا يكون ابدا وما احسن ما قال الشافعي رحمه الله في رسالته هم فوقنا
في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب ينال به علم او يدرك به هدى ورايهم لنا خير من را
ينا لانفسنا وايضا فيقال لهولا جهمية الكلابية كصاحب هذا الكلام ابي محمد وامثاله كيف
تدعون طريقة السلف وغاية ما عند السلف ان يكونوا موافقين لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فان عامة ما عند السلف من العلم والايمان ما استفادوه من نبيهم الذي اخرجهم الله به
من الظلمات الى النور وهداهم به الى صراط العزيز الحميد الذي قال الله فيه هو الذي ينزل
على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور
رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شي من فضل الله وقال لقد من الله على المومنين اذ
بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من
قبل لفي ضلال مبين وقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وابو محمد وامثاله قد سلكوا مسلك الملاحدة
الذين يقولون ان الرسول لم يبين الحق في باب التوحيد ولا بين للناس ما هو الامر عليه
في نفسه بل اظهر للناس خلاف الحق والحق اما كتمه واما غير عالم به فان هولا الملاحدة
من المتفلسفة ومن سلك سبيلهم المخالفين لما جا به الرسول في الامور العلمية كالتوحيد والمعاد
وغير ذلك يقولون ان الرسول احكم الامور العملية المتعلقة بالاخلاق والسياسة المنزلية
والمدنية واتى بشريعة عملية هي افضل شرايع العالم ويعترفون بانه لم يقرع العالم ناموس

افضل من ناموسه ولا اكمل منه فانهم راوا حسن سياسته للعالم وما اقامه من سنن العدل ومحاه
من الظلم واما الامور العلمية التي اخبر بها من صفات الرب واسمايه وملايكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر والجنة والنار فلما راوها تخالف ما هم عليه صاروا في الرسول فريقين فغلا
تهم يقولون انه لم يكن يعرف هذه المعارف وانما كان كماله في الامور العملية العبادات والاخلا
ق واما الامور العلمية فالفلاسفة اعلم بها منه بل ومن غيره من الانبيا وهولاء يقولون
ان عليا كان فيلسوفيا وانه كان اعلم بالعلميات من الرسول وان هرون كان فيلسوفيا
وكان اعلم بالعلميات من موسى وكثير منهم يعظم فرعون ويسمونه افلاطن القبطي ويدعون
ان صاحب مدين الذي تزوج موسى ابنته الذي يقول بعض الناس انه شعيب يقول
هولا انه افلاطن استاد ارسطو ويقولون ان ارسطو هو الخضر الى امثال هذا الكلام
الذي فيه من الجهل والضلال ما لا يعلمه الا ذو الجلال اقل ما فيه جهلهم بتواريخ الانبيا فان
ارسطو باتفاقهم كان وزير الاسكندر بن فيلبس المقدوني الذي تورخ له اليهود والنصا
رى التاريخ الرومي وكان قبل المسيح بنحو ثلاث ماية سنة وقد يظنون ان هذا هو ذو
القرنين المذكور في القران وان ارسطو كان وزير الذي القرنين المذكور في القران وهذا جهل
فان هذا الاسكندر بن فيلبس لم يصل الى بلاد الترك ولم يبن السد وانما وصل الى بلاد
الفرس وذو القرنين المذكور في القران وصل الى شرق الارض وغربها وكان متقدما على هذا
يقال اسمه الاسكندر بن دارا وكان موحدا مومنا وذاك مشركا كان يعبد هو وقومه الكوا
كب والاصنام ويعانون السحر كما كان ارسطو وقومه من اليونان مشركين يعبدون
الاصنام ويعانون السحر ولهم في ذلك مصنفات واخبارهم مشهورة واثارهم ظاهرة بذلك
فاين هذا من هذا والمقصود هنا بيان ما يقوله هولا الفلاسفة الباطنية فيما جا به الرسول
والفريق الثاني منهم يقولون ان الرسول كان يعلم الحق الثابت في نفس الامر في التوحيد
والمعاد ويعرف ان الرب ليس له صفة ثبوتية وانه لا يرى ولا يتكلم وان الافلاك قديمة ازلية
لم تزل ولا تزال وان الابدان لا تقوم وانه ليس لله ملايكة هم احيانا طغوا ينزلون بالوحي
من عنده ويصعدون اليه ولكن يقول بما عليه هولا الباطنية في الباطن لكن ما كان يمكنه
اظهار ذلك للعامة لان هذا اذا ظهر لم تقبله عقولهم وقلوبهم بل ينكرون وينفرون فاظهر لهم

من

من التخييل والتمثيل ما ينتفعون به في دينهم وان كان في ذلك تلبيس عليهم وتجهيل لهم و
اعتقادهم الامر على خلاف ما هو عليه لما في ذلك من المصلحة لهم ويجعلون ايمة الباطنية كبني
عبيد بن ميمون القداح الذين ادعوا انهم من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر ولم يكونوا من
اولاده بل كان جدهم يهوديا ربيبا لمجوسي واظهروا التشيع ولم يكونوا في الحقيقة على دين
واحد من الشيعة لا الامامية ولا الزيدية بل ولا الغالية الذين يعتقدون الهية علي او نبوته
بل كانوا شرا من هولا كلهم ولهذا كثر تصانيف المسلمين في كشف اسرارهم وهتك استارهم و
كثر غزو المسلمين لهم وقصصهم معروفة وابن سينا واهل بيته كانوا من اتباع هولا على
عهد حاكمهم المصري ولهذا دخل ابن سينا في الفلسفة وهولا يجعلون محمد بن اسماعيل
هو الامام المكتوم وانه نسخ شرع محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ويقولون ان هولا الا
سماعيلية كانوا ايمة معصومين بل قد يقولون انهم افضل من الانبيا وقد يقولون انهم
الهة يعبدون ولهذا ارسل الحاكم غلامه هشتكير الدرزي الى وادي تيم الله بن ثعلبة
بالشام فاضل اهل تلك الناحية وبقاياه فيهم الى اليوم يقولون بالهية الحاكم وقد اخرجهم
عن دين الاسلام فلا يرون الصلوات الخمس ولا صيام شهر رمضان ولا حج البيت الحرام
ولا تحريم ما حرمه الله ورسوله من الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر وغير ذلك وهولا
يامرون المستجيب لهم اولا الى التشيع والتزام ما توجبه الرافضة وتحريم ما يحرمونه
ثم بعد هذا ينقلونه درجة بعد درجة حتى ينقلونه في الاخر الى الانسلاخ من الاسلام و
ان المقصود هو معرفة اسرارهم وهو العلم الذي به تكمل النفس كما تقوله الفلاسفة الملا
حدة فمن حصل له هذا العلم وصل الى الغاية وسقطت عنه العبادات التي تجب على العامة
كالصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت وحلت له المحرمات التي لا تحل لغيره فهولا
يجعلون الرسول صلى الله عليه وسلم اذا عظموه وقالوا كان كاملا في العلم من جنس رؤسهم الملا
حدة وانه كان يظهر للعامة خلاف ما يبطنه للخاصة وقد بينا من فساد اقوالهم في غير هذا
الموضع ما لا يناسبه هذا المقام فان المقصود هنا ان هولا النفاة للعلو وللصفات
الخبرية كصاحب اللمعة وامثاله يقولون في الرسول من جنس قول هولا وان الذي
اظهره ليس هو الحق الثابت في نفس الامر لان ذلك ما كان يمكنه اظهاره للعامة فاذا

الى هذا كلام مقا

كانوا يقولون هذا في الرسول نفسه فكيف القول في اتباع من سلف الامة من العجائب والتابعين
ومن كان هذا اصل قوله في الرسول والسابقين الاولين من المهاجرين والانصار كان مخالفا
لهم لا محالة اذا علم النقل الذي كان الرسول وخواص اصحابه عنده يعلمونه و
لا يظهرونه فانه يكون مخالفا لكل من ذكرناه ايضا وهذا للسلف بمنزلة اشعة الشمس و
غيره وفي كلام ابي حامد ما هذا قطعة كبيرة وابن عقيل وامثاله قد يقولون اصابا هذا
لكن ابن عقيل الغالب عليه اذا خرج عن السنة ان يميل الى التجهم والاعتزال وهو امره
بخلاف اخر ما كان عليه فقد خرج الى السنة المحضة وابو حامد يميل الى الفلسفة لكنه اظهر
في غالب التصوف والعبارات الاسلامية ولهذا رد عليه علماء المسلمين حتى اختصر احياءه
ابو بكر بن عربي فان شيخنا ابو حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر
وقد حكى عنه في القول بذاهب الباطنية ما يوجد مقصد يلخذ ذلك في كتبه ورد عليه العلماء
المذكورون قبل فصل ثم قال المعترض قال ابو الفرج ابن الجوزي في الرد على
الحنابلة انهم اثبتوا لله سبحانه عينا وصورة ويمينا وشمالا ووجها ويدا على الذات و
جبهة وصدرا ويدين ورجلين واصابع وخنصرا وكفا وساقا وقدما وجنبا وحقوا
وخلفا واماما وصعودا ونزولا وهو وله وايجابا فقد حكوا هيئة اليدين وقالوا انجل
على ظاهره وليست بجارحة ومثل هذا لا يحدثنا فانهم يكابرون العقول وكانهم
يحدثون الاطفال قلت الكلام على هذا في انواع الاول بيان ما فيه من التعصب
بالجهل والظلم قبل الكلام في المسالة العلمية الثاني بيان انه رد بلا حجة ولا دليل اصلا
الثالث بيان ما فيه من تضعيف النقل والعقل اما الاول فان هذا المصنف الذي نقل
منه كلام ابي الفرج لم يصنف في الرد على الحنابلة كما ذكر هذا وانما رد به بدعا ادعاها على
بعضهم وقصد قصد ابي عبد الله بن حامد والقاضي ابي يعلى وشيخه ابي الحسن بن التوزي
ومن تبعهم والا فجمهور الحنابلة لم يعرفوا ابا الفرج ولم يعلموا ولا احكى عنهم انكروا بل هو
يحتج في مخالفته لهو لاء بكلام كثير من ائمة الحنبلية كما يذكره من كلام التميمي مثل
رزق الله التميمي وابي الوفا ابن عقيل ورزقا ابن اسد كما يميل الى طريقة سلفه كجده ابي
الحسن التميمي وجده ابي الفضل التميمي والشريف ابي يعلى ابن ابي موسى هو صاحب ابن

الحسن

الحسن التميمي وقد ذكر عنه انه قال لقد خوف القاضي ابو يعلى الحنابلة خرية لا يغسلها
الماء وسنتكلم على هذا بما يسره الله من الكلام بعلم وعدل ولا حول ولا قوة الا بالله
فما زال في الحنبلية من يميله الى نوع من الاثبات فهي الذي ينفيه طائفة اخر منهم
ومنهم من يمسك عن النفي والاثبات جميعا فيهم جنس التنازع الموجود في سائر الطوائف
في لكن تنازعوا وافترقوا فالكتوة اعتصامهم بالسنة والاثار والائمة احمد بن حنبل
اصول الدين من الاقوال المبينة مما تنازع فيه الناس مما ليس في نص ولا اجماع موجود
بالكتاب والسنة واتباع سبيل السلف الطيب ولهذا كان جميع من ينتسب السنة من طوائف
في الامة مقرها وما ومتكلمها وصوفيتها ينتحلونه ثم قد يتنازع هو لا في بعض ما
بل خالفوا هذا امر لابد منه في العالم والنبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر بان هذا لابد منه وقوعه
وانه لما سال ربه الا يلبسهم شيعا منع ذلك فلابد في الطوائف المنتسبة الى السنة والجماعة
من نوع تنازع لكن لابد فيها من طائفة تعتصم بالسنة كما انه لابد ان يكون بين المسلمين
تنازع واختلاف لكنه لا يزال في هذه الامة طائفة قائمة بالحق لا يضرها من خالفها
ولما كان هذا حاصل وقوع الساعة ولهذا لما كان ابو الحسن الاشعري واصحابه منتسبين
الى السنة والجماعة كان منتحلا للامام احمد ذاكرا انه معتمد به متبع سبيله وكان بين
اصحاب اصحابه من المباقة والمفارقة لكثير من اصحاب الامام احمد ما هو معروف عند
اذا ما يكون عبد العزيز يذكر من هجر ابي الحسن في كلامه مثل ما يذكر من هجر اصحابه لانه كان
عنده من متكلمة اصحابه وكان من اعظم الناس ثلبا لهم التميمي وابنه و
ابن ابنه ونحوهم وكان بين ابي الحسن التميمي وبين القاضي ابي بكر ابن الباقلاني ما هو المودة و
الصحبة ما هو معروف مشهور ولهذا اعتمد الحافظ ابو بكر البيهقي في كتابه الذي صنفه في
مناقب الامام احمد لما ذكر اعتقاده اعتمد على ما نقله مما كلام ابي الفضل عبد الواحد بن
ابي الحسن التميمي وله في هذا الباب مصنف ذكر فيه ما اعتقاد احمد ما هو ولم يذكر فيه الفاظ
ظم وانما ذكر ما هو عنده اعتقاد بلفظ نفسه وجعل يقول وكان ابو عبد الله وهو يعني التميمي
يصنف كذا في الفقه على رأي بعض الائمة ويذكر مذهبه بحسب ما فهمه ورآه وان كان بعض
اتباعه يذهب ذلك الامام منه على الفاظ واضح لمقاصد صحاح الناس في نقل مذاهب الائمة

قد يكون نوعا بحسب نقل الشريعة ومن المعلوم انا احدهم يقول حكم الله كذا او حكم الشريعة كذا بحسب ما اعتقده عن صاحب الشريعة بحسب ما بلغه وفهمه وانا كما نعلم ان احدا غير النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم باطن صاحب الشريعة والمراد فهمه فهذا ايضا من الامور التي يكثر وجودها في بني ادم ولهذا قد تختلف الرواية في النقل عن الامام كما يختلف بعض المحدثين في النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم فلا يجوز ان يصدر عنه خبر ابدا متناقضان في الحقيقة ولا امر ابدا متناقضا في الحقيقة الا واحدهما ناسخ والاخر منسوخ واما غير النبي صلى الله عليه وسلم فليس بمعصوم فيجوز ان يكون قد قال في بعض امره متناقضين وامر بامرين متناقضين ولم يشعر بالتناقض لكن اذا كان في المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يحتاج الى تعبير ومعرفة وقد تختلف الروايات حتى يكون بعضها ارجح من بعض والنقلة للشريعة بالاسناد لا فيهم اختلاف كثير لم يشتركوا في وقوع نحو ما هذا في غيره بل هو او لم يذكر لانا الله قد حفظ الذكر الذي انزله على رسوله ولم يحفظ حفظا ما يوجد عما غيره لان ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة هدى الله الذي جاء من عند الله وبه يهدي الله سبيله وهو حجته على عباده فلو وقع فيه ضلال لم يبين لسنة الله في ذلك ودهب هداه وعميت سبيله اذ ليس بعد هذا النبي نبي اخر ينتظر ليبين للناس ما اختلفوا فيه بل هذا الرسول اخر الرسل وامته خير الامم ولهذا لا يزال فيها طائفة قائمة على الحق باذن الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة الوجه الثاني ان ايات القرآن نفسه متناقضة في هذا الباب لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الاثبات بل له من الكلام في الاثبات نظما ونثرا ما اثبت به كثيرا من الصفات التي انكرها في هذا المصنف فهو في هذا الباب مثل كثير من الناس يضيق في هذا الباب من انواع الناس يثبت مرة وينفي اخرى ويفرق بين ما وافقه كثيرا من الصفات كما هو حال ابي الوفا ابن عقيل وابي حامد الغزالي الوجه الثالث ان باب الاثبات ليس مختصا بالحنبلية ولا فيهم من العلوم ما ليس في غيرهم بل ما استغرقت اهل الناس وجد في كل طائفة من العلاة في النفي والاثبات ما لا يوجد مثله في الحنبلية ووجد من مال منهم الى النفي باطل او اثبات باطل فانه لا يتصف اسراف غيرهم من الباطل في النفي والاثبات بل يجد في الطوائف من زيادة النفي الباطل والاثبات الباطل ما لا يوجد مثله في الحنبلية وانما الاعتدال في النفي والاثبات فيهم وما وجب الهم من غير هم الذين اعتقدوا احد وداعه بزيادة النفي والاثبات

اذ اصل

اذ اصل السنة مبناها على الاقتصاد في الاعتقاد دون الغلو والاعتداد وكان علم الامام احمد وابنا
عه لما من الكمال والتمام على الوجه المشهور بين الخاص والعام ممن له بالسنة واهلها نوع الما
واما اهل الجهل والضلال الذين لا يعرفون ما بعث الله به الرسول ولا يميزون فيما صحيح
المنقول وصريح المعقول وبين الروايات المكذوبة والاراء الباطلة المضطربة فاولئك جا
هلون قدر الرسول والسابقين الاولين من المهاجرين والانصار الذين نطق بفضلهم القرآن فهم
يعتقدون الاية الخالفين هو لاء اولى ان يكونوا جاهلين اذ كانوا اشبه بمن شاقا الرسول و
اتبع غير سبيل المومنين من اهل العلم والايمان وهم في هذه الاحوال الى الكفر اقرب منهم للايمان
نجد احدهم يتكلم في اصول الدين او فروعه بكلام من كان لم يشم في دار الاسلام ولا سمع ما
عليه اهل العلم والايمان ولا عرف حال سلف هذه الامة وما اوتوه من كمال العلوم النافعة
والاعمال الصالحة ولا عرف ما بعث الله به نبيه ما يهدي به اهل الفرق بين الهدى والضلال والغي و
الرشاد وجد وشيعة هو لا اهل بدعة السنة وهذه الامة من جنسها وشيعة الرافضة ومن معهم من
المنافقين في ابي بكر وعمر واعيانا المهاجرين والانصار ووشيعة اليهود والنصارى ومن اتبعهم
من منافقي هذه الامة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ووشيعة الصابئة والمشركين من الفلاسفة
ومبتدعتهم في الانبياء والمرسلين وقد ذكر الله في كتابه من كلام الكفار والمنافقين في الانبياء والمرسلين
واهل العلم والايمان ما فيه عبرة للمعتبر وبينة للمستبصر وموعظة للمتقي وتجد خاصة
اهل الكلام ومن اوعى من جادة السلف الامن عصم الله يعظمون اية الاخلاص بعد نفورهم في
كثير بعبارات الاتحاد ويتكلفون لها محامل غير ما قصده ولي في قلوبهم من الاجلال والتعظيم
والشهادة بالامانة والولاية لغير واحد من اهل الخلاف ما الله به عليم هذا ابن عربي يصرح في فصوصه
ان الولاية اعظم من النبوة بل الكمال من الرسالة ومن كلامه مقام النبوة في برزخ فوق الرسول
ودون الولي وبعضهم اصحابه يتاول ذلك بان ولاية النبي افضل من نبوته وكذلك ولاية الرسول
افضل من رسالته او يجعلون ولايته حاله مع الله ورسالته حاله مع الخلق وهذا مما يبلغ الجهل
فان الرسول اذا خاطب الخلق وبلغهم الرسالة لم يفارق الولاية بل هو ولي الله في تلك الحال كما هو
ولي الله في جميع احواله فانه ولي لله يفعل ما يفعله من هو احواله وليست حال تبليغ الرسالة دون
حاله اذا صلى ودعا الله وناجاه وايضا فما يقول هذا المكاشف في قوله هذا المعظم ان النبي حال الله

عليه وسلم لبنة من فضة وهو لبنتان من ذهب وفضة ويزعم ان لبنة محمد صلى الله عليه وسلم هي العلم
الظاهر ولبنتاه الذهب علم الباطن والفضة علم الظاهر وانه يتلقى ذلك بلا واسطة ويصرح في
فصوصه ان رتبة الولاية اعظم من رتبة النبوة لان الولي ياخذ بلا واسطة والنبي بواسطة فا
لفضيلة التي امتاز بها على النبي صلى الله عليه وسلم اعظم عنده مما شاركه فيه وبالجملة فهو لم يتبع
النبي صلى الله عليه وسلم في شي فانه اخذ بزعمه عن الله ما هو متابعه فيه في الظاهر كما يوافق المجتهد
المجتهد والرسول الرسول فليس عنده من اتباع الرسول والتلقي عنه شي اصلا لا في الحقا
يق الخبرية ولا في الحقايق الشرعية وايضا انه لم يرض ان يكون معه كموسى مع عيسى وكالعالم
مع العالم في الشرع الذي وافقه فيه بل ادعى انه ياخذ ما اقره عليه من الشرع من الله في الباطن فيكو
ن اخذه للشرع عن الله اعظم من اخذ الرسول واما ما ادعى امتيازه به عنه وافتقار الرسول
اليه وهو موضع اللبنة الذهبية فزعم انه ياخذ عن المعدن الذي ياخذ منه الملك الذي يوحي به
الى الرسول فهذا كما ترى في حال هذا الرجل وتعظيم بعض المتاخرين له وصرح الغزالي بان قتل من
ادعى ان رتبة الولاية اعلا من رتبة النبوة احب اليه من قتل مائة كافر لان ضرر هذا في الدين
اعظم ولا نطيل الكلام في هذا المقام لانه ليس المقصود هنا وايضا فاسماء الله واسماء صفاته عند
هم شرعية سمعية لا تطلق بمجرد الراي فهم في الاتباع من هذه الاسماء احق بالعذر مما امتنع
من تسمية صفاته اعراضا وذلك ان الصفات التي لنا منها ما هو عرض كالعلم والقدرة ومنها ما هو
جسم وجوهر قايم بنفسه كالوجه واليد وتسمية هذه جوارح واعضا اخص من تسميتها
اجساما لما في ذلك من معنى الاكتساب والانتفاع والتصرف وجواز التفريق والتبعيض
الوجه الرابع ان هذا السوال لا يختص بهولا بل اثبات جنس هذه الصفات قد اتفق
عليه سلف الامة وايمتها من اهل الفقه والحديث والتصوف والمعرفة وايمة اهل الكلام من
الكلابية والكرامية والاشعرية كل هولا يثبتون لله صفة الوجه واليد ونحو ذلك وقد ذكر
الاشعري في كتاب المقالات ان هذا مذهب اهل الحديث وقال انه به يقول فقال في جملة مقالة
اهل السنة واصحاب الحديث جملة مقالة اهل السنة واصحاب الحديث الاقرار بكذا وكذا و
ان الله على عرشه استوى وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يداه مبسو
طتان وان له عينين بلا كيف كما قال تجري باعيننا وان له وجها كما قال ويبقى وجه ربك ذو
الجلال

من هنا مقالات

ذو الجلال والاكرام وقد قدمنا فيما تقدم ان جميع ايمة الطوايف هم من اهل الاثبات وما من شي ذكره
ابو الفرج وغيره مما هو موجود في الحنبلية سوا كان الصواب فيه مع المثبت او مع النافي او
كان فيه تفصيل الا وذلك موجود فيما شا الله من اهل الحديث والصوفية والمالكية والشافعية و
الحنفية ونحوهم بل هو موجود في الطوايف التي لا تنتحل السنة والجماعة والحديث ولا مذهب
السلف مثل الشيعة وغيرهم ففيهم في طرفي الاثبات والنفي ما لا يوجد في هذه الطوايف و
كذلك في اهل الكتابين اهل التوراة والانجيل توجد هذه المذاهب المتقابلة في النفي والا
ثبات وكذلك الصابية من الفلاسفة وغيرهم له مقابل في النفي والاثبات حتى ان منهم من يثبت
ما لا يثبته كثير من متكلمة الصفاتية ولكن جنس الاثبات على المتبعين للرسل اغلب من الذ
ين امنوا واليهود والنصارى والصابية المهتدين وجنس النفي على غير المتبعين للرسل اغلب
من المشركين والصابية المبتدعة وقد ذكرنا في غير هذا الجواب مذهب سلف الامة وايمتها
بالفاظها والفاظ من نقل ذلك من جميع الطوايف بحيث لا يبقى لاحد من الطوايف اختصا
ص بالاثبات ومن ذلك ما ذكره شيخ الحرمين ابو الحسن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سماه
الفصول في الاصول عن الايمة الفحول الزاما لذوي البدع والفضول وكان من ايمة الشافعية
ذكر فيه من كلام الشافعي ومالك والثوري واحمد بن حنبل والبخاري صاحب الصحيح وسفيا
ن بن عيينة وعبد الله بن المبارك والاوزاعي والليث بن سعد واسحق بن راهويه في اصول
السنة ما يعرف به اعتقادهم وذكر في تراجمهم ما فيه تنبيه على مراتبهم ومكانتهم في الاسلام وذكر
انه اقتصر في النقل عنهم دون غيرهم لانهم هم المقتدى بهم والرجوع شرقا وغربا الى مذاهبهم ولا
نهم اجمع لشرايط القدوة والامامة من غيرهم واكثر لتحصيل اسبابها وادواتها من جودة
الحفظ والبصيرة والفطنة والمعرفة بالكتاب والسنة والاجماع والسند والرجال والاحوا
ل ولغات العرب ومواضعها والتاريخ والناسخ والمنسوخ والمنقول والمعقول والصحيح
والمدخول في الصدق والصلابة وظهور الامانة والديانة ممن سواهم قال وان قصر واحد منهم في
سبب منها جبر تقصيره قرب عصره من الصحابة والتابعين لهم باحسان باينوا هولا
بهذا المعنى من سواهم فان غيرهم من الايمة وان كانوا في منصب الامامة لكن اخلوا ببعض
ما اشرت اليه مجملا من شرايطها اذ ليس هذا موضعا لبيانها قال ووجه ثالث لا بد من ان نبين
فيه فنقول ان في النقل عن هولا الزاما للحجة على كل من ينتحل مذهب امام يخالفه في العقيدة

فان احدهما لا محالة يضلل صاحبه او يبدعه او يكفره فانتحال مذهبه مع مخالفته في العقيدة
مستنكر والله شرعا وطبعا فمن قال انا شافعي الشرع اشعري الاعتقاد قلنا له هذا من الاضداد لا
بل من الارتداد اذ لم يكن الشافعي اشعري الاعتقاد قال وقد افتتن ايضا خلق من المالكية بمذا
هب الاشعرية وهذه والله شنة وعار وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار على منتحل
مذاهب هولا الايمة الكبار فان مذهبهم ما رويناه من تكفيرهم الجهمية والمعتزلة والقدرية
والواقفية وتكفيرهم اللفظية وبسط الكلام في مسالة اللفظ الى ان قال فاما غير من ذكرناه
من الايمة فلم ينتحل احد مذهبهم فلذلك لم نتعرض للنقل عنهم قال فان قيل فهلا اقتصرتم اذا على
النقل ممن شاع مذهبه وانتحل اختياره من اصحاب الحديث وهم الايمة الشافعي ومالك والثو
ري واحمد اذ لا نرى احدا ينتحل مذهب الاوزاعي والليث وسايرهم قلنا لان من ذكرناه
من الايمة سوى هولا ارباب المذاهب في الجملة اذ كانوا قدوة في عصرهم ثم اندرجت مذاهبهم
بالاخرة تحت مذاهب الايمة المعتبرة وذلك ان ابن عيينة كان قدوة ولكن لم يصنف في الذي
كان يختاره من الاحكام وانما صنف اصحابه وهم الشافعي واحمد واسحق فاندرج مذهبه
تحت مذاهبهما واما الليث ابن سعد فلم يقم اصحابه بمذهبه قال الشافعي لم يرزق الاصحاب الا
ان قوله يوافق قول مالك او قول الثوري لا يخطيهما فاندرج مذهبه تحت مذهبهما واما
الاوزاعي فلا نرى له في اعم المسايل قولا الا ويوافق قول مالك او قول الثوري او قول الشافعي فا
ندرج اختياره ايضا تحت اختيار هولا وكذلك اختيار اسحق يندرج تحت مذهب احمد لتوا
فقهما قال فان قيل فمن اين وقعت على هذا التفصيل والبيان في اندراج مذاهب هولا تحت
مذاهب الايمة قلت من التعليقة للشيخ ابي حامد الاسفرايني التي هي ديوان الشرايع وام
البدايع في بيان الاحكام ومذاهب العلما الاعلام واصول الحجج العظام في المختلف والمو
تلف قال واما اختيار ابي زرعة وابي حاتم في الصلاة والاحكام مما قراته وسمعته من مجموعهما
فهو موافق لقول احمد ومندرج تحته وذلك مشهور واما البخاري فلم ار له اختيارا ولكن
سمعت محمد بن طاهر الحافظ يقول استنبط البخاري في الاختيارات مسايل موافقة لمذهب
احمد واسحق فلهذه المعاني نقلنا عن الجماعة الذين سميناهم دون غيرهم اذ هم ارباب المذا
هب في الجملة ولهم اهلية الاقتدا بهم لحيازتهم شرايط الامامة وليس من سواهم في درجتهم وان
كانوا ايمة كبرا قد ساروا بسيرهم ثم ذكر بعد ذلك الفصل الثاني عشر في ذكر خلاصة نحوي

ومن قال انا حنبلي في الفروع
معتزلي في الاصول قلنا
قد ضللت اذا عن سوا
السبيل فيما تزعمه اذ لم
يكن احمد معتزلي الدين
والاجتهاد صح

مناصيص

مناصيص الايمة بعد ان افرد لكل منهم فصلا قال لما تتبعت اصول ما صح لي روايته فعثرت فيها
بما قد ذكرت من عقايد الايمة فرتبتها عند ذلك على ترتيب الفصول التي اثبتها وافتتحت
كل فصل بنيف من المحامد يكون لامامتهم احدى الشواهد داعية الى اتباعهم ووجوب وفاقهم
وتحريم خلافهم وشقاقهم فان اتباع من ذكرناه من الايمة في الاصول في زماننا بمنزلة اتباع الا
جماع الذي يبلغنا عن الصحابة والتابعين اذ لا يسع مسلما خلافه ولا يعذر فيه فان الحق لا
يخرج عنهم لانهم الادلا وارباب مذاهب هذه الامة والصدور السادة والعلما القادة اولوا
الدين والديانة والصدق والامانة والعلم الوافر والاجتهاد الظاهر ولهذا المعنى اقتدوا بهم في
الفروع فجعلوهم فيها وسايل بينهم وبين الله تعالى حتى صاروا ارباب المذاهب في المشارق
والمغارب فليرضوا كذلك بهم في الاصول فيما بينهم وبين ربهم وبما نصوا عليه ودعوا اليه
قال فانا نعلم قطعا انهم لو عرف قطعا بما يصح من معتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ما
بعده لجودة معارفهم وحيازتهم شرايط الامامة ولقرب عصرهم من الرسول صلى الله عليه وسلم
واصحابه كما بيناه في اول الكتاب قال ثم اردت ووافق مرادي سوال بعض الاخوان ان اذكر
خلاصة مناصيصهم مضمنة بعض الفاظهم فانها اقرب الى الحفظ وهي اللباب لما ينطوي
عليه الكتاب فاستعنت بمن عليه التكلان وقلت ان الذي اثرناه من مناصيصهم يجمعه فصلا
ن احدهما في بيان السنة وفضلها والثاني في هجران البدعة واهلها اما الفصل الاول فاعلم
ان السنة طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسنن بسلوكها واصابتها وهي اقسام
ثلاثة اقوال واعمال وعقايد فالاقوال نحو الاذكار والتسبيحات الماثورة والافعال مثل
سنن الصلاة والصيام والصدقات المذكورة ونحو السير المرضية والاداب المحكية فهذا
ن القسمان في عداد التاكيد والاستحباب واكتساب الاجر والثواب والقسم الثالث سنة
العقايد وهي من الايمان احدى القواعد قال وها انا اذكر بعون الله خلاصة ما نقلته عنهم
مفرقا واضيف اليه ما دون في كتب الاصول مما لم يبلغني عنهم مطلقا وارتبها مرشحة وببعض
مناصيصهم موشحة باوجز لفظ على قدر وسعي ليسهل حفظه على من يريد ان يعي فاقول ليعلم
المستنين ان سنة العقايد على ثلاثة اضرب ضرب يتعلق باسما الله وذاته وصفاته وضرب
يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ومعجزاته وضرب يتعلق باهل الاسلام في اولاهم
واخراهم اما الضرب الاول فلنعتقد ان لله اسما وصفات قديمة غير مخلوقة جا بها كتابه

واخبر بها الرسول اصحابه فيما رواه الثقات وصححه النقاد الاثبات ودل القران المبين والحديث
الصحيح المتين على ثبوتها قال رحمه الله تعالى وهي ان الله تعالى اول لم يزل واخر لا يزال احد
قديم وصمد كريم عليم حليم علي عظيم رفيع مجيد وله بطش شديد وهو يبدي ويعيد فعال
لما يريد قوي قدير منيع نصير ليس كمثله شي وهو السميع البصير الى ساير اسمايه وصفاته
من النفس والوجه والعين والقدم واليدين والعلم والنظر والسمع والبصر والارادة و
المشية والرضى والغضب والمحبة والضحك والعجب والاستحيا والغيرة والكراهة والسخط
والقبض والبسط والقرب والدنو والفوقية والعلو والكلام والسلام والقول والندا والتجلي
واللقا والنزول والصعود والاستوا وانه تعالى في السما وانه على عرشه باين من خلقه قال
مالك ان الله في السما وعلمه في كل مكان قال عبد الله بن المبارك يعرف ربنا فوق سبع سماواته على العرش
باينا من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية انه ههنا واشار الى الارض وقال سفيان الثوري وهو معكم
اينما كنتم قال علمه قال الشافعي انه على عرشه في سمايه يقرب من خلقه كيف شا وانه يعلو على كرسيه
والايمان بالعرش والكرسي وما ورد فيهما من الايات والاخبار وان الكلم الطيب يصعد اليه وتعرج
الملايكة والروح اليه وانه خلق ادم بيديه وخلق القلم وجنة عدن وشجرة طوبى بيديه وكتب
التوراة بيديه وان كلتا يديه يمين وقال ابن عمر خلق الله بيديه اربعة اشيا ادم والعرش والقلم
وجنة عدن وقال لساير الخلق كن فكان وانه يتكلم بالوحي كيف يشا قالت عايشة رضي الله عنها
لشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بوحي يتلى وان القران كلام الله بجميع جهاته منزل
غير مخلوق ولا حرف منه مخلوق منه بدا واليه يعود قال عبد الله بن المبارك من كفر بحرف من
القران فقد كفر ومن قال لا او من بهذه اللام فقد كفر وان الكتب المنزلة على الرسل مايه واربعة
كتب كلام الله غير مخلوق قال احمد وما في اللوح المحفوظ وما في المصاحف وتلاوة الناس و
كيف ما يقرا وكيف ما يوصف فهو كلام الله غير مخلوق قال البخاري واقول في المصحف قران
وفي صدور الرجال قران فمن قال غير هذا يستتاب فان تاب والا فسبيله سبيل الكفر قال
وذكر الشافعي المعتقد بالدلايل فقال لله تعالى اسما وصفات جا بها كتابه واخبر بها نبيه امته
لا يسع احدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها الى ان قال نحو اخبار الله سبحانه ايانا انه سميع
بصير وان له يدين بقوله بل يداه مبسوطتان وان له يمينا بقوله والسماوات مطويات
بيمينه وان له وجها بقوله كل شي هالك الا وجهه وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان
له

قال احمد انه مستو على العرش عالم بكل مكان وانه ينزل كل ليلة الى السما الدنيا كيف شا وانه ياتي يوم القيمة كيف شا صح

له قدما لقوله حتى يضع الرب فيها قدمه يعني جهنم وانه يضحك من عبده المومن لقوله للذي قتل
في سبيل الله انه لقي الله وهو يضحك اليه وانه يهبط كل ليلة الى سما الدنيا لخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك وانه ليس باعور لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الدجال فقال انه
اعور وان ربكم ليس باعور وان المومنين يرون ربهم يوم القيمة بابصارهم كما يرون القمر ليلة
البدر وان له اصبعا لقوله صلى الله عليه وسلم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع
الرحمن قال وسوى ما نقله الشافعي احاديث جات في الصحاح والمسانيد وتلقتها الامة با
لقبول والتصديق نحو ما في الصحيح من حديث الذات وقوله لا شخص اغير من الله وقوله
اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير من سعد والله اغير مني وقوله ليس احد احب اليه
المدح من الله ولذلك مدح نفسه وليس احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن وقوله يد الله ملاى وقوله بيده الاخرى الميزان يخفض ويرفع وقوله ان الله يقبض يوم
القيمة الارضين وتكون السموات بيمينه ثم يقول انا الملك ونحو قوله ثلاث حثيات من حثيا
ت الرب وقوله لما خلق ادم مسح ظهره بيمينه وقوله في حديث ابي رزين قلت يا رسول الله فما يفعل
ربنا بنا اذا لقيناه قال تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا يخفى عليه منكم خافية فياخذ ربك بيده
غرفة من الما فينضح قبلكم فلعمر الهك ما يخطي وجه احدكم منها قطرة اخرجه احمد في المسند وحديث
القبضة التي يخرج بها من النار قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر من انهار
الجنة يقال له الحيوة ونحو الحديث رايت ربي في احسن صورة ونحو قوله خلق ادم على صورته
وقوله يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه وقوله كلم اباك كفاحا وقوله ما منكم من احد الا سيكلمه
ربه ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له وقوله يتجلى لنا ربنا يوم القيمة ضاحكا وفي حديث المعراج
في الصحيح ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وقوله كتب كتابا
فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وقوله لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من
مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية رجله فيزوي بعضها الى بعض وتقول قد قد وفي
رواية قط قط بعزتك ونحو قوله فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت
ربنا وقوله يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان
الى غيرها من الاحاديث هالتنا او لم تهلنا بلغتنا او لم تبلغنا اعتقادنا فيها وفي الاي الواردة
في الصفات انا نقبلها ولا نحرفها ولا نكيفها ولا نعطلها ولا نتاولها وعلى العقول لا
نحملها وبصفات الخلق لا نشبهها ولا نعمل راينا وفكرنا فيها ولا نزيد عليها ولا ننقص منها

بل نؤمن بها ونكل علمها الى عالمها كما فعل ذلك السلف الصالح وهو القدوة لنا في كل علم وبنا على اسحق
انه قال لانه بل صفة تما وصف الله به نفسه او وصف الرسول عن جهة لا بكلام ولا بارادة
انما يلزم المسلم الاقرار بوجوده بقلبه اما ما وصف الله به نفسه في القرآن انها هي صفاته ولا يعقل بني
مرسل ولا ملك مقرب تلك الصفات الا بالسمع لا سبيل التي عرفهم الله عز وجل فاما ان يدرك احد معانيها
ادم معنى تلك الصفات فلا يدركه احد الحديث الى اخره وكذا روينا عن مالك والاوزاعي وسفيان
والليث واحمد بن حنبل انهم قالوا في الاحاديث في الرؤية والنزول امروها كما جاءت وكذا روينا
عن محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة انه قال في الاحاديث التي جاءت ان الله يهبط الى السما الدنيا
ونحو هذا من الاحاديث ان هذه الاحاديث قد رواها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها
ولا نفسرها انتهى كلام الكرجي رحمه الله تعالى والعجب ان هؤلا المتكلمين اذا احتج عليهم بهذه الايا
ت والاحاديث من الصفات قال ثالث المنابلة اي سه كذا وكذا بما فيه تشنيع وتمويه باطل
والحنابلة اثنتوا اثنا السلف وسار البيهم ووقفوا بوقوفهم بخلاف غيرهم والله الموفق

النوع الثاني ان هذا الكلام ليس فيه من الحجة والدليل ما يستحق ان يخاطب باهل العلم
فان الرد يحجد الشيء والتهويل لا يحتج عنه احد والانسان لو انه يناظر المشركين واهل الكتاب
لكان عليه ان يذكر لهم الحجة ما يبين به الحق الذي معه والباطل الذي معهم فقد قال الله عز وجل
لنبيه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال تعالى ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فلو كان خصم من يتكلم بهذا الكلام سوا كان المتكلم به
ابا الفرج او غيره من اشهر الطوائف بالبدع كالرافضة لكان ينبغي ان يذكر الحجة ويعدل عما لا
فايدة فيه اذ كان في مقام الرد عليهم دع والمنازعون له كما ادعاه هم عند جميع الناس اعلم منه
بالاصول والفروع وهو في كلامه ورده لم يات بحجة اصلا لا صحيحة سمعية ولا عقلية وانما اعتمد
تقليد طائفة من اهل الكلام قد خالفها اكثر منها من اهل الكلام فقلدهم فيما يحكوا انه حجة
عقلية كما فعل هذا المعترض ومن يعتمد على الناس بالعقول ان لم يبين حجة عقلية والا كان قد احال
الناس على المجهولات لم تعصوم الرافضة وغوث بعضها الصوفية فاما قوله انا مثل هؤلا
يحدثوا فيقال له قد بعث الله الرسل الى جميع الخلق ليدعوهم الى الله فمن الذي استقط الله عنا
طبيعة من الناس دع من تعرف انت وغيرك من فضلهم ما ليس هذا موضعه ولو اراد سقليه ان
يرد علم الراد بمثل رده لم يجز عن ذلك وكذلك قوله انه يكا يدري العقول تنقول المحابة للعقول
اما ان يكون في اثبات ما اثبتوه واما ان يكون نافيا فلهم بجميع من اثبات هذه الامور ونفي الخلاف

اما

اما الاول فباطل فان المجسمة الحشوية التي تقدح بالتجسيم المحض وتغلو فيه لم يقل احد قط ان
قولها مكابرة للعقول ولا قال احد انه لا يمكن طبوطا بل الذين ردوا على غالية المجسمة مثل هشام
بن الحكم وشيعته لم يردوا عليهم من الحجج العقلية الا بحجج تحتاج الى نظر ودقة استدلال والمنازع لهم ان
كان مبطلا فانه كثيرا ما يقوله فقد فاتكم بنظير حججكم ولم يكونوا عليهم باظهر منه عليهم اذ معكل
طائفة حق وباطل واذا كان مثل هذا الخلاف يعتمد فيه نفي هذه الامور على ما يذكره نفاة
النظار فما وليك لا يكادون يذكرون شيا من النفي والاثبات انه مكابرة للعقول حتى جا
حذاق الصانع الذين هم اجهل الخلق واضلهم واكذبهم واعظمهم جدلا فانا للعقول لا يدعي اكثر هؤلا
الذين انتصبوا بهم ابو الفرج انا قولهم مكابرة للعقول بل يدعون ان العلم بفساد قولهم انما
يعلم بالنظر والاستدلال وهذا القول وان كان يقوله جل هؤلا النفاة فمن اهل الكلام قليلا
هو طريقة موضحة لكن المقصود ان هؤلا النفاة لا يدعون ان العلم بفساد قول المثبتة معلوم
بالضرورة ولا ان قولهم مكابرة للعقل وان شنعوا عليهم باشيا ينفرون عنها كثير من الناس قد اكر
ليستعينوا بنفرة الناس فيرد عليهم ووجدوا بعضهم يحتاج ان نفوسا الناس فيها عندهم يدل على حق
او باطل ولا ان قولهم مكابرة للعقل او معلوم بضرورة العقل وببديهته فساد هذا العلم
احد من ائمة النفاة اهل النظر بدعيه في شيء من اقوال المثبتة وان كان فيها من الغلو ما فيها
ومن المعلوم ان مجرد نفور النفوس او محبة الموافقين لا يدل على صحة قول ولا فساده الا اذا
كان ذلك بعد من الله بل الاستدلال لبد لكل هو استدلال باتباع الهوى بغير هدى من الله فان
اتباع الانسان لما يهواه هو اخذ القول والفعل الذي يحبه وترك القول والفعل الذي يبغضه
بلا هدى من الله قال تعالى وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم وقال فان لم يستجيبوا لك
فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعالى لداود ولا
تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال تعالى فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهوا الذين
كذبوا باياتنا والذين لا يومنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون وقال تعالى لاهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال
تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولين اتبعت
اهواهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير فمن اتبع اهوا الناس بعد العلم
الذي بعث الله به رسوله وبعد هدى الله الذي بينه لعباده فهو بهذه المثابة ولهذا كان
السلف يسمون اهل البدع والفرق المخالفين للكتاب والسنة اهل الاهوا حيث قبلوا

ما احبوه ورجوا ما ابغضوه باهوائهم بغير هدى من الله واما قول المعتزلة ضاعت ايمانكم يخاطبون الاطفال فلم يخاطب الله الا بما ورد عن الله ورسوله واصحابه والتابعين لهم باحسان الذين هم اعرف باسم والحكام وسلطان امر الشريعة وهم قد وضعوا فيما اخبروا عن الله ورسوله شرعه وقد انصف من احال عليهم وقد شاقق من خرج عن طريقهم وادعى انا غيرهم اعلم بالله منهم او انهم علموا وكتموا او انهم لم يفهموا اما اخبروا به وان عقل غيرهم في باب معرفة الله اتم واكمل واسلم مما نقلوه وعقلوه وقد قدمنا ما فيه كفاية في هذا الباب والله الموفق ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

فصل واما المنطق فمن قال انه فرض كفاية وانه من لم يتعلمه فليس له ان يتكلم في شيء من علومه فهذا القول في غاية الفساد من وجوه كثيرة التعداد مشتمل على امور فاسدة ودعاوى باطلة كثيرة لا يتسع هذا الموضع لاستقصائها بل الواقع قديما وحديثا انكار لا يحد من يلزم نفسه ان ينظر في علومه به وبناظر به الا وهو فاسد النظر والمناظرة كثير العجز عن تحقيق علم وبيانه فاحسن ما يحمل عليه كلام المتكلم على هذا ان يكون قد كان هو وامثاله في غاية الجهالة والضلالة وقد فقدوا اسباب الهدى كلها فلم يجدوا ما يرد هم عن تلك الجهالات الا بعض ما في المنطق من الامور التي هي صحيحة فانه بسبب بعض ذلك رجع نفع منها هو لاء بعض بالطلع والم يحصل لهم حتى ينفعهم وان وقعوا في باطل اخر ومع هذا فلا يصح نسبته وجوبه الى شريعة الاسلام بوجه من الوجوه اذ ما هذه حاله التي من نفسه بترك ما امر الله به مما الحق حتى احتاج الى الباطل ومن المعلوم ان القول بوجوبه قوله غلاة وجهال اصحابه ونفعهم لهذا قل منهم لا يلتزمون قوانينه في كل علومهم بل يرجعون عنها اما للطويها واما لعدم فايدتها واما لفسادها واما لعدم تميزها مما فيها من الاجمال والاشتباه فانه قيد مواضع كثيرة هي لحم جمل غث على راس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل ولهذا ما زال على المعلمين واتباع الدين يذمونه ويذمون اهله وينهون عنه وعن اهله حتى رايت لبعض اخرين قشانيها خطوط جماعة من اعيان زمانهم من ائمة الشافعية والحنفية وغيرهم فيها كلام عظيم في تحريمه وعقوبة اهله حتى ان من الحكايات المشهورة التي بلغتنا ان الشيخ ابا عمرو ابن الصلاح امر بانتزاع مدرسة معروفة من ابي الحسن الامدي وقال اخذها من هو افضل منك وهو ابن الامدي لم يكن احد في وقته اكثر تبحرا في العلوم الكلامية والفلسفية منه وكان من اعظم الناس ما وامثاله اعتقادا ومن المعلوم ان الامور الدقيقة سواء كانت حقا او باطلا ايمانا او كفرا لا تعلم الا بذكاء وفطنة فكذلك اهله قد يستجهلون ما هم اشد تركيبا في علم وان كان ايمانه احسن من

ايمانهم

ايمانهم اذا كان فيه قصور فان الذكاء والبيان وهو كما قال الله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فاذا انقلب واعلى طوائفته ان كلا لم يحصل بهذه الطريق القياسية فليس بعلم وقد لا يحصل لكثير منهم من هذه الطريق القياسية فليس بعلم وقد لا يحصل لكثير منهم من هذه الطريق القياسية ما يستفيد به الواجب فيكون كافرا زنديقا منافقا جاهلا ضالا مضلا ظلوما كفورا ويكون من اكابر اعداء الرسل من الذين قال الله فيهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا وربما حصل بعضهم ايمانا اما من هذه الطريق او من غيرها ويحصل له ايضا منها نفاقا فيكون فيه ايمان ونفاق ويكون في حال مؤمنا وفي حال منافقا ويكون مرتدا اما عن اصل الدين او بعض شرائعه احدثه نفاقا وامارة كفر وهذا كثير غالب لاسيما في الامصار والاعصار التي تغلب فيها الجاهلية والكفر والنفاق فلعل الا من عجائب الجهل والظلم والكذب والكفر والنفاق والضلال ما لا يتسع كمه العقل ولهذا ما تنطق كثير منهم بما في هذا النوع من الجهل والضلال صاروا يقولون النقوس القدسية كنفوس الانبياء والاولياء تفيض عليها المعارف بدون الطريق القياسية وهم منفقون جميعهم على ان من النفوس من تستغني عن وزن علومها بالميزان الصناعي كما ينطق العربي بالعربية بدون النحو وكما يعرف الشاعر بالشعر بدون معرفة العروض لكن استغنا بعضهم الناس عن هذه الموازين لا يوجب استغنا الاخرين فاستغنا كثير من النقوس عن هذه الصناعة لا ينازع فيه احد منهم والكلام هنا هل تستغني في علومها بالكلية عن نفس القياس المذكور ومواده المعينة فالاستغنا عن جنس هذا القياس شيء وعن الصناعة القانونية التي يوزن بها القياس شيء اخر فانه يزعم ونا انه آلة قانونية تمنع مراعاتها الذهن ان يزل في فكره وضعف هذا مبسوط مذكور في موضع غير هذا وحتى بعد ان تبين لك هذا بدته واما كان قد يتفق من العلم ما يحصل بدونه ثم تبين انا انه لو قدر انه قد يفيد بعض الناس من العلم ما يفيده هو فلا يجوز ان يقال ليس الى ذلك العلم لذلك الشخص وسائر بني ادم طريق الا بمثل القياس المنطقي فان هذا قول بلا علم وهو كذب محقق ولهذا ما زال المتكلمون

(هامش) كذا في الاصل ولعله ضاعت ايمانكم والناس يخاطبون الاطفال فلم يخاطب الله الا بما ورد عن الله ورسوله واصحابه والتابعين لهم باحسان الذين هم اعرف باسم والحكام وسلطان امر الشريعة وهم قد وضعوا فيما اخبروا عن الله ورسوله شرعه وقد انصف من احال عليهم وقد شاقق من خرج عن طريقهم وادعى انا غيرهم اعلم بالله منهم او انهم علموا وكتموا او انهم لم يفهموا اما اخبروا به وان عقل غيرهم في باب معرفة الله اتم واكمل واسلم مما نقلوه وعقلوه وقد قدمنا ما فيه كفاية في هذا الباب والله الموفق ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

المسلمين وان كان فيهم نوع من البدعة لهم من الرد عليه وعلى اهله وبيان الاستغناء عنه وحصول الضرر
والجهل به والكذب ما ليس هذا موضعه ذكر بعض مناظرهم المسلمين وعلمائهم واعتنى كما ذكره القاضي
ابو بكر ابن الباقلاني في كتاب الدقائق فاما الشعر وهو ما يفيد مجرد التخييل وتحريك النفس
وذلك مظنة بانه جعلوا الاقيسة خمسة البرهاني والخطابي والجدلي والشعري والمغلطي والمغلط
السوفسطائي وهو ما يشبه الحق وهو باطل وهو الحكم الموهمة فلا غرض لنا فيه هنا ولكن
تلك الثلاثة فالبرهاني ما سلم الخاطب مقدماته والخطابي ما كانت مقدماته مشهورة دينيا كما
سوا والبرهاني ما كانت مقدماته معلومة وكثيرا ما للمقدمات تكون مع كونها خطابية
او جدلية يقينية برهانية بل وكذلك مع كونها شعرية ولكن هي مواجهة التيقن بها شيء بر
هانيه ومواجهة شهرتها عند عموم الناس وقبولهم لها شيء خطابية ومواجهة تسليم الشخص
المعين لها شيء جدليه هذا كلام ارسطو لبيد المبتدعة في الصابية الذين هم يذكروا النبوات والتعرضوا
لها بنفي ولا اثبات وعدم التصديق للرسل واتباعهم كفر وضلال وان لم نعتقد تكذيبهم فالكفر
الضلال اعم من التكذيب واما قول بعض المتاخرين انها في المشهورات هي المقبولات تكون
صاحبها موبخا بامر يوجب قبول قوله ونحو ذلك منهذه من الزيادات التي الزمته اياها اللجنة
ورا واوجوب قبولها على طريقة الاولين ولهذا غالب صابية المتاخرين الذين هم الفلاسفة
ممتزجين بالحنيفية كما ان غالب من دخل في الفلسفة من المتفامزج الحنيفية بالصبو وبعض الحق
بالباطل اعني بالصبو المبتدع الذي ليس فيه ايمان بالنبوات كصبو صاحب المنطق واتباعه واما
الصبو القديم فذاكر اصحابه منهم المومنون بالله واليوم الاخر الذين امنوا وعملوا الصالحات فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون كما ان النصارى والنصر منه ما اهله مبتدعون ضلال قبل ارسال محمد صلى الله
عليه وسلم ومنه ما كان اهله متبعين للحق وهم الذين امنوا بالله واليوم الاخر وعملوا الصالحات فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون وما قال من العلما المصنفين في المنطق ان القياس الخطابي هو الذي يفيد
الظن كما ان البرهاني ما يفيد العلم فلم يعرف مقصود القوم ولا قال حقا فان كلا واحد من الخطابي
والجدلي قد يفيد الظن كما ان البرهاني تكون مقدماته مشهورة ومسلمة فالتقسيم لمواد القياس
وقع باعتبار الجهات التي يقبل منها فتارة يقبل القول لانه معلوم اذ العلم يوجب القبول ولما كونه
لا يفيد العلم فلا يوجب قبوله الا لسبب فان كان الشهرة فهو خطابي ولو لم يفد علما ولا ظنا وهو
ايضا خطابي اذا كانت قضية مشهورة وان افاد علما او ظنا والقول في الجدلي كذلك ثم انهم قد يمثلون
المشهورات التي ليست علمية بقولنا العلم حسن والجهل قبيح والعدل حسن والظلم قبيح ونحو ذلك

من

قف على معنى السفسطة

الذين ليسوا الحنيفية بالصابية هم

من الاحكام العقلية التي يثبتها ما يقول بالتحسين والتقبيح ويزعمون انا اذا رجعنا
الى محض العقل لم نجد فيه حكما بذلك وقد عللوها بان الوجود لابد ان يكون ما بانا للوجود
الاخر او مجانبا له وان الموجود لابد ان يكون بجهة من الجهات او يكون جائز الرويه و
يزعمون ان هذا من احكام الوهم لا الفطرة العقلية قالوا لان العقل يسلم مقدمات يعلم بها قضا
يا الحكم الاول وهذا كله تخليط ظاهر لمن تدبره فاما تلك القضايا التي سموها مشهورات فمنها ما هو معلوم
ومنها ما ليس بمعلوم فالمعلوم العقلية البديهية التي حكم العقول بها اعظم مما جربها بالتجربة مما يعلم العلوم الحسا
سية والطبيعية وهي كما قال اكثر المتكلمين من اهل الاسلام بل اكثر متكلمي اهل الارض من جميع الطو
ائف انها قضايا يابد يقينية عقلية لكن قد لا يحسن تفسير ذلك فاحسن ذلك وقبحه هو حسن الاف
عال وقبحها وحسن الفعل هو كونه مقتضيا لما يطلبه الحي لذاته ويريده لما تضمنه المقاصد و
قبحه بالعكس والامر كذلك فان العلم والصدق والعدل هي كذلك يحصل لما يطلب لذاته ويراد لنفسه من
المقاصد فحسن الفعل وقبحه هو كونه محصلا للمقصود المراد بذاته او مما فيا لذلك ولهذا كان
الحق يطلق تارة بمعنى النفي والاثبات فيقال هذا حق اي ثابت وهذا باطل اي منتف وفي الا
فعال بمعنى التحصيل للمقصود فيقال هذا الفعل حق اي نافع او محصل للمقصود ويقال باطلا لا
فايدة فيه ونحو ذلك واما زعمهم ان البديهة والفطرة قد تعلم ما يتبين لها بالقياس ما شاهده فهذا
غلط غلط لان القياس لا بد له من مقدمات بديهية فطرية فان جوزنا ان تكون المقدمات الفطرية
البديهية غلط مما يتبين غلطها بالقياس لكان قد تعارضت المقدمات الفطرية بنفسها
ومقتضى القياس الذي مقدماته فطرية فليس هذه المقدمات الفطرية لاجل تلك باولى من
العكس بل الغلط فيما تقل مقدماته اولى فما يعلم بالقياس وبعد مقدماته فطرية اقرب الى الغلط
مما يعلم بمجرد الفطرة وهذا بين كما ان من علم بالعيان ونحو ذلك من ابا طيله والمعقول هنا
انهم لم يذكروا متفق موجب المقدمات المتلقات من الانبياء وكل المتاخرون يتواطئون ذلك اما باطنة
الصابية كابن سينا ونحوه واما باطنة المتكلمين الذين اصغوا الى بعض ذكروا المتفلسفة
وغيرهم اثبات العلم بوجوب النبوات به اما الاول فانه جعل علوم الانبياء من العلوم الحدسية
القوية صفاتا للنفوس القدسية وطهارتها واما قول النفوس الحدس لا تتفق عند حد ولا
بد للعالم من نظام يضبطه حكم فيضبط النفوس الموية من القوة ما تعلم به ما لا يعلم غيرها
بطريق الحدس ويمثل لها ما تسمعه وتدرك به تفصيلا من الكلام والملايكة ما لا يسمعه غيرها او
يكون لها من القوة العلمية التي يطيعها ما هو يلي العالم ما ليس لغيرها فهذه الخوارق يدعى

الذين ليسوا الحنيفية بالصابية هم

غلط ٢

العلم بالسمع والبصر وقوة العمل والقدرة هي النبوة عندهم ومعلوم ان الحس راجع الى قياسهم
القليل كما تقدم واما ما يسمع ويرى في نفسه فهو مما جعلهم الدهريا وهذا القدر يحصل مثله كثير من
عوام الناس وكفار حتى فضلاء اصحابهم اولياء الله وانبياءه تكليف يجعل ذلك هو غاية النبوة
وان كان الذي يثبتونه للانبياء اكمل واشرف فهو كملك اقوى من ملك وهذا حار ما يقولون النبوة
مكتسبة ولم يثبتوا نزول ملائكة سماء الله الى من يختاره ويصطفيه من عباده ولا قصده للتكلم
شخص معين من رسله كما يذكر عن بعضهم انه قال لموسى بن عمران انا احمد محمد في كل شيء الا
في ان علة العلل كلمك ما احمد ان احمد محمد في هذا او لهذا صار من ضل بمثل هذا الكلام يدعي مساواة
الانبياء والمرسلين او التقدم عليهم وهذا كثير من يكون من الناس الذين يعتقدون في انفسهم
انهم الكمل النوع وهم من اجهل الناس واظلمهم واكفرهم واعظمهم نفاقا واما المتكلمون المنتسبون
فيقولون بمثل هذا القياس ثبوت الصانع وقدرته وجواز ارسال الرسل وتاييده لهم بما
يوجب تصديقهم فيما يقولونه وهذه الطريقة اقرب الطرق الى طريقة العلماء المؤمنين واذا كان قد
يكون فيها انواع من الباطل ناشئة من جهة ما تقلدوه من المنطقيين وتارة من جهة ما ايدوه
به من الممانع الخسيس الذي انتم توزنكم اياه بظلموا عاملوا لم تزنوا بالقسطاس المستقيم
ولم تستدلوا بالايات البينات هو العلوم الحقيقية والحكمة اليقينية التي فاز بالسعادة عالمها
وخاب بالشقاوة جاهلها وراس مال السادة غاية العالم المنصف انه ان يعرف ما يعجز
عنه ان عرف واما عوام علمائكم فيكذبون به ويردونه وان كان منطقيا يرد عليهم فلسفيا بتحريف امور
محكمة منطقيا بحسب حال من اليهود والنصارى في تحريف كتاب الله الذي هو في الاصل حق
هاد لا ريب فيه فهذا هذا واصول ولا قوة الا بالله وايضا هم منقوض عليه انه لا يفيد الا
امورا كلية مقدرة في الذهن لا يفيد العلم بشيء موجود محقق في الخارج الا بتوسط شيء آخر
غيره والامور الكلية الذهنية ليست في الحقائق الخارجية ولا هي ايضا علم بالحقائق الخارجية
اذ الكلي موجود حقيقته بمعنى انها هي هو بها هو وذلك ليست كلية فالعلم الامر المعين
لا يكون علما بها فلا يكون في القياس المنطقي علم حقيقي بشيء من الاشياء وهو المطلوب وايضا هم
يطعنون في قياس التمثيل وقد يقولون انه لا يفيد الا الظن وربما تكلموا على بعض الاقيسة
الفرعية او الاصلية التي تكون مقدماتها ضعيفة او مقلوبة مثل كلام الشهرستاني المنقول
على الزنادقة صاحب الملل والنحل والالواح وحكمة الاشراق وكما في فلسفته مستمدة من الروم
الصابئين والفرس المجوس وهاتان الملتان هما مادتا الفرامطة الباطنية وما يدخل فيهم

من الاولين والاخرين على انهما كذبتم بها كنتم مع الكفر والتكذيب بالحق وخسارة الدنيا و
الاخرة تاركين للمنطقي كما ايضا وخارجين عما اوجبتموه على انفسكم انكم لا تقولون الا بموجب
القياس اذ ليس لكم بهذا النفي قياس ولا حجة تذكرونه ولهذا لم يذكروا عليه حجة وانما اندرج هذا النفي
في كلامكم بغير حجة وان قلتم بل هي حق اعترفتم بانه من الحق ما لا يوزن بميزان منطقي وان
قلتم لا ندري ما احق هي لم تعرفوا باطل اعترفتم بانه من اعظم المطالب واجلها لا يوزن بميزان المنطقي فان
صدقتم انه لا يوزن بالمنطقي وان كذبتم لم يجز ان يتنفع المنطقي وان ارتبتم لم ينتفع المنطقي ومن
المعلوم ان موازين الاموال لا يقصد بها يوزن بها الحطب والرصاص دون الذهب و
الفضة وامر النبوات وما جاءت به الرسل اعظم في العلوم مما الذهب في الاموال فاذا لم يكن في
منطقكم ميزانا لها كان الميزان مع انه ميزان ما لا يجاريه هو ايضا عاجز فهو ميزان جاهل ظالم
هو اما ان يزيد الحق ويدفعه فيكون ظالما واما ان لا يزنه ويبقى امره فيكون جاهلا او يجمع
فيه الامرين فيزيد الحق ويدفع وهو الحق الذي لا يسع النفوس سعة عوضا ولا سعة مذ وجه
وليست سعادتها الا فيه ولا هلاكها الا لتركه فكيف يستقيم مع هذا ان تقولوا انه وما وزن
به من المتاع الخسيس الذي انتم توزنكم اياه به ظالمون عاملون لم تزنوا بالقسطاس المستقيم
ولم تستدلوا بالايات البينات هو العلوم الحقيقية والحكمة اليقينية التي فاز بالسعادة عالمها
وخاب بالشقاوة جاهلها وراس مال السادة غاية العالم المنصف انه ان يعرف ما يعجز
ميزانكم عنه واما عوام علمائكم فيكذبون به ويردونه وان كان منطقيا يرد عليهم فلسفيا بتحريف امور
محكمة منطقيا بحسب حال من اليهود والنصارى في تحريف كتاب الله الذي هو في الاصل حق
هاد لا ريب فيه فهذا هذا واصول ولا قوة الا بالله وايضا هم منقوض عليه انه لا يفيد الا
امورا كلية مقدرة في الذهن لا يفيد العلم بشيء موجود محقق في الخارج الا بتوسط شيء آخر
غيره والامور الكلية الذهنية ليست في الحقائق الخارجية ولا هي ايضا علم بالحقائق الخارجية
اذ الكلي موجود حقيقته بمعنى انها هي هو بها هو وذلك ليست كلية فالعلم الامر المعين
لا يكون علما بها فلا يكون في القياس المنطقي علم حقيقي بشيء من الاشياء وهو المطلوب وايضا هم
يطعنون في قياس التمثيل وقد يقولون انه لا يفيد الا الظن وربما تكلموا على بعض الاقيسة
الفرعية او الاصلية التي تكون مقدماتها ضعيفة او مقلوبة مثل كلام الشهرستاني المنقول
على الزنادقة صاحب الملل والنحل والالواح وحكمة الاشراق وكما في فلسفته مستمدة من الروم
الصابئين والفرس المجوس وهاتان الملتان هما مادتا الفرامطة الباطنية وما يدخل فيهم

من

من الاسماء سليله والنفيسه وامثالهم ومع هذا دخل في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لناقة
ما خلت الا لهم قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه فانهم قالوا فمن
م قال فمن والمقصود ان ذكر كلام الشهرزوري هذا على قياس ضربه وهو ان يقال السماحة فضيلة ما
على البيت بجميع ما يشتمل كما فيه من التاليف فيحتاج ان يثبت ان علة حدوث البناء هو التاليف
وانه موجود في الفرع والتحقيق ان قياس التمثيل انما يفيد العلم واليقين ما قياس الشمول
كالسمع في تلك الامور الحسية ولا ريب ان البصر اعظم واكمل والسمع اوسع واشمل فقياس التمثيل
بمنزلة البصر كما قيل ما قياس سالم بن دبعار به وقياس الشمول بمنزلة السمع ما جاءه العموم ثم ان كلا
حد من القياسين قد يكون علميا او ظنيا يتبع مقدماته فقياس التمثيل في الحسيات وكلياتها علمي
هذا مثل هذا علمنا ان حكم كل واحد من العلم بقياس التمثيل وقياس الشمول يتبع العموم ثم ان كلا
الحكم قبل واحد من العلم بقياس التمثيل وقياس التعليل يعلم الحكم وقياس التعليل هو في الحقيقة
ما نوع في قياس الشمول لكنه امتاز عنه بالحد الاوسط الذي هو الدليل فيعم علة الحكم ويسمى قيا
سا العلة وبرهان العلة وذكر بعضهم قياس الدلالة وبرهان الدلالة وان لم يعلم التماثل والعلة بل
ظننا هما ظنا كان الحكم كذلك وهكذا الامر في قياس الشمول ان كانت المقدمتان معلومتين
كانت النتيجة معلومة والا فالنتيجة تتبع اضعف المقدمات فاما دعوى ان هذا الاقيد
العلم فهو غلط محض محسوس بل عامة علوم بني آدم العقلية المحضة من قياس التمثيل وأيضا
علومهم التي جعلوا هذه الصناعة ميزانا لها بالقصد الاول لا يكاد ينتفع بهذه الصناعة لا
المنطقية في هذه العلوم الا قليلا فاما العلوم الرياضية من حساب العدد وحساب المقدار
الذهني والخارجي قد علم ان الخائضين فيه من الاولين والآخرين مستقلون بما به يعلم الثقا
ت الى هذه الصناعة المنطقية ولا اصطلاح اهلها وكذلك ما يعد من العلوم الطبيعية الكلية
والطبية تجد الحاذقين فيها لم يحتاجوا عليها بشيء من صناعة المنطق بل امام صناعة الطب
هزاطالة فيها من الكلام الذي يلقاه اهل الطب بالقبول ووجد وامصداقه بالتجربة وله
فيها من القضايا الكلية التي هي عند عقلاء بني آدم من اعظم الامور ومع هذا فليس هو مستغنيا
بشيء من هذه الصناعة بل كما قد وضعها وهم وان كان العلم الطبي عندهم اعم واعلا من علم الطب
فلا ريب انه متصل به فان العلم بطبايع الاجسام المعينة المحسوسة يعلم طباع سايد الاجسام و
مبدا الحركة والسكون الذي في الجسم ويستدل بالجزء على الكل ولهذا كثيرا ما يتناظرون في امها
يل ويتنازع فيها هو لا وهو لا كتناظرهم في الفقهاء والمتكلمين في مسايل كثيرة تتفق فيها الله

الصناعتان

الصناعتان واوليكد يدعون خروج النظر وكلما الخطاء والغلط عند المتكلمين والمتفلسفة اكثر مما هو
عند الفقهاء والاطباء وكلامهم وعلمهم انفع واوليكد اكثر صلاة واقل نفعا لانهم طلبوا القياس بما لا يعلم
بالقياس وزاحموا الفطرة والنبوة مزاحمة اوجبت من تخالفه للفطرة والنبوة ما صار فيه
به من شياطين الانس والجن الذي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بخلاف الطب
المحض فانه علم نافع وكذلك الفقه المحض واما علم ما بعد الطبيعة وان كانوا يعظمونه ويقولون هو
الفلسفة الاولى وهو العلم الكلي الناظر في الوجود ولواحقه ويسمونه مترجمهم العلم الالهي وترجم
العلم الاول لما انه غاية فلسفتهم ونهاية حكمتهم فالحق فيه مما المعاملة قليل نزر وغالبه علم بآحكام
ذهنية لا حقايق خارجية وليس على اكثره قياس منطقي فان الوجود المجرد والوجوب والامكان
والعلة المجردة والمعلوم وانقسام ذلك الى جزئي الماهية وهو المادة والصورة والى علتي
وجود ها وهو الفاعل والغاية هو الكلام في انقسام الوجود الى الجوهر والاعراض التسعة التي هي
الكم والكيف والاضافة والاين ومتى والوضع والملك وان يفعل وان ينفعل كما انشد
بعضهم فيها زيد الطويل الاسود بالمكر في داره بالامس كان يتكي بيده سيف فانتضى
هذه عشر مقولات سوا ليس عليها ولا على اقسامها قياس منطقي بل غالبها مما استرق قد نو
زع صاحبه في كثير منه فاذا كانت صناعتهم بينا معلوم لا يحتاج فيها الى القياس المنطقي وبينا
ما لا يمكنهم ان يستعملوا فيه القياس المنطقي كما عديم الفايدة في علومهم بل كان فيه من شغل القلب
عن العلوم والاعمال النافعة ما صد كثيرا من الناس كما سد على كثير منهم طريق العلم والوقوف في او
دية الضلال والجهل فما الظن بغير علومهم من العلوم التي تحد للاولين والآخرين وايضا لا
تجد احدا من اهل الارض حقق علما من العلوم وصار اماما فيه مستغنيا بصناعة المنطق لا
من العلوم الدينية ولا غيرها فانا لاطباء والحساب والكتاب وغيرهم يحققون ما يحققونه
من علومهم وصنفاتهم بغير صناعة المنطق وقد صنف في الاسلام علوم النحو واللغة والعرو
ض والفقه واصوله والكلام وغير ذلك وليس في ايمة هذه الفنون من كان يلتفت الى المنطق
بل عامتهم كانوا قبل ان يعرب هذا المنطق الرومي واما العلوم الموروثة عن الانبياء صلوا
ت الله وسلامه عليهم فالمنطق الذي يعرف به الفقه واصوله متصلا بذلك هو في جل واعظم ما
يحتاج اليه من انظار اهلها التفاتا الى المنطق اذ ليس في القوانين اللازمة مما كان يلتفت الى المنطق او يعرج عليه مع انه في تحقيق العلوم و
كالها بالغاية التي لا يدركها احد شاوها كانوا اعلم الناس بها واقلهم تكلفا وابعدهم قولا بالا وجد

من هذه الامة الى
هي خير امة اخرجت
للناس وافضلها
القرون الثلاثة صح

هذه الورقة لا تتبع هذه المسألة
ولا هذه المسألة
وهي من رسالة في الرد على بعض أهل
الكلام
لا يتبين
محمد الفاسي

حتى اذا ادارك فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا
ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وكذلك قال اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في
الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الى قوله الكافرون فاحذر هنا مثل ما حذر
في الاعراف ان هؤلاء الموصوفين جاءت بهم الرسل فمارسوا بأس الله وحده والله
وتركوا الشرك فلم ينفعهم ذلك وكذلك اخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد وبا
الرسالة انه لما ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا
من المسلمين قال الله الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال تعالى واذ اخذ
ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الى قوله ان تقولوا انما
وقال تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود الى قوله قالوا ان انتم
الا بشر هو مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان
مبين وهذا في القرآن في مواضع اخر يبين فيها ان الرسل كلهم
امروا بالتوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات
سواء اتخاذه الها ويخبر ان اهل السعادة هم اهل التوحيد وان المشركين هم
اهل الشقاوة وذكر هذا عن عامة الرسل وبين ان الذين لا يؤمنون بالرسل مشركون
فعلم ان التوحيد والايمان بالرسل متلازمان وكذلك الايمان باليوم الآخر هو والا
يمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا جمع بينها في مثل قوله الآية
اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون
ولهذا اخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فعلم ان من اشمأزت قلوبهم الذين
لا يؤمنون بالآخرة واخبر عن جميع الانبياء
ان الرسل انذرتهم باليوم الآخر كما قال تعالى كما القى فيها فوج سألهم خزنتها
الم يأتكم نذير قالوا بلى الآية فاخبر ان الرسل انذرتهم وانهم كذبوا بالرسل وقال
وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها الآية فاخبر عن اهل

فيه

نفوسهم كلام فيما تكلموا فيه الا وجدت بينا الكلام في ما النوع اعظم مما بينا القدم والنوع بالاذ
وجدناه بالاستقرا اما مما المعلوم ان الناس فيما في العلوم مما اهل هذه الصناعة اكثر الناس شكا
واضطرابا واقلهم علما وتحقيقا وابعدهم عن تحقيق علم موزون وان الكلام فيه مما قد يحقق شيئا ما
العلم فذلك لقلة مادته والادلة التي ينظر فيها وقلة ذهن واداركه لاجل المنطق بل ادخاله هذا
عة المنطق في العلوم الصحيحة يطول العبارة ويبعد الاشارة ويجعل القريب من العلم بعيدا و
اليسير منه عسيرا ولهذا تجد ما ادخله في الخلاف والكلام واصول الفقه ونحو ذلك يفيد الاكثرة
الكلام والتشقيق مع قلة العلم والتحقيق فعلم انه مما اعظم حشو الكلام وابعد الاشياء عن طريقة ذوي
الاحلام مع لا ينكرون ان في المنطق ما قد يستفيد ببعضه ما كان في كثير من ضلال وتقليد لمن نشأ بينهم من
الجهال كعوام النصارى واليهود والرافضة ونحوهم فاورثهم المنطق ترك ما عليه اولئك من
تلك العقايد ولكن يبقى غالب هؤلاء هذيانا لعوامهم مضلين لهم عن سبيل الله او يصيرون
منافقين زنادقة لا يقرون ولا يجحدون ولا يبطلون بل يكونون الحق كما شركوا الباطل فاذا كان طوائف
الضلال اما مضلون واما زنادقة منافقون لا يكاد يخلو احد منهم عن هذين فاما
ان يكون المنطق وقعهم على ما هم عليه وقد نبه فحذا لا يقع بالمنطق ففي الجملة ما يحصل به بعضا لنا
سوا ما شحذ ذهنا او رجوع عن باطل او تعبير على حق فانما هو لكونه كان في اسوء حال للا
فصناعة المنطق من الكمال ومن المعلوم ان المشركا ذا تجسس والمجوسي اذا تهود وحسنت حاله
بالنسبة الى ما كان فيه قبل ذلك كما لا يصلح ان يجعل ذلك عمدة لاهل الحق المبين وهذا يعرض
به بل هذا شان كل من نظر في الامور التي فيها دقة ولها نوع احاطة كما تجد ذلك في علم النحو فانه
مما المعلوم ان لاهله ما التحقيق والتدقيق والتقسيم والتحديد ما ليس لاهل المنطق وان
اهله يتكلمون في صورة المعاني المعقولة على اكمل القواعد فالمعاني فطرية عقلية لاتحتاج الى وضع
خاص بخلاف تلك فانها الفاظ كانها تتنوع فمتى تعلموا اكمل الصور والقوالب للمعاني
مع الفطرة الصحيحة كان ذلك اكمل وانفع واعون على تحقيق العلوم من صناعة اصطلاحية
في امور فطرية عقلية لا يحتاج فيها الى اصطلاح خاص هذا لعمري في منفعته في سايل العلوم و
اما منفعته في علم الاسلام خصوصا فهذا ابين من ان يحتاج الى بيان ولهذا تجد الذين
انضلت اليهم علوم الاوايل فصاغوها بالصيغة العربية بعقول المسلمين جاءوا فيها ما الكما
ل والتحقيق والاحاطة والاختصار ما لا يوجد في كلام الاوايل وان كان فيه هو لا المتاخرين في

النار انه جاتهم الرسالة وانذروا باليوم الاخر وقال تعالى ويوم نحشرهم جميعا يا
معشر الجن والانس الى قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين الاية فاخبر
عن جميع الجن والانس ان الرسل بلغتهم رسالة الله وهي اياته وانهم انذروهم
اليوم الاخر وكذلك قال قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا الاية فاخبر انهم كفروا باياته وهي رسالته وبلقائه وهو اليوم الاخر
وقد اخبر ايضا في غير موضع بان الرسالة عمت بني ادم وان الرسل
جاوا مبشرين ومنذرين كما قال تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان
من امة الا خلا فيها نذير وقال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده الى قوله وكان الله عزيزا حكيما وقال تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين و
منذرين فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون فاخبر ان من امن بالرسل واصلح من الاولين
والاخرين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا
فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الاية ومثل
قوله ان الذين امنوا والذين هادوا الى قوله فلهم اجرهم عند ربهم الاية فذكر
ان المومنين بالله وباليوم الاخر من هولاء هم اهل النجاة والسعادة وذكر في
تلك الاية الايمان بالرسل وفي هذه الاية الايمان باليوم الاخر لانهما متلازمان وكذلك
الايمان بالرسل كلهم متلازم فمن امن بواحد منهم فقد امن بهم كلهم ومن كفر بواحد منهم
فقد كفر بهم كلهم كما قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله الى قوله اولئك هم الكافرون
حقا الاية والتي بعدها فاخبر ان المومنين بجميع الرسل هم اهل السعادة و
ان المفرقين بينهم بالايمان ببعضهم دون بعض هم كافرون حقا وقال تعالى
وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
صح صح فهذه الاصول الثلاثة توحيد الله والايمان برسله وباليوم الاخر هي امور متلازمة

من فيه نفاق وضلال لكن عادت عليهم في الجملة بركة ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جوامع الكلم وما اوتيته امته من العلم والبيان الذي لم يشركها فيه احد وايضا صناعة المنطق و
صنعها معلمهم الاول ارسطو صاحب التعاليم التي لمبتدعة الصابية يزن بها ما كان هو وامثاله يتكلمون
فيه من حكمتهم وفلسفتهم التي هي غاية كمالهم وهي قسمان نظرية وعملية فاصح النظرية وهي المدخل الى الحق
هي الامور الحسابية الرياضية واما العملية فاصلاح الخلق والمنزل والمدينة ولا ريب ان في ذلك
من نوع العلوم والاعمال التي يتميزون بها عن جهال بني ادم الذين ليس لهم كتاب منزل ولا نبي مرسل
ما يستحقون به التقدم على ذلك وفيه من منفعة صلاح الدنيا وعمارتها ما هو داخل في ضمن ما
جات به الرسل وفيها ايضا من قول الحق واتباعه والامر بالعدل والنهي عن الفساد ما هو دا
خل في ضمن ما جات به الرسل فهم بالنسبة الى جهال الامم كبادية الترك ونحوهم امثل اذا خلوا عن
ضلالهم فاما مع ضلالهم فقد يكون الباقون على الفطرة من جهال بني ادم امثل منهم فاما اضل
اهل الملل مثل جهال النصارى وسامرة اليهود فهم اعلم منهم واهدى واحكم واتبع للحق وهذا
قد بسطته بسطا كثيرا في غير هذا الموضع وانما المقصود هنا بيان ان هذه الصناعة قليلة
المنفعة عظيمة الحشو وذلك ان الامور العملية الخلقية قل ان ينتفع بها بصناعة المنطق
فيها اذ القضايا الكلية الموجبة وان كانت توجد في الامور العملية لكن اهل السياسة لنفوسهم و
لاهلهم ولملكهم انما ينالون تلك الارا الكلية من امور لا يحتاجون فيها الى المنطق ومتى حصل ذلك
الراي كان الانتفاع به بالعمل ثم الامور العملية لا تقف على راي كلي بل متى علم الانسان انتفاعه
بعمل عمله واي علم تضرر به تركه وهذا قد تعلمته بالحس الظاهر او الباطن لا يقف ذلك على راي كلي
فعلم ان اكثر الامور العملية لا يصح استعمال المنطق فيها ولهذا كان المودبون لنفوسهم ولاهلهم
والسايسون لملكهم لا يزنون اراهم بالصناعة المنطقية الا ان يكون شيا يسيرا والغالب على
من يسلكه التوقف والتعطيل ولو كان اصحاب هذه الارا تقف معرفتهم بها واستعمالهم لها على
وزنها بهذه الصناعة لكان تضررهم بذلك اضعاف انتفاعهم مع ان جميع ما يامرون به من
العلوم والاخلاق والاعمال لا تكفي في النجاة من عذاب الله فضلا عن ان يكون محصلا لنعيم
الاخرة والحاصل ان توحيد الله والايمان برسله وباليوم الاخر هي امور متلازمة مع العمل
الصالح فاهل هذا الايمان والعمل الصالح هم اهل السعادة من الاولين والاخرين والخارجون
عن هذا الايمان مشركون اشقيا فكل من كذب الرسل فلا يكون الا مشركا وكل مشرك مكذب للرسل

بلغ

قال في الاصل المقابل على ما يكون

فضلا عن ان يكون محصلا لنعيم الاخرة يتلوه الخط المعترض ولم نر خطا معترضا وكتبنا من قوله حتى اذا داركوا وهو في
اول الورقة المنكوسة
فاعرف ذلك

وكل مشرك وكافر بالرسل فهو كافر باليوم الاخر وكل من كفر باليوم الاخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك ولهذا
قال سبحانه وتعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون فاخبر ان جميع الانبياء اعداؤهم شياطين الانس والجن يوحي
حمل بعضهم الى بعض القول المزخرف وهو الذي يغرون به والغرور التلبيس والتمويه وهذا
شان كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من امر المتفلسفة والمتكلمة وغيرهم مما الا
ولين والاخرين ثم قال ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه فاخبر ان كلام
اعداء الرسل تصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة فعلم ان مخالفة الرسل وترك الايمان بالا
خرة متلازمان فمن لم يؤمن بالاخرة صغى الى زخرف اعدائهم مخالفا الرسل كما هو موجود في
اصناف الكفار والمنافقين في هذه الامة وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى
ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله يوم يات تاويله يقول الذين نسوه من قبل
قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا الاية فاخبر ان الذين تركوا اتباع
هذا الكتاب وهو الرسالة يقولون اذا جاءنا تاويله وهو ما اخبرت به جاءت رسل ربنا بالحق و
حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فاخبر ان
الذين تركوا اتباع ما يصيبهم ما ذكرنا فقد تبين ان اصل السعادة واصل النجاة من العذا
ب هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والايمان برسله واليوم الاخر والعمل الصالح
وهذه الامور ليست في حكمة وفلسفة المبتدعة ليس فيها الامر بعبادة الله وحده و
النهي عن عبادة المخلوقات بل كل مشرك في العالم انما احدث بدا به جنسه اذا بينوا ما في الارواح
والاجسام من القوى والطبايع وان صناعة الطلاسم والاصنام والتعبد لها بعزائم ذلك
ويدفع مضار فهم الامور بالشرك والفاعلون له وعالم بامر بالشرك منهم فلم ينه عنه بل نهى
لا وهو لا وانما نهى الموحدين ثم جميعا اما فقد يهرجي غيره المشركين وقد يعرض عن الامر
جميعا فتدبر هذا فانه نافع جدا ولهذا كان رؤسهم المتقدمون والمتاخرون يامرون بالشرك
فالاولون يعبدون الكواكب الالهة الصغرى ويعبدونها باصناف العبادات كذلك كان اولهم
الاسلام لا ينهى عما الشرك وهو جبوا التوحيد وقد راينا من مصنفاتهم في عبادة الكوا
والملايكة

يأمرون بالشرك ولا يوجبون التوحيد

والملايكة وعبادة الانفس المفارقة انفس الانبياء وغيرهم كما هو اصل الشرك وهم اذا ادعوا
التوحيد فانما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه
من التوحيد باخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه والتوحيد
الذي يدعونه انما هو تعطيل حقايق الاسماء والصفات وفيه من الكفر والضلال ما هو من
اعظم اسباب الشرك فلو كانوا موحدين بالقول والكلام وهو ان يصفوا الله بما وصفته
به رسله لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة بل لا بد من ان يعبد
الله وحده ويتخذ الها واحدا وهو معنى قول لا اله الا الله فكيف وهم في القول والكلام
معطلون جاحدون للاسم دون المسمى ولا مخلصون واما الايمان بالرسل فليس فيه الا العلم الاول
وذوبه كلام معروف والذين دخلوا في الملل منهم امنوا ببعض صفات الرسل وكفروا ببعض
واما اليوم الاخر فاحسنهم حالا من يقر ببعاد الارواح دون الاجساد ومنهم من ينكر المعاد بالكلية
جميعا ومنهم من يقر ببعاد الارواح العالمة دون الجاهلة وهذه الاقوال الثلاثة لمعلم الثاني
ابي نصر الفارابي وله فيه من الاضطراب ما يعلم به انهم لم يعتقدوا فيه الصواب وقد اضلوا
بشبهاتهم كثيرا من المنتسبين الى الملل ما لا يحصي عدده الا الله فاذا كان ما به تحصل السعادة
والنجاة من الشقاوة ليس عندهم اصلا كان ما هم فيه من الاخلاق والاعمال والسياسا
ت كما قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون واما ما يذكرو
نه من العلوم النظرية فالصواب منها منفعته في الدنيا واما العلم الالهي فليس عندهم منه ما
تحصل به النجاة والسعادة بل وغالب ما عندهم منه ليس بمتيقن معلوم بل قد صرح اسا
طين الفلسفة ان العلوم الالهية لا سبيل فيها الى اليقين وانما يتكلم فيها بالاحرى والاخلق
فليس معهم فيها الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ولهذا يوجد عندهم من المخالفة للرسل
امر عظيم بأن حتى قيل مرة لبعض الاشياخ الكبار ممن يعرف الكلام والفلسفة والحديث
وغيره ذكر ما الذي بين الانبياء والفلاسفة فقال السيف الاحمر وهذا الذي يسلكه طو
يقته اما يوافق بين ما يقولونه وبين ما جاءت به الرسل فيدخل من السفسطة والقر
مطة في انواع من المحال الذي لا يرضاه عاقل كما فعل اصحاب رسايل اخوان الصفا وهنا
لهم ومن هنا ضلت القرامطة والباطنية ومن شركهم في بعض ذلك وهذا باب يطول
وصفه ليس الغرض هنا ذكره وانما الغرض ان معلم وضع منطقهم ليزن به ما يقولونه حتى

هذه الامور التي يخوضون فيها التي هي قليلة المنفعة واكثر منفعتها انما هي في الامور الدنيوية وقد
يستغنى عنها في الامور الدنيوية ايضا فاما ان يوزن بهذه الصناعة ما ليس من علومهم وما
هو فوق قدرهم او يوزن بها ما يوجب السعادة والنعيم والنجاة من العذاب الاليم فهذا
امر ليس هو فيها وقد جعل الله لكل شي قدرا والقوم وان كان لهم ذكا وفطنة وفيهم زهد واخلا
ق فهذا القدر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب الا بالاصول المتقدمة من الايمان بالله
وتوحيده والايمان برسله واليوم الاخر والعمل الصالح وانما قوة الذكا بمنزلة قوة البدن وقوة
الارادة فالذي يوتى فضايل علمية وارادية بدون هذه الاصول بمنزلة من يوتى قوة في جسمه و
بدنه بدون هذه الاصول واهل الراي والعلم بمنزلة اهل الملك والامارة وكل من هو لا وهو لا
لا ينفعه ذلك شيا الا ان يعبد الله وحده لا شريك له ويومن برسله وهذه الامور متلازمة فمن
عبد الله وحده لزم ان يومن برسله ويقر باليوم الاخر واستحق الثواب والا كان من اهل الو
عيد ولا يخلد عليه العذاب هذا اذا قامت عليه الحجة بالرسل ولما كان كل واحد من اهل الملك و
العلم قد يعارضون الرسل وقد يتابعونهم ذكر الله ذلك في كتابه في غير موضع فذكر فرعون والذي
حاج ابراهيم في ربه لما اتاه الله الملك والملا من قوم نوح وعاد وغيرهم من المستكبرين المكذبين
للرسل وذكر قول علمايهم كقوله فلما جاتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كا
نوا به يستهزون فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال تعالى
ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد الى قوله وجادلوا بالباطل ليد
حضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب الى قوله الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان
اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار والسلطان
هو الوحي المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير موضع كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما
كانوا به يشركون وقوله ما انزل الله بها من سلطان وقال ابن عباس كل سلطان في القران فهو
الحجة ذكره البخاري في صحيحه وقد ذكر في هذه السورة سورة حم غافر من حال مخالفي الرسل من
الملوك والعلما مثل مقول الفلاسفة وعلمايهم ومجادلتهم واستكبارهم ما فيه عبرة مثل قوله الذ
ين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه ومثل قوله الم تر
الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف
يعلمون

وباليوم الاخر صح

في نسخة ويخلد عليه العذاب بغير لام

قال الله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وا
في الارض الاية والقوة تعم قوة الادراك النظرية وقوة الحركة العملية وقال في الاية الاخرى كانوا اكثر منهم واشد
واثارا في الارض فاخبر بفضلهم في الكم والكيف وانهم اشد في انفسهم وفي اثارهم في الارض قال الله تعالى فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا الاية وقال تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن
اكثر الناس لا يعلمون الى قوله الله يبدؤ الخلق الاية وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما
به يستهزؤن الى قوله وانشانا من بعدهم قرنا اخرين وقد قال سبحانه عن اتباع هؤلاء الايمة من اهل الملك و
المخالفين للرسل يوم تقلب وجوههم في النار الى قوله والعنهم لعنا كبيرا وقال تعالى واذ يتحاجون في النار
قوله قد حكم بين العباد صح صح

يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون الى قوله ذلكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وختم السورة بقوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم وكذلك ذكر في سورة الانعام والاعراف وعامة السور المكية وطائفة
من السور المدنية فانها تشتمل على خطاب هؤلاء وضرب الامثال والمقاييس لهم وذكر قصصهم
وقصص الانبياء واتباعهم معهم وقال سبحانه ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا
وابصارا وافيدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات
الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاخبر بما مكنوا فيه من اصناف الادراكات والحركا
ت واخبر ان ذلك لم يغن عنهم حيث جحدوا بايات الله وهي الرسالة التي بعث بها رسله ولهذا
حدثني ابن الشيخ الخضيري شيخ الحنفية في زمنه قال كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا
كان كافرا ذكيا ومثل هذا في القران كثير يذكر فيه من اقوال اعداء الرسل وافعالهم وما اوتوه
من قوى الادراكات والحركات التي لم تنفعهم لما خالفوا الرسل وقد ذكر سبحانه ما في المنتسبين
الى اتباع الرسل من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال في مثل قوله يا ايها الذين امنوا
ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ويصدو
ن عن سبيل الله يستعمل لازما يقال صد صدودا اي اعرض كما قال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى
ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ويقال صد غيره يصده
والوصفان يجتمعان فيهم ومثل قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وفي الصحيحين عن ابي
موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرا القران مثل الاترجة طعمها طيب و
ريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرا القران مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل
المنافق الذي يقرا القران مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرا
القران مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فبين ان في الذين يقرؤن القران مؤمنين ومنا
فقين واما النظر في مسالة معينة وقضية معينة لطلب حكمها والتصديق بالحق فيها والعبد
لا يعرف ما يدله على هذا او هذا ومجرد هذا النظر لا يفيد بل قد يقع له تصديقات يحسبها حقا و
هي باطل وذلك من القاء الشيطان وقد يقع له تصديقات تكون حقا وذلك من القاء الملك وكذلك
اذا كان النظر في الدليل الهادي وهو القران فقد يضع الكلم مواضعه ويفهم مقصود الدليل فيهتدي

بالقران وقد لا يفهمه او يحرف الكلم عن مواضعه فيضل به ويكون ذلك من الشيطان كما قال تعالى وننزل
من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقال يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا وما يضل به الا الفاسقين وقال فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين فالناظر في الدليل
بمنزلة المتراءي للهلال قد يراه وقد لا يراه لعشى في بصره وكذلك اعمى القلب واما الناظر في المسالة
فهذا يحتاج الى شيئين الى ان يظفر بالدليل الهادي والى ان يهتدي به وينتفع به فامره الشرع بما
يوجب ان ينزل على قلبه الاسباب الهادية ويصرف عنه الاسباب المعوقة وهو ذكر الله تعالى
فان الشيطان وسواس خناس فاذا ذكر العبد ربه خنس واذا غفل عن ذكر الله وسوس
وذكر الله يعطي الايمان وهو اصل الايمان والله سبحانه رب كل شيء ومليكه وهو معلم كل علم وواهبه
فكما ان نفسه اصل لكل شيء موجود فذكره والعلم به اصل لكل علم وذكر في القلب والقران يعطي العلم
المفصل فيزيد الايمان كما قال جندب بن عبد الله البجلي وغيره من الصحابة تعلمنا الايمان ثم تعلمنا
القران فازددنا ايمانا ولهذا كان اول ما انزل الله على نبيه اقرا باسم ربك الذي خلق فامره
ان يقرا باسم الله فتضمن هذا الامر بذكر الله ولما نزل من الحق وقال بسم ربك الذي خلق
خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فذكر سبحانه انه
خلق الاعيان الموجودة عموما وخصوصا وهو الانسان وانه المعلم للعلم عموما وخصوصا
للانسان وذكر التعليم بالقلم الذي هو اخر المراتب ليستلزم تعليم القول وتعليم العلم الذي في
القلب وحقيقة الامر ان العبد مفتقر الى ما يساله من العلم والهدى طالب سائل فيذكر الله
والافتقار اليه يهديه الله ويدله كما قال يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم
وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والا
رض انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك
تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ومما يوضح ذلك ان الطالب للعلم بالنظر والاستدلال والتفكر
والتدبر لا يحصل له ذلك الا بنظر في دليل يفيده العلم بالمدلول عليه متى كان العلم مستفادا
بالنظر فلا بد ان يكون عند الناظر من العلم المذكور الثابت في قلبه ما لا يحتاج حصوله الى نظر
فيكون ذلك المعلوم اصلا وسببا للتفكر الذي يطلب به معلوما اخر ولهذا كان الذكر متعلقا
بالله لانه سبحانه الحق المعلوم وكان التفكر في مخلوقاته كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما
وقعودا

نظر

وعلى جنوبهم صح

وقعودا ويتفكرون في خلق السموات والارض وقد جاء الاثر تفكروا في المخلوق ولا تفكروا
في الخالق لان التفكير والتقدير يكونان في الامثال المضروبة والمقاييس وذلك يكون في الامور
المتشابهة وهي المخلوقات واما الخالق جل جلاله سبحانه وتعالى فليس له شبيه ولا نظير
فالتفكر الذي مبناه على القياس ممتنع في حقه وانما هو معلوم بالفطرة فيذكره العبد و
بالذكر وبما اخبر عن نفسه يحصل للعبد من العلم به امور عظيمة لا تنال بمجرد التفكير والتقدير
اعني من العلم به نفسه فانه الذي لا تفكير فيه فاما العلم بمعاني ما اخبر به ونحو ذلك فيدخل
فيها التفكير والتقدير كما جاء به الكتاب والسنة ولهذا كان كثير من ارباب العبادة والتصوف
يامرون بملازمة الذكر ويجعلون ذلك هو باب الوصول الى الحق وهذا حسن اذا ضموا اليه
تدبر القران والسنة واتباع ذلك وكثير من ارباب النظر والكلام يامرون بالتفكر والنظر
ويجعلون ذلك هو الطريق الى معرفة الحق والنظر صحيح اذا كان في حق ودليل كما تقدم فكل من
الطريقين فيها حق لكن يحتاج الى الحق الذي في الاخرى ويجب تنزيه كل منهما عما دخل فيهما
من الباطل وذلك كله باتباع ما جاءت به المرسلون وقد بسطنا الكلام في هذا في غير هذا
الموضع وبينا طرق اهل العبادة والرياضة والذكر وطريق اهل الكلام والنظر والا
ستدلال وما في كل منهما من مقبول ومردود وبينا ما جاءت به الرسالة من الطريق الكاملة
الجامعة لكل حق وليس هذا موضع بسط ذلك وانما المقصود هنا ان الانسان يحس بانه
عالم ويجد ذلك ويعرفه بغير واسطة احد كما يحس بغير ذلك وحصول العلم في القلب كحصول الطعا
م في الجسم فالجسم يحس بالطعام والشراب وكذلك القلوب تحس بما نزل اليها من العلوم التي هي
طعامها وشرابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان كل ادب يجب ان تؤتى مادبته وان مادبة
الله هي القران وكما قال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا
ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله وفي الصحيحين عن ابي موسى عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا وكانت
منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها طائفة امسكت الماء فسقى
الناس وزرعوا وكانت منها طائفة انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في
دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله
الذي ارسلت به فضرب مثل الهدى والعلم الذي ينزل على القلوب بالماء الذي ينزل على الارض.

وكان ان سه ملايكة موكلة بالسحاب والمطر فله ملايكة موكلة بالبرد والثلج هذا رزق القلوب و
قوتها وهذا رزق الاجساد وقوتها قال الحسن البصري في قوله ومما رزقناهم ينفقون قال ان
من اعظم النفقة نفقة المعلم وخوهذا الكلام وفي انه افرض نعمت العطية ونعت الهدية الكلية
من الحين يسمعها الرجل فيهدي بها الى اخيه لمسلم وفي اثر اخر عن ابي الدرداء ما تصدق عبد بصدقة
افضل من موعظة يعظ بها اخوانه مومنين فيتفرقون وقد نفعهم الله بها وما يشبه هذا الكلام
م ورد ابن ماجه في سننه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الصدقة ان يتعلم
الرجل علما ثم يعلمه اخاه المسلم وقال معاذ بن جبل علموا بالعلم فان طلبه عبادة وتعلمه حسنة
وبذله لاهله قربة وتعليمه لمن لا يعلم صدقة والبحث عنه جهاد ومذاكرته تسبيح ولهذا كان العلم
المخبوء يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر والله وملايكته يصلون على معلم الناس الخير لما في ذلك من
عموم النفع لكل شيء ومكسبه كما ان العلم فانه يلعنه الله ويلعنه اللاعنون قال طائفة من السلف
اذا كتم الناس العلم فعمل بالمعاصي احتبس القطر فتقول البهائم اللهم عصاة بني ادم فانا لا
منعنا القطر بسبب ذنوبهم واذا كان اعلم الانسان بكونه عالما موجبا لموجبه الى وجوده ذلك واحما
سه في نفسه بذلك وهذا امر موجود بالضرورة لم يكن لان يخبر واحد انه يخبر واحد انه نفوسنا الناس بانه
ليس بعلم يخبره فاما عدم وجوده من نفوسهم ذلك لا يقتضي ان الناس لم يجدوا ذلك لا
سيما اذا كان المخبر وان على اليقين الذي في انفسهم ممن لا يشكون في علمه وصدقه ومعرفته بما
يقول وهذا حال ائمة المسلمين وسلف الامة وحملة الحجة فانهم يخبرون عما عندهم من اليقين
والطمانينة والعلم الضروري بذلك في الحماية المحفوظة عن نجم الدين الكبرى لما دخل على شيخ
ن احدهما ابو عبد الله الرازي والاخر من متكلمي المعتزلة وقال لا شيخ بلغنا انك تعلم علم اليقين
فقال نعم انا اعلم علم اليقين فقال لا كيف يمكن ذلك ونحن منذ اول النهار الى الساعة نتناظر فلم يتبين
احدنا ان يقيم على الاخر دليلا واظن في الحكاية في تثبيت الاسلام فقال ما ادري بما تقول لا
ولكن انا اعلم علم اليقين فقال لا صف لنا علم اليقين فقال علم اليقين عندنا واردات ترد على
النفوس تنفي النفوس معارفها فجعلا يقولان واردات ترد على النفوس تعجز النفوس
عن ردها ويستحسنان هذا الجواب وذلك لان طريقا اهل الكلام تفهيم العلوم الى ضروري
وكسبي او بديهي ونظري فالنظري الكسبي لا بد ان يرد الى مقدمات ضرورية او بديهية
فتلك لا تحتاج الى دليل والا لزم الدور او التسلسل والعلم الضروري هو الذي يلزم منه نفسا

الخلوق

وعن كعب بن عجرة قال لا
اهدي كل هدية
الصلاة على النبي صلى
عليه وسلم ص

الخلوق لزوما لا يمكنه الانفكاك عنه فالرجوع فيه ضروري الى انه يعجز عن دفعه عن نفسه فاجتمع
الشيخ ان علومهم ضرورية وانها ترد على النفوس على وجه يعجز عن دفعه فقال له الطرطوشي
ذلك فقال ليتني كان ما انتفيته وتسلكان ما امرتكما به من الذكر والعبادة فما الرازي انا اشغل
عن هذا وقال المعتزلي انا قد احترقت قلبي بالشبهات واحب هذه الواردات فلم ان الشيخ
مدة ثم خرج من محل عبادته وهو يقول والله يا سيدي ما الحق الا فيما تقوله هو لا المشبهة
يعني المثبتين للصفات فان المعتزلة ليس لهم الصفات عندهم وذلك انه علم علما ضروريا
لا يمكنه دفعه عن قلبه ان صانع العالم لا بد ان يتميز عن العالم ويكون بانها منه لصفات
تختص به وان هذا الرب الذي تصفه الحنابلة انما هو عدم محض وهذا موضع الحكاية المشهورة
عن الشيخ العارف ابي جعفر الهدادي الحنبلي انه لما اخذ عليه المنبر كان الله ولم يكن معه شيء
يا استاد دعنا من ذكر العرش يعني ان ذلك لما جاء في السمع اخبرنا عن هذه الضرورة التي تجدها
في قلوبنا فانه ما قال عارف قط ما الله الا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو الا تلتفت يمنة
ولا يسرة تكليف بدفع هذه الضرورة من قلوبنا قال فلطم ابو المعالي على راسه وقال حيرني الهمداني
حيرني الهمداني ونزل وذلك ان نفوسنا مستولية على العرش بعد ان خلق السموات والارض
في ستة ايام علما بالسمع الذي جاء به الرسل كما اخبر به في القرآن العظيم والتوراة واما كونه عالما
بما يخلق فانه بانيا نهم فهذا امر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها بنو آدم وكل
من كان بالبداءة ولد اعبد ودعا له وعلمه اكثر واكثر كان علمه الضروري بذلك اقوى واكمل
فالفطرة بكليها والفطرة المتنزلة عن الفطرة بقلم الارض مجملا ولله الحمد تفصيله وتبيينه وتتمهد
بما لا تستقل الفطرة به فهذا هذا والله اعلم والحاصل ان كل من تكلم في بدعة يرى ان يطرد قياسه
فيه من التسوية بين المتماثلين عنده وان استلزم ذلك كثرة مخالفة النصوص وهذا موجود في
المسائل العلمية الخبرية والمسائل العملية الارادية يجعل المتكلم قد يطرد قياسه مرادا مستمرا فيكون
ظاهر الامر احود من نقضها وبجد المستدل الذي يذكر في ذلك القياس قد يقول ما ينقض ذلك القياس
في مواضع مع استشعار التناقض تارة وبدون استشعار وهو الاغلب وربما يخيل بفروق
ضعيفة فهو في نقض علته والتفريق بين المتماثلين في حكمه فيها يظهر انه دون الاول في الصحة وقد
وطرد القول وليس كذلك بل هو طرد من الاول فان ذلك القياس الذي كثر كما كان قياسا في اصله الحاق الفرع
والقياس الصحيح فالذي طرده اكثر فسادا وتناقضا هو الذي تقتضيه وهذا شان كل من وافق غيره على
قياس هو في نفس الامر يحق وكان احد هما من المنصوص في مواضع فانه لم يذكر ذلك القياس وهذا يسميه

الفقهاء في معاصنع كثيرا الاستحسان فتحد القايلين بالاستحسان الذي نركوا فيه القياس لنص خبر احر
الذين طردوا القياس ه تركوا النص ولهذا يروى عن ابي حنيفه انه قال الاناخذ ابتدا ليس في
فانكم ان اخذتم بما يسوغ فقد حرمتم الحلال وحللتم الحرام فان كان كثير الطرد لما يظنه من
القياس مع قلة علمه بالنصوص وكان ابو يوسف نظره بالعكس كان اعلم بالحديث منه ولهذا
توجد المسايل التي يخالف فيها ظواهر احاديث عامتها قياسيه ولا يكون الا قياسا ضعيفا عند
التامل وتوجد المسايل التي يخالف فيها ابو يوسف ابا حنيفه واتبعه محمد عليها عامتها اتبع
فيها النصوص والاقيسة الصحيحه لان ابا يوسف ندخل بعد موت ابي حنيفه الى الحجاز واستفتى
من علم السنن التي كانت عندهم ما لم تكن مشهورة بالكوفه وكان يقوله لو راى اصحابي ما راى
لرجع كما رجعت لعلمه بان صاحبه ما كان يقصد الا اتباع الشريعه لكن قد يكون عند غيره من
علم السنن ما لم يبلغه وهذا ايضا حال كثير من الفقها بعضهم مع بعض فيما وافقوه عليه من قياس
لم تثبت صحته بالادله المعتبره فان الموافقه فيه توجب رده ثم اهل النصوص قد ينقصون
والذين لا يعلمون النصوص قد يطردون ويذكرون هذه حالا كثر متكلمة اهل الاثبات مع متكلمة
النفات في مسايل الصفات والقدر وغيرذلك قد يوافقونهم على قياس فهم ثم يطردونه والكثير
فيقولون به حالا تثبت النصوص والمثبته لا تفعل ذلك بل لابد من القول بموجب النصوص فربما
قالوا ببعض معناها وربما قالوا في الجزي الضعيف واصل ذلك موافقة اولئك على القياس الضعيف
وذكر في مسايل الجسم والجوهر وغير ذلك وهكذا احد هذا حال من اعان ظالما في الافعال
فان الافعال لا تقع الا بمعاونة القادر المريد فاذا اعان على ظلمه او تسبب لظلمه
هذا فايده العين ان ينقض الطرد ويخص علته ولهذا يقال لمن اعان ظالما بما يتاول به وهذا
عام في جميع الظلمه اهل الاقوال والاعمال واهل البدع والفجور وكل خالف الكتاب والسنه
خبرا او امرا وعمل فهو ظالم فان الله ارسل رسله ليقوم الناس بالقسط وقد صلى الله عليه وسلم
افضل وقد بين الله سبحانه لهم القسط حتى لم يبق لغيره فيه حاجة وقد علم ما يقدر عليه غيره
فصار ما يامر به غيره ويفعله وذلك ان بني ادم في كثير من المواضع قد لا
يعلمون حقيقة القسط ولا يقدرون على فعله بل ما كان اليه اقرب وبه اشبه كان اسلم في
الطريقة المثلى وقد بسطنا هذا في مواضع اخر والله تعالى اعلم واقيموا الوزن بالقسط لا نكلف نفسا
الا وسعها وقال اتقوا الله ما استطعتم وقال صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم

فصل وهذا المقام لا ذكرناه في موارد النزاع فيقال هو استدلال على
المختلفين بالمختلف لكن ان وصف جنس كلامهم فالقول الاربعين كلامهم كلام يحصر في الحدود التي تفيد

التصورات سواء كانت الحدود حقيقيه او رسميه او لفظيه وفي الاقيسة التي تفيد
التصديقات سواء كانت اقيسة عموم او شمول او شبه وتمثيل او استقراء وتتبع و
كلامهم غالبه لا يخلو من تكلف اما في العلم واما في القول اما ان يتكلفوا علما لا يعلمونه
فيكونون بغير علم او يكون الشي معلوما لهم فيتكلفون من بيانه ما هو زياده وحشو
وعنا وتطويل طريق وهذا من المنكر المذموم في الشرع والعقل والعرف اما سالكم
عليه ما جرى وانا من المتكلفين وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال ايها الناس من علم
علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من فقه العالم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم وقد
ذم الله القول بغير علم في كتابه كقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم لا سيما القول على الله
كقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
وكذلك ذم الكلام الكثير الذي لا فايدة فيه واخبر بان شر القول القول السديد والقول المبلغ
وهو ما كان هو في الحدود غالبه من الكلام الكثير الذي لا فايدة فيه بل قد يكثر كلامهم في الاشياء
الباطله كثيرا ممن لا يكثر ويكثر من باطل وهو قول بغير علم وقول الخطا والحق اما الاول فلانهم
يزعمون ان الحدود التي يذكرونها يفيدون بها تصور الحقايق وان ذلك لا يتم بذكر الصفات
الذاتيه المشتركه والمميزه حتى ركب الحد من الجنس المشترك والفصل المميز وقد تقدم
ان التصورات لا تحصل الا بالحدود ويقولون الحدود المركبه لا تكون الا للانواع المركبه
من الجنس والفصل دون الانواع البسيطه وقد ذكرت في غير هذا الموضع ملخص الخطوط وتضمنه
واشرت الى البعض ما دخل فيه كثير من الناس من الخطا والضلال وليس هذا موضع بسط ذلك
لكن نذكر وجوها الاول قوله ان التصور الذي ليس ببديهي لا ينال الا بالحد
باطل لان الحد هو قول الحاد فان الحد هنا هو القول الدال على ماهيه المحدود فالمعرف بالحد
لا يكون الا بعد الحد فان الحاد الذي ذكر الحد ان كان عرف المحدود بغير حد بطل قوله
لا يعرف الا بالحد وان كان عرفه بحد اخر فالقول فيه كالقول في الاول فان كان هذا
الحاد عرفه بعد الحد الاول لم يدر وان كان باخر لزم التسلسل الثاني
انهم الان لم يسلموا لهم حد شي من الاشيا الا بعد عبد بعضهم ويدعي فيه اخرون فان كانت
الاصول لا تتصور الا بالحدود لزم الا يكون الى الان احد عرف شيئا من الامور ولكن حصل

ينتظر صحته لان الذي يذكر يحتاج الى معرفة بغير حد وهي متعذره فلا يكون لبني ادم
شئ من المعرفه وهذه سفسطه غالحه **الثالث** ان المتكلمين بالحدود وطائفة قليله في بني ادم لاسيما الصناعة المنطقيه فان واضعها ارسطو وسلك خلفه
فيها طائفه من بني ادم ومن العلوم ان علوم بني ادم عامتها وخاصتها حاصلة بدون ذكر فبطل قولهم ان المعرفه متوقفه عليها **الرابع** انا لا نسلم ان الانبياء والعلماء
كانوا اعلم بني ادم علوما ومعارف لم يكن تكلف هذه الحدود من عاده تهم ولم يبتدعوها ولم تكن عربت الكتب الاعجميه الروميه لهم وانما حدثت في ستمائة المتكلمين والفلاسفه
ومن حين حدثت بينهم صار بينهم من الاختلاف والجهل ما لا يعلم الا الله وكذلك علم الطب والحساب وغير ذلك لا تجد اية هذه العلوم يتكلفون هذه الحدود المركبه من الجنس و
الفصل الا من غلط فذلك بصناعتهم من اهل المنطق وكذلك النحاة مثل سيبويه الذي
ليس في العالم مثل كتابه وفيه حكمة لسان العرب لم يتكلف فيه حد الاسم والفاعل
ونحو ذلك كما فعل غيره ولما تكلف الفاه حد الاسم ذكر واحدا وذكر كلاما مطعونا
فيها عندهم وكذلك ما تكلف متاخروهم من حد الفاعل والمبتدا والخبر ونحو ذلك لم يد
خل فيه عندهم من هو امام في الصناعه ولا حاذق فيها وكذلك الحدود التي يتكلفها بعض
الفقهاء الطهارة والنجاسة وغير ذلك من معاني الاسماء المعتاده بينهم وكذلك الحدود التي يتكلفها الناظرون في اصول الفقه لمثل الخبر والقياس والعلم وغيره والكلام يدخل فيها الاذى
ليس بامام في الفن والى الساعة لم يسلم له حد ولذلك حدود اهل الكلام فاذا كان حدان
بخادم في كل فن من العلم احكم بدون هذه الحدود المتكلفه بطل توقف العلم عليها واما
على بني ادم الذين لا يصنفون الكتب فهي مما لا يحصيه الا الله ولهم من البصائر والمكاشفات
والتحقيق والمعارف ما ليس لاهل هذه الحدود المتكلفة فكيف يجوز ان تكون موقوفه الاشياء فيما
عليها **الخامس** ان الله جعل لابن ادم من الحس الظاهر والباطن ما يحس
به الاشياء ويعرفها فوق ما يجعله لبصر وسمعه وذوقه ولمسه الظاهر ما يعرف ويعرف
ايضا غايشهده وجسه بنفسه وقبله ما هو اعظم من ذلك وهذه هي الطرق التي تعرف بها الاشياء
كما انا الطفل فلا يتصور ان يعرف مفردات الاشياء القياس او تركيب الفاظ
وليس شئ من ذلك تقييد لحقيقة فالمقصود ان الحقيقة ان تصورها بباطنه او

المحسوسات

الالوان

او ظاهره استغنى عن الحد القولي وان لم يتصورها بذلك امتنع ان يتصور حقيقتها
بالحد القول وهذا امر محسوس يجده الانسان من نفسه فان من عرف الحسو سات المذوقه
مثلا كالعسل لم يفده الحد تصورها ومن لم يذق ذلك لم يفده الحد شيئا وهو بذلك يقر بان
ان يتصور حقيقة بالكلام والحد بل بمثال ويقرب اليه وبقال طعمه يشبه كذا او يشبه كذا وكذا
وهذا التشبيه والتمثيل ليس هو الحد بل الذي يدعون ولذلك المحسوسات الباطنه مثل
الغضب والفرح والحزن والغم والعلم ونحو ذلك من وجدها فقد تصورها ومن لم يجدها
يمكن ان يتصورها بالحد ولهذا لا يتصور الاعمى بالحد ولا الاصم بالحد ولا فاقد الوقاع بالحد فان القائل
بل بان الحدود هي التي تفيد تصور الحقايق قابلا للباطل المعلوم بالحس الباطن والظاهر
السادس ان الحد يفيد انما هي في الكليه كقولنا حيوان ناطق واللفظ يجعل معنى ونحوه
لك فتصور معناها لا يمنع من وقوع الشركة فيها وان كانت الشركة ممتنعة لسبب اخر فمتى اذا
لا تدل على حقيقة معينه بخصوصها وانما تدل على معنى كلي والمعاني الكلية ووجودها في الذهن
لا في الخارج فاني الخارج لا تتعين ويقع فيه نحو الحد وما في الذهن ليس هو حقايق الاشيا
فالحد لا يفيد تصور حقيقة اصلا **السادس** ان الحد من باب الالفاظ واللفظ
لا يدل السامع على معناه ان لم يكن قد تصور مفردات اللفظ بغير اللفظ لان اللفظ المركب
لا يدل السامع على معناه ان لم يعلم ان اللفظ موضوع للمعنى ولا يعرف ذلك حتى يعرف
المعنى فيتصور المعاني المفرده يجب ان يكون سابقا على فهم المواد بالالفاظ فلو استفيد
تصورها من الالفاظ لزم الدور وهذا امر محسوس فان المتكلم باللفظ المفرد لم يبين
للسامع معناه حتى يدرك حسه او نظره او الاولى تصورا دراكه بقول مؤلف من جنس
وفصل **السابع** ان الحد هو الفصل والتمييز بين المحدود وغيره منفصل ما
تفيده الاسماء التمييز هو الفصل بين المسمى وبين غيره وهذا الامر يحصل بالتمييز تفصيلا
فاما تصور حقيقة فلا لكنها قد تفصل ما دل عليه الاسم بالاجمال وليس ذلك هو الحقيقة
في شئ والشرط في ذلك ان تكون الصفات ذاتيه بل هو بعض اسباب التقسيم والتحديد للكل كا
التقسيم لخبر ياته وبظهر ذلك بالوجه الثامن وهو ان الحس الباطن والظاهر يفيد
تصورا لحقيقة تصورا مطلقا اما عمومها وخصوصها فهو من حكم العقل فان التقليب
يعقل معنى من هذا المعين ومعنى يشاركه هذا المعين فيصير في القلب معنى عاما
وذلك هو عقل اي عقل المعاني الكلية فاذا عقل معنى الحيوان الذي يكون في هذا الحيوان وهذا

الحيوان ومعنى الناطق الذي يكون في هذا الانسان وهذا الانسان وهو مختص به عقل ان في
نوع الانسان معنى يكون نظيره في هذا الحيوان ومعنى ليس له نظير في الحيوان فالاول هو الذي
يقال له الجنس وهذا الذي يقال له الفصل وهما موجودان في النوع فهذا حق ولكن لم يستفد هذا
اللفظ ما لم يكن يعرف بعقله من ان هذا المعنى عام للانسان ولغيره من الحيوان بمعنى ان ما في هذا
نظير ما في هذا اذ ليس في الاعيان الخارجة عموم وهذا المعنى يختص بالانسان فلا فرق بين
قولك الانسان حيوان ناطق والانسان هو الحيوان الناطق الا من جهة الاحاطة والحصر
في الثاني لا من جهة تصوير حقيقته باللفظ والاحاطة والحصر هو التمييز الحاصل بمجرد الاسم
وهو قولك انسان وبشر فان هذا الاسم اذا فهم مسماه افاد من التمييز ما افاده الحيوان الناطق مع
سلامته عن المطاعن واما تصور ان فيه معنى عاما ومعنى خاصا فليس هذا من خصايص الحد كما
تقدم والذي يختص بالحد ليس الا مجرد التمييز الحاصل بالاسما وهذا بين لمن تامله واما ادراك
صفات فيه بعضها مشترك وبعضها مختص فلا ريب ان هذا قد لا يتفطن له بمجرد الاسم لكن
هذا يتفطن له بالحد وبغير الحد فليس في الحد الا ما يوجد في الاسما او في الصفات التي تذكر للمسمى
وهذان نوعان معروفان الاول معنى الاسما المفردة والثاني معرفة الجمل المركبة الاسمية والفعلية
التي يخبر بها عن الاشيا ويوصف بها الاشيا وكلا هذين النوعين لا يفتقر الى الحد المتكلف فثبت
ان الحد ليس فيه فايدة الا وهي موجودة في الاسما والكلام بلا تكلف فسقطت فايدة خصوص الحد
الوجه التاسع ان العلم بوجود صفات مشتركة ومختصة حق لكن التمييز بين تلك
الصفات يجعل بعضها ذاتيا يتقوم منه حقيقة المحدود وبعضها لازما لحقيقة المحدود
تفريق باطل بل جميع الصفات الملازمة للمحدود طردا وعكسا هي جنس واحد فلا فرق بين
الفصل والخاصة ولا بين الجنس والعرض العام وذلك ان الحقيقة المركبة من تلك الصفات اما ان يعني
بها الخارجة او الذهنية او شي ثالث فان عني بها الخارجة فالنطق والضحك في الانسان حقيقتان
لازمتان يختصان به وان عني الحقيقة التي في الذهن فالذهن يعقل اختصاص هاتين الصفتين
به دون غيره وان قيل بل احدى الصفتين يتوقف عقل الحقيقة عليها فلا يعقل الانسان في الذهن
حتى يفهم النطق واما الضحك فهو تابع لفهم الانسان وهذا معنى قولهم الذاتي ما لا يتصور فهم
الحقيقة دون فهم او ما يقف الحقيقة في الذهن والخارج عليها قيل ادراك الذهن امر نسبي اضافي

فان كون

فان كون الذهن لا يفهم هذا الا بعد هذا امر يتعلق بنفس ادراك الذهن ليس هو شيا ثابتا
للموصوف في نفسه فلا بد ان يكون الفرق بين الذاتي والعرضي بوصف ثابت في نفس الامر
سواء حصل الادراك له او لم يحصل ان كان احدهما جزءا للحقيقة دون الحقيقة الاخر والا فلا
الوجه العاشر ان يقال كون الذهن لا يعقل هذا الا بعد هذا ان كان اشارة الى اذهان
معينة التي تصورت هذا لم هذا حجة لانهم هم وضعوا هكذا فيكون التقدير ان ما قدمناه
في اذهاننا على الحقيقة فهو الذاتي وما اخرناه فهو العرضي ويعود الامر الى انا نحكم بجعل بعض
الصفات ذاتيا وبعضها عرضيا لازما وان الامر كذلك هذا الفرقان مجرد تحكم بلا سلطان
ولا يستنكر لهولاء ان يجمعوا بين الفرقين ويفرقوا بين المتماثلين فما اكثر هذا في مقاييسهم
التي ضلوا بها واضلوا وهم اول من افسد دين المسلمين وابتدع ما غير به مذهب الصابية
المهتدين وان قالوا بل جميع اذهان بني ادم او الاذهان الصحيحة لا يدرك الانسان
الا بعد خطور نطقه ببالها دون ضحكه قيل لهم هذا ليس بصحيح ولا يكاد يوجد هذا الترتيب
الا فيمن يقلد عنكم هذه الحدود من المقلدين لكم في الامور التي حصلتموها ميزان المعقولات
والا فبنو ادم قد لا يخطر لاحدهم احد الوصفين وقد يخطر له هذا دون هذا وبالعكس ولو
خطر له الوصفان وعرف ان الانسان حيوان ناطق ضاحك لم يكن بمجرد معرفة هذه
الصفات مدركا لحقيقة الانسان اصلا وكل هذا امر محسوس معقول فلا يغلط العاقل نفسه
في ذلك لهيبة التقليد لهيبة التقليد لهولاء الذين هم من اكثر الخلق ضلالا ودعوى التحقيق فهم في
الاوايل كمتكلمة الاسلام في الاواخر ولما كان المسلمون خيرا من اهل الكتابين والصابيين والصا
بين كانوا خيرا منهم واعلم واحكم فتدبر هذا فانه نافع جدا ومن هنا يقولون الحدود الذاتية
عشرة وادراك الصفات الذاتية صعب وغالب ما بايدي الناس حدود رسمية وذلك كله لانهم
وضعوا تفريقا بين شيئين بمجرد التحكم الذي لهم ادخلوه ومن المعلوم ان ما لا حقيقة له في الخارج
ولا في المعقول وانما هو ابتداع مبتدع وضعه وفرق به بين المتماثلين فيما تماثلا فيه لا يتعقله
القلوب الصحيحة اذ ذاك من باب معرفة المذاهب الفاسدة التي لا ضابط لها واكثر ما تجد هولاء الاجناس
يعظمونه من معارفهم ويدعون اختصاص فضلائهم به هو من الباطل الذي لا حقيقة له كما نبهنا على هذا
فيما تقدم الوجه الحادي عشر قولهم الحقيقة مركبة من الجنس والفصل والجنس هو الجزء المشترك
والفصل هو الجزء المميز يقال لهم هذا التركيب اما ان يكون في الخارج او في الذهن فان كان في الخارج

الاجناس

فليس في الخارج نوع كلي يكون محدودا بهذا الحد الا الاعيان المحسوسة والاعيان في كل عين صفة
تكون نظيرها لساير الحيوانات كالحس والحركة الارادية وصفة ليس مثلها لساير الحيوان
وهي المنطق وفي كل عين يجتمع هذان الوصفان كما يجتمع ساير الصفات والجواهر القايمة
لامور مركبة من الصفات المجعولة فيها وان اردتم بالحيوانية والناطقية جوهرا فليس في الانسان
جوهران احدهما حي والاخر ناطق بل جوهر واحد له صفتان فان كان الجوهر مركبا من عرضين
لم يصح وان كان من جوهر عام وخاص فليس فيه ذلك فبطل كون الحقيقة الخارجية مركبة وان
جعلوها تارة جوهرا وتارة صفة كان ذلك بمنزلة قول النصارى في الاقانيم وهو من اعظم الاقوال
تناقضا باتفاق العلماء وان قالوا المركب الحقيقة الذهنية المعقولة قيل اولا تلك ليست هي
المقصودة بالحدود الا ان تكون مطابقة للخارج فان لم يكن هناك تركيب لم يصح ان يكون في هذه
تركيب وليس في الذهن الا تصور الحي الناطق وهو جوهر واحد له صفتان كما قدمنا فلا تركيب
فيه بحال واعلم انه لا نزاع ان صفات الانواع والاجناس منها ما هو مشترك بينها وبين غيره كا
الجنس والعرض العام ومنها ما هو لازم للحقيقة ومنها ما هو عارض لها وهو ما ثبت لها في وقت دون
وقت كالبطء الزوال وسريعه وانما الشان في التفريق بين الذاتي والعرضي اللازم فهذا هو الذي
مدار على تحكم ذهن الحاد ولا تنازع في ان بعض الصفات قد يكون اظهر واشرف فان النطق
اشرف من الضحك وا هو ولهذا ضرب الله به المثل في قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون ولكن
الشان في جعل هذا ذاتيا تتصور به الحقيقة دون الاخر الوجه الثاني عشر ان
هذه الصفات الذاتية قد تعلم ولا تتصور بها كنه المحدود كما في هذا المثال وغيره فعلم ان ذلك
ليس بموجب لفهم الحقيقة الثالث عشر ان الحد اذا كان له جزءان فلا بد لجزء من تصور
كالحيوان والناطق فان احتاج كل جزء الى حد لزم التسلسل او الدور فان كانت الاجزاء تتصور
بنفسها بلا حد وهو تصور الحيوان او الحساس او المتحرك بالارادة او النامي او الجسم فمن المعلوم
ان هذه اعم واذا كانت اعم يكون ادراك الحس لافرادها اكثر فان كان ادراك الحس لافرا
دها كافيا في التصور فالحس قد ادرك افراد النوع وان لم يكن كافيا في ذلك لم يكن الاجزاء معروفة فيحتاج
العرف الى معرف واجزاء الحد الى حد الرابع عشر ان الحدود لا بد فيها من التمييز وكلما
قلت الافراد كان التمييز ايسر وكلما كثرت كان اصعب فضبط العقل لكلي يعلم افراده
مع ضبط كونه كليا ايسر عليه مما كثرت افراده وان كان ادراك الكلي الكثير الافراد ايسر عليه فذاك اذا

ادركه

ادركه مطلقا لان المطلق يحصل بحصول كل واحد من الافراد واذا كان ذلك فاقل ما في اجزاء المحدود
ان تكون متميزة تميزا كليا ليعلم كونها صفة للمحدود او محمولة عليه ام لا فاذا كان ضبطها كلية اصعب
واتعب من ضبط افراد المحدود كان ذلك تعريفا للاسهل معرفة بالاصعب مفردة وهذا عكس
الواجب الخامس عشر ان الله سبحانه علم ادم الاسماء كلها وقد ميز كل مسمى باسم يدل على ما يفصله
من الجنس المشترك ويخصه دون ما سواه ويبين به ما يرتسم معناه في النفس ومعرفة حدود
الاسماء واجبة لانه بها تقوم مصلحة بني ادم في المنطق الذي جعله الله رحمة لهم لا سيما حدود ما انز
ل الله في كتبه من الاسماء كالخمر والربا فهذه الحدود هي الفاصلة المميزة بين ما يدخل في المسمى
ويتناوله ذلك الاسم وما دل عليه من الصفات وبين ما ليس كذلك ولهذا ذم الله من سمى الاشيا
باسماء ما انزل الله بها من سلطان فانه اثبت للشي صفة باطلة كالهية الاوثان فالاسماء المنطقية
سمعية واما نفس تصور المعاني فقطري يحصل بالحس الباطن والظاهر وبادراك الحس وشهوده
يبصر الانسان بباطنه وبظاهره وبسمعه يعلم اسماءها وبفؤاده يعقل الصفات المشتركة و
المختصة والله اخرجنا من بطون امهاتنا لا نعلم شيا وجعل لنا السمع والابصار والافئدة
فاما الحدود المتكلفة فليس فيها فايدة لا في العقل ولا في الحس ولا في السمع الا ما هو كالاسما
مع التطويل او ما هو كالتمييز بصفة بساير الصفات ولهذا لما راوا ذلك جعلوا الحد نوعين
نوع بحسب الاسم وهو بيان ما يدخل فيه ونوعا بحسب الصفة او الحقيقة او المسمى وهو زعموا
كشف الحقيقة وتصويرها والحقيقة المذكورة ان ذكرت بلفظ دخلت في القسم الاول
وان لم تذكر بلفظ فلا تدرك بلفظ ولا يحد بمقال الا كما تقدم وهذه نكت تنبه على جهل المقصود
وليس هذا موضع بسط ذلك السادس عشر ان في الصفات الذاتية المشتركة والمختصة كا
الحيوانية والنطقية ان ارادوا بالاشتراك ان نفس الصفة الموجودة في الخارج مشتركة فهذا
باطل اذ لا اشتراك في المعينات التي يمنع تصورها من وقوع الشركة فيها وان ارادوا بالاشتراك
ان مثل تلك الصفة حاصلة حاصلة للنوع الاخر قيل له لا ريب ان بين حيوانية الانسان و
حيوانية الفرس قدرا مشتركا وكذلك بين صوتيهما وتمييزهما قدرا مشتركا فان الانسان له تمييز
وللفرس تمييز ولهذا صوت هو النطق ولتلك صوت هو الصهيل فقد خص كل صوت باسم
يخصه فاذا كان حقيقة احد هذين يخالف الاخر ويختص بنوعه فمن اين جعلتم حيوانية احدهما
مماثلة لحيوانية الاخر في الحد والحقيقة وهلا قيل بين حيوانيتهما قدرا مشتركا ومميزا كما ان بين

صوتها كذلك وذلك ان الحس والحركة الارادية اما ان توجد للجسم او للنفس فان الجسم يحس ويتحرك
بالارادة والنفس تحس وتتحرك بالارادة وان كان بين الوصفين من الفرق ما بين الحقيقتين
وكذلك النطق هو للنفس بالتمييز والمعرفة والكلام النفساني وهو للجسم ايضا بتمييز القلب
بوقته والكلام اللساني فكل حي جسمه ونفسه توصف بهذين الوصفين وليست حس تلك
واراداتها وهو قها ونطقها مثلا للنفس وان كان بينهما قدر مشترك وكذلك ما يقوم بالجسم
الحس والحركة الارادية ليس مثل ما للنفس وان كان بينهما قدر مشترك فان الذي للانسان جسمه مثلا
ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه ومركبه وسموعه بحيث يحسه ويتحرك اليه حركة ارادية ليس هو مثل
ما للفرس فالحس والحركة الارادية هي بالمعنى العام لجميع الحيوان وبالمعنى الخاص ليس الا للانسان
وكذلك التمييز سواء ولهذا اقال النبي صلى الله عليه وسلم اصدق الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن واصدقها
الاسماء الحارث وهمام واقبحها حرب ومرة رواه مسلم فالحارث هو العامل الكاسب المتحرك بالارادة
هو الذي له الهم الذي هو قصد الارادة فكل انسان حارث فاعل بارادته وكذلك مسبوق بالحس
فحيوانيته الانسان ونطقه كل منها فيه ما يشترك لحيوان فيه وفيه ما يختص به عن سائر الحيوان و
كذلك بنا بنيته فان نوعه واعتداله وان كان بينه وبين النبات قدر مشترك فليس مثله فان هذا
يغتذي بما يليه ويسري نفسه ويحس ويتحرك بالارادة وكذلك الانسان فان له اصنافا للنوع واصنافا
هم حتى يكون في بني آدم من هو دون البهائم في النطق والتمييز وهم من لا يدرك بنهاية وهذا
كله بين ان اشتراكهما في اصل الصفة مثل اشتراكهما في النوع وانواع الجنس والاجناس السافلة في
مسمى الجنس الاعلى لا تقتضي ان يكون المعنى المشترك فيها بالسواء كما انه ليس في الحقائق الخارجة
شيء مشترك ولكن الذهن قد يعم معنى يوجد في هذا ويوجد نظيره ويوجد نظير في هذا وقد تبين
انه ليس هنا ظاهر عام وجه المماثلة لكن عام وجه المشابهة وان ذلك المعنى المشترك هو في احدهما
حقيقة تخالف حقيقته الاخرى ومن ههنا يغلط القياسون الذين يلحظون المعنى الكلي الجامع
دون الفارق المميز والعرب من الاصناف والملل من اهل الاديان اعظم الناس ادراكا للفروق
وتمييز الملتبسات وذلك بوجود في عقولهم ولغاتهم وعلومهم واحكامهم ولهذا نظر متكلمو
الاسلام العرب كالمحاسبي وامثاله الصابئة عجم الروم وذكروا افضل منطقهم وكلامهم على منطق وللك
وكلامهم كما نجد في كلام الاسلاميين كما فعل القاضي ابو بكر الباقلاني في كتاب الدقائق
الذي رد فيه على الفلاسفة كثيرا من قولهم الفاسد في الافلاك والعقول والنفوس وما

جهة الوجود وغير ذلك وتكلم على منطقهم وتقسيمهم الموجودات كتقسيمهم الوجود الى الجوهر والعرض
وتقسيمهم الاعراض الى المقولات التسعة وذكر تقسيم سكاكي المتأخر الذي فيه من التعمية والتعجيم
والفرق ما ليس في كلام اولئك وذلك ان الله علم الانسان البيان كما قال تعالى الرحمن علم القرآن الآية
وقال تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وقال علم الانسان ما لم يعلم والبيان بيان القلب واللسان كما ان
العربي بالكلم يكون بالقلب واللسان كما قال تعالى بهم عمي فهم لا يرجعون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما
سألوا اذا يعلم انا مشينا العمى السؤال وفي الاثر العمى عمى القلب لا عمى اللسان او قال البصر العمى
القلب وكان ابن مسعود يقول انكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه وسيأتي عليكم زمان قليل
فقهاؤه كثير خطباؤه وبتبيين الاشياء للقلب ضد ما تتبين هي عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لكلاكما
بين الحديث وقد قرئ قوله ولتستبين سبيل المجرمين بالرفع والنصب اي ولتستبين انت سبيلهم
فالانسان يستبين الاشياء وهم يقولون تبين الشيء وبينته وتبين الشيء واستبان
الشيء واستبنته كل هذا يستعمل لازما ومتعديا كما ومنه قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
هنا هو متعد ومنه قول بقاعي بينه اي استبينه فهذا لازم والبيان كما الكلام يكون مصدرا بمعنى
الشيء بيانا ويكون اسم مصدر لمن كالكلام والسلم وبين فيكون البيان بمعنى تبين
الشيء ويكون بمعنى بيت الشيء اي وضحته وهذا هو الغالب عليه ومنه قوله ان من البيان لسحرا والمقصود
ببيان الكلام حصول البيان للقلب للسمع حتى يتبين له الشيء ويستبين كما قال تعالى هذا بيان
للناس الآية ومع هذا فالذي لا يستبين له كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء الآية وقال
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم الآية وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
له قال وما على الرسول الا البلاغ المبين وقال وما كان الله ليضل قوما الآية وقال ليبين الله لكم ان تضلوا
وقال قل اني على بينة من ربي الآية وقال افمن كان على بينة من ربه وقال القرآن لنا آيات بينات وقال
بينات الآيات لقوم يعقلون فاما الاشياء المعلومة التي ليس في ذواتها ولا صفاتها الا كل الكلام
وتفهيمها وتشقيق وتكثير والايضاح بذكر الاشياء التي يستقبح ذكرها فهذا ما ينهى عنه كما جاء في الحديث
ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها وفي الحديث الحياء
والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان طول
صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه وفي حديث سعد لما سأله ابنه ولما وجد ابنه يدعوا
وعامة الحدود وهي من هذا الباب حتى الكلام كثير يشبه ما به الاشياء وهي ما يبين قبل بيانها ابين
منها بعد بيانها فهي مع كثرة ما فيها من تضييع الزمان واتعاب الحيوان لا توجب الا العلم الذي لا يتنوع

فانهم لا يسمون القدح الاخر خمرا ولو قال كل مسكر خمر لتنا وله بعضهم على انه شبيه الخمر في التحريم فلا اراد وكل خمر حرام علم انه اراد به دخوله في اسم الخمر التي حرمها الله والغرض هنا ان صورة القياس المذكورة فقد يكون ج
الى تعلم بل عند الناس يحتاج الحد الحساب ولكن هو لا يطول العبارات ويفرونها ولكذ لك انقسام
المقدم الذي شرحي القضيه وهي الحكم الخبرية التي خاص وعام ومنفي ومثبت ونحو ذلك وان القضية الصادقه
يصدق عكسها وعكس نقيضها وتكذب نقيضها وان جهاتها تختلف بحسب ذلك وكذلك تقسيم القياس
الكمالي الاقتراني والاستثنائي اللازمي والتعاندي وغير ذلك غالبه وان كان صحيحا فيها هو باطل و
الحق الذي يجب من بطول الكلام وتكثيره بلا فائده ومن سوء التعبير والعي في البيان ومن العدول عن
الصراط المستقيم القريب الى الطريق المستدير البعيد ما ليس هذا موضع بيانه فحقه النافع فطريق الحاج ج
اليه وما يحتاج اليه فيه ليس فيه منفعة الامور فهو اصطلاحهم وخطابهم وهذا شان كل ذي بقا له
من المقالات الباطله فانه لا بد له من معرفة ما لغته وضلاله فاحتيج اليه لبيان ضلاله الذي يعرف به الكتاب
حاله ويستبين لهم ما به ان الله ورسوله حكما جزما وان هو لا واخطؤا فيما يذهبون اليه من تكلف لغة الله
او تفسيره وكثرة الكلام الذي لا ينفع والمقصود هنا ذكر وجوه احدها ان القياس المذكور لا يفيد علما الا
بواسطة قضية كلية موجبة ثابتة في كل قياس وهذا متفق عليه بين العلماء وهذا قالوا
لا قياس من سالبتين ولا عن جزئيتين واذا كان كذلك وجب ان تكون العلوم الكلية الكلمات الجامعه
هي اصول الاقيسه والادله وقواعدها التي تبنى عليها وتحتاج اليها ثم قالوا ان مبادي القياس البرهاني هي
العلوم اليقينية التي هي الحسيات الباطنه والظاهر والعقليات والبديهيه والمتواترات والتجر
بات وزاد بعضهم احدسيات وليس في شيء من الحسيات الباطنه والظاهر ما يفيد كليا اذ الحس الباطن
والظاهر لا يدرك الا امورا معينه لا يكون الا اذا كان الخبر اذ ركها اخبر به بالحس فهي تتبع للحس ك
وكذلك الخبر انما تقع على امور معينه محسوسه وانما يحكم العقل على النظاير بها للتشبيه وهو قياس
التمثيل واحد سيات عند من يثبتها منهم من جنس التجربيات لكن الفرق التجربيه تتعلق بفعل
المجرب كما ان طعم الامشيره والادويه والحدس بغير فعل كما خلاف اشكال القمر عند اختلاف مقابلة الشمس
وهو ان لكصقه تجربه على علم فاستفاد به الطبا امور معينه جزئيه لا تتصور عام الا بواسطة قياس
التمثيل واما البديهيات وهي العلوم الاوليه التي يجعلها الله في النفوس ابتدا بلا واسطة مثل كتاب
وهي العلم بان الواحد نصف الاثنين فانها لا تفيد العلم الا بشرط وجود في الخارج مثل الحكم على العدد
المطلق والمقدار المطلق كالعلم بان الاشيا المساويه لشي واحد هي متساويه في انفسها فان اذا حكم على وجود
في الخارج فليكن الا بواسطة احس مثل العقل انما هو عقل ما علمنا بالاحساس الباطن او الظاهر
معقل المعاني العامه او الخاصه فاما ان العقل الذي هو عقل الامور العامه التي اراد بها وجوده في الخارج

بابطل الباطل والجدال فانكل منهما يورد عليه اخر الاوجه من الاسوله ما يفسده ويزعم سلامته هو و
عند التحقيق تجدهم متكافيين او متقاربين ليس لاحدهم على الاخر رجحان مبين فاما ان يقبل
الجميع او يرد الجميع او يقبل من وجه هذا في الحدود التي يشترك في تمييز المحدود وفصله عما سواه و
اما متى ادخل احدهما في الحد ما اخرجه الاخر او بالعكس فالكلام في هذا على يستفاد به حد الاسم و
معرفة عمومه وخصوصه مثل الكلام في حد الخمر هل هي عصير العنب الذي اشتد او هم كل مسكر و
حد الغيبه ونحو ذلك وهذا هو الذي يتكلم فيه العلما كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما الغيبه قال ذكرك اخاك
بما يكره الحديث وكذلك قوله كل مسكر خمر وقوله عن الخمر ما خامر العقل وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
لما قال له ما يحل لنا من امرأتنا في حيضها قال لك ما فوق الازار فقال له رجل يا رسول الله الرجل يجب ان يكون فعله
حسنا وثوبه حسنا اجره الكبر وذكر فقال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس ومنه
تفسير الكلام وشرحه وبيانه فكل من شرح كلام غيره وفسره وبين تاويله فانما يدله من معرفة حدود
الاسما التي فيه فكل ما كان من حد بالقوة فانما هو حد للاسم بمنزله الترجمه والبيان فتارة يكون
لفظا لمحضا وان كان المخاطب يعرف المحدود وتارة يحتاج الى ترجمة المعنى وبيانه اذا كان المبين طبعهم
يعرف المسمى وذلك يكون لا محضرة المثال وتركيب صفات وذلك لا يفيد تصور الكصقه لم ان يتصورها
بغير الكلام فليعلم اذكر ما ما يذكر من حد المسمى احد كصقه او حد احقاق فليس في مع
التمثيل الادكر بعض الصفات التي للمحدود كما تقدم وفيه من التخليط ما قد نبهنا على بعضه في ا
القياس فالكلام عليه في مقامين احدهما في القياس المطلق الذي جعلوه ميزان العلوم وحرروه في
المنطق والثاني في جنس الاقيسه التي يستعملونها في العلوم اما الاول فنقول الاشكال
ان المقدمتين اذا كانتا معلومتين والغنا على الوجه المعتبر انه يفيد العلم بالنتيجه وقد جاوز صحيح
منهم فوعا مل سكر خمر وكل خمر حرام لكن هذا لم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم ليستدله على نتائج
بيانه في التركيب بل هذا كما وقع ايضا في الصحيح كل مسكر خمر وكل مسكر حرام اراد ان يبين لهم ان جميع
المكرات داخله في مسمى الخمر الذي حرمه الله وفي بيان ان الخمر هو قد علموا ان الله حرم الخمر وكانوا
يسالون عن اشربة من عصير العنب كما في الصحيح عن ابي موسى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن شراب
يصنع من الذرة يسمى المزر وعن شراب يصنع من العسل يسمى البتع وكان قد اوتي جوامع الكلم فقال كل مسكر
حرام فاراد ان يبين لهم بالكلمة الجامعة وهي القضية الكلية ان كل مسكر خمر ثم جاءهم كما كانوا يعلمون من
ان كل خمر حرام حتى يثبت تحريم المسكر في كلامه كما صرح به في محله كل مسكر حرام ولو اقتصر على ان كل
مسكر حرام لتنا وله فتاوا على انه اراد القدح الاحمر كما تاوله بعضهم ولهذا قالوا حد قوله كل مسكر خمر ابلغ

فانهم

الباطن

تحصل بغير حس فهذا لا يتصور واذا رجع الانسان الى نفسه وجد ذلك انه يعقل مستغنيا عن الحس كالكل
والظاهر لكليات مقدرة في نفسه مثل الواحد والاثنين والمستقيم والمنحني والمثلث والمربع والوا
جب والممكن والممتنع ونحو ذلك مما يعرضه هو ويقدره فاما العلم بعض ما يقدر لوجوده في الخارج
والعلم بالحقايق الخارجية فلا بد فيه من الحس الباطن او الظاهر فاذا اجتمع الحس والعقل كان اجتماع
البصر والعقل اكمل ان يدرك الحقايق الموجودة المعينة والعقل حكمها العام الذي يندرج فيه اشباهها
واضدادها ويعلم الجمع والفرق وهذا هو اعتبار العقل وقياسه واذا انفرد الاحساس الباطن او
الظاهر ادرك وجود الوجود المعين واذا انفرد المعقول المجرد علم الكليات المقدرة فيه التي قد
يكون لها وجود في الخارج وقد لا يكون ولا يعلم وجوداتها وعدم وجوداتها الا باحساس
باطن او ظاهر فانك اذا تخيلت موجود المية غير الالف لم يحكم عاشر في الخارج بل لو لم يكن في العالم الا
بعد بالمية والالف لكنت عالما بان المية المتوهمة في عقلك عشر الالف ولكن اذا احسست بالجمال
والدواب والذهب والفضة واحسست بحكم او بخبر من احس ان هناك مية رجال ودرهم وهناك
الف وخمسمائة كملت عندك احاد المعدودين بانها عشر الالف فالمعدودات لا تدرك الا بالحس والعدد
المجرد يعقل بالقلب ويعقل القلب والحس يعلم المعدود والمعدود فيهما وكذلك المقادير الهندسية
هي من هذا القبيل فعلوم الاوايل البديهية العقلية المحضة ليست الا في المقدرات الذهنية كالعدد و
المقدار لا في الامور الخارجية الموجودة فاذا اقامت مواد القياس البرهاني لا يدرك بعامتها الا
امور معينة ليست كلية وهي الحس الباطن والظاهر والتواتر والتجربة والحدس والذي يدرك الكليات
البديهية الاولية انما يدرك امورا لا تقدر ذهنية لم تكن في مبادي البرهان وتقدمات المذكورة فيما
يعلم به قضية كلية عامة للامور الموجودة في الخارج والقياس لا يفيد العلم الا بواسطة قضية كلية فاستنج
حينئذ ان لا يكون ما فيه ذكر وجود صورة القياس ومادته حصول علم يقيني وهذا بديهي لمن له ادنى تأمل و
تحرز وجود تصور بنفسه علوم عظيم ومعارف وسنبين انشاء الله ما يدرج ويقع
عليهم اللبس فتدبر بهذا فانك من اسرار عظام العلوم التي يظهر لك به ما يجلو عنك ما يقع من
الفرق بين الطرق العقلية السهلة الشريفة الامانية وبين الطرق القياسية المتطفلة الكلامية
قد تبين لك بما جاءهم وبالعقل ان القياس المنطقي لا يفيد الا بواسطة قضية كلية وتبين ان كان
القضايا التي عندهم مواد البرهان واصوله ليس فيها قضية كلية للامور الموجودة ليس فيها ما يعلم به
القضية الكلية الا العقل المجرد الذي يعقل المقدرات الذهنية واذا لم يكن في اصول برهانه الصحيح علم
بقضية عامة للامور الموجودة لم يكن في علم وليس فيما ذكرناه ما يمكن النزاع فيه لان القضايا البد
فان فيها عموما وقد بين ان به تعلم الامور الخارجية موضوعا انها تفيد العلوم الكلية لكن بعض المبادي

وجودة

ليس فيها

ليس فيها علم كلي فكان الواجب الا يجعل بقدمة البرهان الا القضايا العقلية البديهية المحضة اذ هي
الكلية واما بقية القضايا ففي جزئيه فكيف يصلح ان تجعل من مقدمات البرهان الان يا ايها العلم
بها امور جزئية وبالعقل لا يدرك الا كلي فيجمع عليها بالحس ان مع هذا الف درهم
ومع هذا الثان ويعلم بالعقل ان الاثنين اكثر من الواحد فينتج ان مال هذا اكثر فنقول لك هذا
صحيح لكن هذا انما يفيد قضية جزئية معينة وهو لن مال هذا اكثر من مال هذا والامور الجزئية المعينة
لا تحتاج في معرفتها الى القياس بل قد تعلم بلا قياس وتعلم بقياس مثل القتيل وتعلم بالقياس عن جنس تبين
فانك تعلم بالحس ان هذا مثل هذا وتعلم ان هذا من نفس كيت وكيت فتعلم ان الاخر مثلهم وتعلم ان
حكم الشيء حكم مثله وكذلك قد يعلم ان زيدا اكبر من عمرو وعمرو اكبر من خالد واستدل هذه الامور المعينة
التي تعلم بدون قياس الشمول الذي اشترطوه فيه واشتطوا فقد تبين ان هذا القياس العقل
المنطوق الذي وضعوه وجدوه لا يعلم به وجوده شيء من العلوم الكلية الثابتة في الخارج فضلا
قوله الذي يزان العلوم الكلية البرهانية ولكن يعلم به امور معينة تخصه جزئيه وتلك تعلم بغير
احد هذا تعلم بهذا هو الوجه الثاني فنقول اما الامور الموجودة المحققة فتعلم بالحس
والنظام وتعلم بقياس التمثيل وتعلم بالقياس الذي ليس فيه قضية كلية ولا شمول ولا عموم بل
تكون الحدود الثلاثة فيه الاصغر والاوسط والاكبر اعيانا جزئية والمقدمتان والنتيجة قضايا
جزئية وعلم هذه الامور المعينة بهذه الطرق اصح واوضح واكمل فان من رأى معينا زيدا في
مكانه وعمرا في مكان اخر استغنى عن ان يستدل على ان زيدا ليس بعمرو بالقياس المذكور
كذلك ورأى درهما كل واحد من الالف درهم استغنى عن ان يستدل على كل واحد منها بانه ليس
للصحيح وهو شيء واحد والاشياء المأوية لشيء واحد متماثلة وبه وامثال ذلك كثير ولهذا لا يسمي
اهل الكلام اي كم تفيد واعلم الملك انا قد زدنا زيادة كلام فقد لا تفيد وهو حاضر بين
القياس لا يضاهي ما علم بالحس وان كان هذا القياس وامثاله ينتفع به في موضع اخر ومع هذا
لحس كما سنذكره ان شاء الله وكذلك اذا علم الانسان ان هذا الذي مثل هذا الذي مثل هذا الدرهم مثل
هذا وان هذا الحفظ والشعر مثل هذا علم ايضا من صفات احدهما واحكامه الطبيعية مثل الاكل
والتقاضي وان العادية مثل القهم والشعر واما الشرعية مثل الحل والحرمة علم ان حكم الزوج مثل
فاقيسة التمثيل يفيد العقيدة بلا ريب اعظم من اقيسة الشمول ولا تحتاج مع العلم التمثيلي
الى ان تضرب لها قياسا شموليا يكون من زيادة الفضول وبهذا الطريق عرفت القضايا التي سميت
بقياس التمثيل وقد قال ان ذكر في اوسطه قياس شمولي ينعقد في النفس فهذا ان كان كما قال فانما
قيل لما كان اكثر ما فقد قال الباطل فان الناس العالمين بالحروب لا يحوجون لاحد لتعليمهم هذا ولكن عرف
علمهم بالمماثل يتأدون الى التسوية في الحكم لان نفس العلم بالتماثل يوجب ذلك والبديهي العقلي

المخلوق لزوما لا يمكنه الانفكاك عنه فالموجع في كونه ضروريا انه يعجز عن دفعه عن نفسه
فاجاب الشيخ ان علومهم ضرورية وانها تدل على النفوس عاجلة وجه تعجز عن دفعه فقال الرازي
الطريق الى ذلك فقال تشكك ما انتما فيه وتطلعان ما آمن كابه من الذكر والعبادة فقال
الرازي انا مشغول بعلم هذا وقال المعتزلي انا قد احترقت قلبي بالشبهات واصعب هذه
الواردات فلزم الشيخ حمدة ثم خرج من محل عبادته وهو يقول واسيدي يا خالق الا
ما تقول هو لا المشبهة يعني المثبتين للصفات فان المعتزلة يسمون الصفاتية مشبهة
وذلك انه علم ضروري لا يمكنه دفعه عما قلبه ان صانع العالم لابد ان يتميز عن العالم ويكون
بائنا منه لم صفات تختص بها واما هذا الرب الذي يصفه الجهمية انما هو عدم محض وهذا امر
صنع المحكمة المشهور امر الشيخ العارف ابي جعفر الهجداني لابي المعالي الجويني وتشتمل لما اخذ يقول على
والحاصل ان كل ما استحكم في بديهة بحيث لا يطرق قياسه لما فيه من التقوية بها المتماثلين فما
عنده وان استلزم ذلك كثرة مخالفة المقصود وهذا موجود في المسائل العلمية المنهي عنه دعوى
المسائل العملية الارادية تجد المتكلم قد يطرد قياسه طردا مستمرا فيكون ظاهر الامر هو
مما نقضها وتجد المستدل الذي اشكر ذلك القياس قد يقول ما بينا قضاء ذلك القياس في
مواضع مع استشعار النقاض قضاء تارة وبدوا استشعارا وهو الاغلب وعلى تخلف
بعض فصيله خصوص بنقض علته والتزم بينا المتماثلين ما يظهر انه دون الاول في
العلم والمنزلة وطرد القول وليس كذلك بل هو خير منا الاول فان ذلك القياس الذي
اشتركا فيه كان فاسدا في اصله لمخالفة النص والقياس الصحيح فالذي طرده اكثر تقليلا لحصول
فضا وفسادا ما هذا الذي نقضه وهذا شانا كل ما وافقا عن علة فيها ليس هو علة ولا من
في نفس الامر بعضا وكل واحد منهما مما نص على موضع ما يخالف ذلك القياس
وهذا يسميه الفقها في مواضع كثيرة الاستحسان فيجدون الفقها يدعون بالاستحسان الذي
تركوا فيه القياس لما نص عليه من الذي طردوا القياس وتركوا النص ولهذا يرجح
عما ابي حنيفة انه قال لا ناخذ ابعضا بسائر فانا ان اخذنا بعضا بقياس علمنا
الحرام وحرمنا الحلال فانا نرى كما كثير الطرد لما يظنه من القياس سامع قوله عليه
بالنص عما وكما ابو يوسف نظره بالعكس كما ما اعلم بالحديث منه ولهذا يرجح
عبد المسائل التي يخالف فيها ما نص عليه عما قياسه ولا يكون الا قياسا صحيحا

نسخة مقابلة بالنسخة المكتوبة على الشيخ العارف ابي جعفر الهجداني

لا اخذ يقول اعلم الله كان ولم يكن معه شيء وانه استوى على العرش فنقول ايضا ما ذكر انما هو في السمع
فيه غاية هذه الضرورة التي يجدها في قلوبنا فانما هي عارضة قابلة ضرورة تطلب العلم
لا تثبت عينه ولا صفة كقيد ندفع هذه الضرورة قد تكون قلوبنا قابلة لعلم ابو المعالي علما راسخا وقاصرا في العلم
صون العين ويزول ذكر ان نفسا ستوائه على العرش بعد ان لم يكن مستويا عليه ابدا بل هو مستو
جاءت به الرسل كما اخبر فالقرآن والتوراة وما تلوته علينا علوم ثابتة بنا منهم وفي هذا الموضع في علوم بالضطرار
الضرورية التي يشترك فيها بنو آدم وكثر كان بما عرف ولهذا عبد وعاد علمه وقال اكثر وا كثر كان علمه الضرورة
بذكر قوة وكل فان نقطة تكلم بالنقطة تلك الذات الفاضلة تعلم الامر مجملا والشرع يفصله وتبينه و
تتم بلا تستقر النقطة به فهذا ما اردنا ذكره والله اعلم

الحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم هذه رسالة الشيخ التي تسمى القوصية
من احمد بن تيمية الى سرحوان عظيم اهل ملته ومن خوطبه عنايته من رؤساء الدين وعظماء
القسيسين والرهبان والامراء والكتاب واتباعهم سلام على من اتبع الهدى اما
بعد فانا نحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو اله ابراهيم واله عمران ونسأله ان
يصلي على عباده المصطفين وانبيائه المرسلين وخص بصلاته وسلامه اولوا العزم
الذين هم سادة الخلق وقادة الامم الذين خصوا باخذ الميثاق وهم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى بن مريم ومحمد كما سماهم الله في كتابه فقال عز وجل شرع لكم من الدين ما
وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الاية وقال تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم الى قوله واعد للكافرين عذابا اليما ونسأله ان يخص شريف صلاته وسلامه خاتم المرسلين شفيع
الخلايق يوم القيمة نبي الرحمة ونبي الملحمة الجامع محاسن الانبياء الذي بشر به عبد الله وكلمته
وروحه التي القاها الى الصديقة البتول التي لم يمسها بشر فطهرها وابنها فجعلهما آية للعالمين
من الانبياء ذكر مسيح الهدى عيسى بن مريم الوجيه في الدنيا والاخرة المقرب من الله
المبعوث بنعت الجلالة والرحمة كما ابتعث بنو اسرائيل فيما بعثهم به موسى من نعت الجلالة
والشدة وبعث الخاتم الجامع بنعت الكمال والمتمم على الشدة على الكفار والرحمة على
المؤمنين والمحتوى على محاسن الشرايع والمناهج التي كانت قبله صلى الله عليهم اجمعين
وعلى من تبعهم الى يوم الدين اما بعد فان الله خلق الخلائق بقدرته واظهر
فيهم آثار مشيئته وحكمته ورحمته وجعل المقصود الذي خلقوا له فيما امرهم به من عبادته
واصل ذلك هو معرفته ومحبته من هذه الصراط المستقيم اتم ورحمة وعلما ومعرفة
باسمائه الحسنى وصفاته العليا ورزقه الانابة اليه والوجل لذكره والخشوع لكتبه
والتالهه فحن اليه حنين النسور الى اوكارها وكلف الصبي ان لا يعبد الا اياه رغبة و
رهبة ومحبة اخلاصه دينه من الدنيا والاخرة لرب الاولين والاخرين مالك يوم الدين

اخلص

هذه المسائل وتوجد المسائل التي يخالف فيها ابو يوسف ابا حنيفة واتباعه محمد
عليها واما تبع فيها المنصوصة الافيسة الصحيحة لان ابا يوسف رجع بعد موته
الى حنيفة الذي كان يستفتيه في السنن التي كانت عندهم ما ان كنا نعلم
بالكوفة وكان يقول لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت كثير من اصحابه
ما كان يقصد الا اتباع الشريعة لكن قد يكون عند غيره من العلم السنن ما لم يبلغه
وهذا ايضا حال كثير من الفقهاء بعضهم مع بعض فيما واقفوه عليه مما ثبتت سنته
ثبتت صحته بالادلة المعتبرة فان الموافقة فيه توجب طرد ذلك في اهل النصوص
فيتبع النصوص ويدع الاقيسة المعارضة للنصوص صغيرها وكبيرها وكذلك هذه حال اكثر
متكلمة اهل الاثبات مع متكلمة النفاة في مسائل الصفات والقدر وغيرهما لكن
قد يتفقون على قضايا معينة مع تنازعهم في اصولها فيتفقون فيما اثبتته النصوص
والمثبتة اذا تعقلوا لكن لابد من القول بموجب النصوص صغيرها وكبيرها فان قولا يبعض
معناها ويرمى ما عارضها بضعف واصل ذلك موافقة اولئك على القياس
الضعيف وتذكر مثل مسائل الجبر والجهر وغير ذلك وهكذا تجد هذا الحال
من اعظم ظلما للاقوال فان الاتباع اتبع الاغراض فان ظلما بعداوة
يصيب ما اعتقد انه يصيب ظلما لانكاره هذا فيريد المعين ان ينتصر لاهواء
ويخص عليه ولهذا يقال ان العالم ظالما بما به وهذا عام في جميع الظلم من اهل
الاقوال والاعمال اهل البدع والفجور وكل ما خالف الكتاب والسنة من قول او
امر او عمل فهو ظلم فان الله ارسل رسله بالقسط وانزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ومحمد صلى الله
عليه وسلم افضل وقد بين الله في القسط ما لم يبينه لغيره واقدره منه على ما لم يقدر
عليه غيره فمن يفعل ويامر بما لم يفعله غيره ويامر به وذلك في ما دل عليه كثير
المواضع فهو لا يعلم حقيقة القسط ولا يقدر ان يعدل فعله بل ما كان اتقى لله وبه
اشبه كان افضل وهو الطريقة المثلى وقد بسطناها في مواضع وقال تعالى واقيموا
الوزن بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها وقال تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم والله اعلم